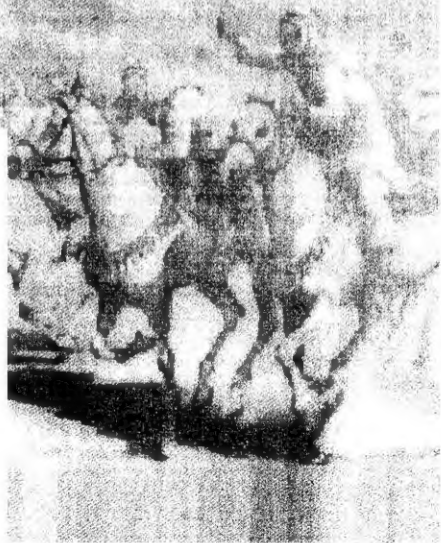


أبطال من الصحراء



© زيد بن محمد السديري ، ١٤١٧هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

السديري ، محمد بن أحمد

أبطال من الصحراء - جدة .

٢٥٦ ص، ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٤ - ٧٩٩ - ٣١ - ٩٩٦٠

١- الشعر الشعبي - السعودية ٢- الشعر العامي - العرب
أ- العنوان

١٧/٢٥١١

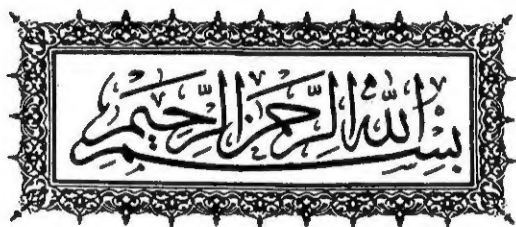
ديوي ٨١١،٠٩٥٣٦

رقم الإيداع: ١٧/٢٥١١

ردمك: ٤ - ٧٩٩ - ٣١ - ٩٩٦٠

جميع الحقوق محفوظة

١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م



الله عز وجل



لك يا فيصل ، يا من تحرص على إحياء مآثر العرب ومفاخرهم ..
يا من قُلْتَ فِيكَ مَا هُوَ مِنْ بَعْضِ خُلُقِكَ : -

أَنْتَ الْعَدِيمُ إِلَيَّ بِعَادِ مَعَادِيكَ
 فِي هَذَلِكَ تَشْبَعُ طُيُورُ تَرْجَاكَ
 وَأَنْتَ الَّذِي تَنْهَرُ عَنْدُكَ مَسَارِيكَ
 وَأَنْتَ الَّذِي تَتَعَبُ بِدَرْيِكَ سَبَايَاكَ
 حَاضِرُكَ يَشْهَدُ لَكَ بِمَا قَالُ مَاضِيكَ
 وَمَاضِيكَ تَارِيخُ بِمُؤَزَّ سَجَايَاكَ
 عَزَّ اللَّهُ إِنَّا عَارِفِينَ مَرَامِيكَ
 جَمِيرُ بِثُدُونِكَ مَخَارِيْبُ يَمْنَاكَ
 عَلَى الْفَقِيْلَةِ سَائِكَ الْعَرِيشُ هَادِيكَ
 وَمَنْ الرَّدْفُ لِمَقْبِلَاتِ مَطَايَاكَ
 إِضْرِبْ عَلَى الْكَأِيدِ وَلَا يَتَبَّ نَاهِيَتِكَ
 وَسَجِّلْ عِظَمَاتِ الْمَطَايِمِ بِدُنْيَاكَ

لَكَ أَهْدِي هَذَا الْكِتَابَ . . .

المؤلف

مقدمة

بقلم : عبد الله بن خميس

من الخصائص التي عرف بها العرب، ان تجتمع الفروسية، والشاعرية في شخص واحد، وربما بلغا به درجة النبوغ في كليهما . . فامرو القيس بن حُجر، وعنترة بن شداد، والمهلهل، وعبد الله بن رواحة، وابن الاطنابة، وعالمد بن جعفر، والبارودي . . وغيرهم كثيرون . . عدوا في صميم شعراء العرب، وفي الرعييل الأول من فرسانهم . . وابو زيد الهلالي وذباب بن غانم، وتركى بن سعود، وعبيد بن رشيد، وتركى بن حميد، وراكان بن حنلين، وشليويح العطاوي . . وغيرهم ممن أتى عدوان الهريد في قصيدة له على ذكر اربعين منهم، لقصة طريفة، عدد فيها الشعراء الشعبيين الفرسان . . هؤلاء وأولئك وغيرهم، ممن هم على شاكلتهم . . تركوا للأدب العربي ثروة من الشعر الجزل، والبيان الأصيل . . كما تركوا تاريخ الفروسية العربية، مكانة لا تنسى، ومجدًا لا يداني . .

وهذا الجانب من تاريخنا وأدبنا، لا يزال قفراً لله من الرواد، متأبداً من الأنيس . . واذا طرقة الشاعر محمد السديري في هذا المؤلف . . فانما طرقة طُت به، خبير بدرويه، عالم بمجاهله . .

فهو من صميم البيئة التي يكتب عنها، وليس بمتكلف معرفة ما يكتب، ولا باحث عن عادة، ولا مستشكل تقليد، ولا متردد في فهم لهجة . . جل ما يكتب يتناوله على رؤوس الثمام، ويستقيه عفو الخاطر، ومواتاة التلقي . . وكم رأينا شادياً افلح في تصوير بيئته، ونجح في دراستها، وأعطى الصورة المثلث عنها . . بينما اخفق عملاق، درج الى غير عشه، وطار في غير مطار . . وقديماً قيل : قتل أرضاً عالمها، وقتلت أرض جاهلها . . ويكفي هذا مرشحاً لتناول هذا الموضوع . . كيف والمؤلف قد تواسجت في طبعه جوانب اهله ليكون راوية فكان . . عشق مجالس السر، ومنادمة الرجال، وقصص البطولات، ومغامرات الشباب . . منذ عهد الطفولة، فكانت هجيرة وهوايته . . كونها في طبعه تأثير البيئة، وتوجيه النشأة، وعامل الزمن . . فوجدت مكاناً للنمو، طبعاً أصيلاً، وخاطراً سريعاً، وحافضة قوية، وبنياً مؤدياً . . وضمن لها النمو والنضج، ظروف واكبتها في ظل ولاية أو قيادة، تولف سمط الرجال، وتستجمع المتدييات، وتستهي الرواد والقصاد، ليجدوا في رحاب ابي زيد، كفا نديا، ومطعما شهيا، وسوقاً يروج فيها جزل البيان، وناضج الرواية . .

فاستجمعت رواية المؤلف عناصر النضج، وعوامل الابداع . . ولا اقول ان الاسلوب الذي كتب به المؤلف كتابه هذا، هو الاسلوب الذي يستهويك به، حينما يتحدث اليك . . رغم انني اشعر انه كتبه بلغة سهلة، سلسلة، قريبة الى الذهن، طيبة للفهم . .

ولكن للمؤلف اسلوباً في الحديث، ينتزع الاعجاب ويشد السامع اليه بكل جوارحه، ويحمله على المتابعة مهما امتدت الرواية . . وطال الحديث

ولقد ادرکنا رجالا من هذا الطراز ، وبخل الزمن ان يأتي بمثلهم ، كانوا
 زينة المجالس ، وانس السمار ، ومتعة النفوس . . فطواهم البلى ، وطوى
 معهم أدبًا وتاريخًا وحكمًا . . اذكر من بينهم محمد بن ماضي ، ومحمد بن
 بليهد ، وعساف المساف ، وسليمان العبيد الرشيد . . وغيرهم .

ولا ننس ان المؤلف شاعر شعبي مجيد ، اكثر منه راوية ، فالشعر ابرز
 جانب في شخصيته ، واليق وصف يمكن ان يطلق عليه . . ولعل الرواية
 منبثقة عن شاعريته الأصلية ، وفنه الرفيع . .

بشعره جاذبية خاصة ، تلامس مكانم الاعجاب ، وتداعب خلجات
 النفس ، وتحرك سواكن الباطنة . . وتحس نحوه بتأثر يميک ادراك مصدره
 . . . يصف فيبدع ويمدح فيجيد ، ويطلق الحكمة فتصبح مثلا . . ولكن اذا
 تغزل انساك غزله سائر شعره ، وقلت انه شاعر غزل وكفى . . ودعني اقتطف
 معك طاقة من ورده ، لتتحسس فيها مكانم الجمال ، وتتحرى مواطن
 الابداع .

يقول متغزلا :

هَيَّنِي لَهَا عَنْ لَذَّةِ النَّوْمِ سَائِجُ
 تَشْهَرُ وَعَنْهَا النَّوْمُ تَبِعُذْ شُبُوحِ
 كَيْتَهِ يَدَاوِيهَا الْمَدَاوِي بِذُرُوعِ
 وَذُمُوعِ نَوْنِ الْعَيْنِ دَائِمِ بِفُوجِ
 عَلَى عَشِيرِ شَوْقِهِ تَتَوَشَّى الرُّوحِ
 تَمَلِّقُ بِالسُّحْبِ رُوحِي بِرُوحِ

تَشْهَدُ دُمُوعُ الْعَيْنِ مِنِّي عَلَى التَّوْحِ
 وَتَشْهَدُ عَلَيَّ وَثَاثُ قَلْبِي جُرُوحُهُ
 أَضْيِرُّ وَأَنَا مَالِي مِنَ الْعَبْرِ مَضْلُوحُ
 وَالْوَمَى مَلَامِي الْوُزْقُ ، وَأَنُوحُ نَوْحُهُ
 وَمِنْ قَصِيدَةِ أُخْرَى يَقُولُ :

أَنَا تَائِبُهُ فِي حُبِّ مَلْهُوفَةِ الْحَشَا
 هَذَا الْجَنَمُ مِنْ فَرْقَى الْجَعِيلِ نَحِيلُ
 مَا صَابَ قَبَسٌ بِحُبِّ لَيْلَى أَصَابَنِي
 عَلَى مِثْرَبٍ مَا بَنَى حِدَاةً بِدِيلُ
 أَخِيْلُهُ مَخَالِلَةُ الْعَرَبِ بَارِقِ الْحَيَا
 وَأَنَا لَهُ عَلَى عَشْرِ السِّتِينَ عَمِيلُ
 هَمَّةٌ يَدَايِنِي يَتُومِي وَيَقْظَنِي
 وَأَزْجِي مَتَى فُضِنَهُ عَلَيَّ يَمِيلُ
 وَيَمْضِي مَعْتَرَا بِنَفْسِهِ :

قَلْبِي عَلَى الشَّدَاثِ مَا أَرْقَجُ خَافِقُهُ
 إِلَى صَابِ مَرْغُوبِ الْقَوَادِ جَفِيلُ
 أَحِبُّ مَنْ يَغْيِرُ عَلَيَّ كُلَّ شِدَّةٍ
 إِلَى شَاثٍ مِنْ خَطْبِ الْأُمُوزِ جَلِيلُ
 كَرِيمٌ وَلَا يَرْخِي مِنَ الْبُخْلِ حَاجِبُ
 جُودِهِ إِلَى شَحِّ الْبَغِيلِ يَغْيِلُ

ومن قصيدة أخرى في شكوى الزمان والحال :

يَا لَهْمُونَ يَا عَدَّالَ قَلْبِي وَلَا يَمِ
دَغِ الْهَمَّ بِفُؤَادِي بِصَالِي هَضَائِمِهِ
أَشْهَرُ وَعَيْنِي مَا يَهْمِلُجُ يَنْظُرُهَا
وَقَلْبُكَ خَلَّى الْهَمَّ وَالْعَيْنُ نَائِمِهِ
إِنْ حَاجَتِ أَفْكَارِي عَلَيَّ وَتَرَكَتْ
تَصَوُّزُ بِعَيْنِي سَاعَةَ الْحَشْرِ قَائِمِهِ
هَمٌّ يَفَارِقُنِي وَمَهْمٌ يَزُورُنِي
وَهَمٌّ يُزَايِمُنِي وَمَهْمٌ أَزَايِمِهِ
أَسْأَلِي فُؤَادِي بِالْهَمُّومِ وَهَاسِنِي
إِلَى مَرْقَبِ قَلْبِي بِحُجَّةِ وَرَائِمِهِ
الَّذُنْ يُزِيرُكَ الْهَوَانُ وَتَنْتَمِي
إِلَى أُمَّةٍ فِي مَرْتَجِعِ الدُّنْ هَائِمِهِ
وَيُعْسِدُكَ عَنِ الْأَنْدَالِ فِيهِ الْمَعْرُ
فِي مَهْمِهِ صِنْدِ الْمَهَا فِي خَرَابِمِهِ

هذه الجوانب رشت محمد السديري، لاخراج مؤلفه هذا. عن هؤلاء
الفرسان، الشعراء الخمسة، فجاء هذا المؤلف ، لا دراسة تتناول تحليل
لحياة هؤلاء الفرسان، فحسب، وإنما هو تاريخ حافل، لمجموعة من قبائل
الجزيرة، في حقبة عفى عليها الزمن، واصبحت عرضه للنيان . . فهو
يتحدث عن قبيلة عنزة، بطونها والفاذاها، ومشائخها وفرسانها، ومرايعها

ومناهلها . . ويتحدث عن علاقات بطونها ببعضها ببعض، سلماً وحرباً،
وصداقة وعداوة، ويتحدث عن علاقتها بالقبائل الأخرى المجاورة لها،
شمر، وحرب، ومطير، وبني صخر . . وما بينهم من حروب وثورات،
لهذه تارة، ولتلك أخرى . . وعن نظامهم القبلي ومعاملاتهم في السلم
والحرب . . ويتحدث عن قبيلة قحطان وبالذات عن الخنافر، فخذ شالح
بن هذلان، وعن حروبها مع عتيبة وعن شجاعة الفديع بن هذلان، وابن
اخيه ذيب، وعن مهاجمة الملك عبد العزيز لظعينة شالح، واستطاعة ذيب
ان يقاوم المهاجمين بمفرده، ويخلص ظعينة والده . . نستطيع من خلال
هذه المعلومات، والأحداث . . ان نكون غناصر دسمة، لتاريخ مفصل،
عن هذه القبائل . .

وكما أن هذا المؤلف تاريخ، فهو أيضاً أدب، يتلاقى فيه وجد العاشق
وهيامه، بلوعة المحزون وذوب عبرته، في رثاء باك، وتأوه مر . . بحماسة
الفارس، تنطق بصهيل الخيل، وقعقة السلاح، وسواد النقع . . بالفخر،
بالوصف، بالحنين إلى الأهل والوطن، بالمدح، بالقديح . . تنقلك مسيرة
الكتاب وقصصه الى ألوان من الشعر، وأفانين من الأدب، وضروب من
الأغراض . .

ويزيد ضروب شعره استقراء، واستهواء، أن الكثير منها ظل محصوراً في
نطاق ضيق، لا يتجاوز محيط القبيلة، ولم تتناقله الرواة، وتستقبله
المسامح . . رغم جودته ونضجه ليكون هذا الكتاب الاداة الأولى في
سيرورتها وانتشارها . .

ولنكن مع نماذج خفيفة منها تدلنا على ما يحويه الكتاب من اشعار
طريفة..

يتغزل عقاب المواجي في محبوبته (نوت) فيقول :

يا وَتَنِي بِأَفْصَى الضَّمَايِرِ سَنَدُهَا
لَا زُقَيْتَ مَشْلُوبِ المَرَاقِبِ تَزْدَادُ
عَلَى الَّذِي مَنَاءَ قَلْبِي عَقْدُهَا
حَيَّةٌ بِمَكْنُونِ العَشَا يُتَنَبَّدُ اسْنَادُ
الَّتِي كَمَا الْفِنْجَالِ خِزْرَةُ نَهْدُهَا
وَالشُّوبِ عَنْ رُؤْسِ الثَّمَرِ خَادِ أَيْجَادُ
رِيمِيَّةٌ مَا تَزْنَعُ إِلَّا وَخَنَدُهَا
تَقْلُطُ زِمَالِنَقَ الْخِزَامِي بِالْأَجْرَادِ
وفي محبوبته يقول :

وَأكْبَدِي اللَّيْلُ كُنْهَا حُمُو لَائِي
بِالْقَيْظِ وَالْأَحْيَايِ الْجَمْرِ نَالِهِ
مِنْ وَاحِدٍ يَتَمَبَّ عَلَى شِدَّةِ بَائِي
لَوْ مَا كُنْتُ رَجُلِي قَلْبِي عَنَّا لَهُ
هَبْتِهِ تَشَادَى قَلْبِي بِالظَّلَالِي
فِي صَفْحِ لَوْحٍ مَا تَتَوَلَّهِ جِبَالِهِ
وَقَلْبِيْلَتِهِ يَلْتَمَسُ بِهَا الْهَمْلَالِي
بَذَلْتُ الْقَلِيمَ وَيَتَمَبَّ إِلَيَّ جِبَالِهِ

السي يتنيدان الموقدة مشي لسي
 يرخص كلامه ويتغالى حلاله
 وفي الفخر - وهو اكثر اشعار الكتاب - يقول شاعر شمر (رشيد بن
 طوعان)، مفتخرًا بقبيلة شمر، بعد انتصارهم على قبيلة عترة في وقعة
 (ظفرة) :

يَا مِرْنَةَ غُرًّا نَشَتْ لَه رِفَارِيف
 هَلَّتْ عَلَى (ظُفْرَه) يَطْرُهَا اَنْهَاسِي
 وَيُبْدِيهَا رُؤْسَ الْمَهَارِ الْمَرَاهِيف
 وَحَشْبَةَ قُرُونٍ مَسْبُوحِينَ السَّوَادِيسِي
 يَنْسُخُ بِهَا حِذْبَ الشُّيُوفِ الْمَهَادِيف
 وَتَنْتَخِ بِهَا يَفْعَ الشُّوَرِ الْاَنَامِيسِي
 الى ان قال :

أَنَا أَشْهَدُ إِنَّ قُلُوبَهُمْ صَمِغَ يَا خَلِيف
 وَرَدُّوا حِيَاضَ الْمَوْتِ وَرَدُّ الطَّوَامِيسِي
 وَدَبَّارِنَا حِنَالِنَا بَهْ يَصَارِيف
 سَلَمَى وَرَدَّانِ وَاجَا وَالنَّصَامِ
 ويفتخر ابن فرهود، احد شيوخ حرب، ويتوعد قبيلة عترة، لانهم اغاروا
 على ابل لحرب، واخذوها وابن فرهود لم يك حاضراً . . فيقول :
 يَا مَجْهُولَ الْغِيَاثِ يَقْضَى بِهِنَ دِينِ
 هَيْئَةً جَنْبَهَا يَوْمَ جَامَا الزَّوَالِيسِي

يَا هَقَابَ لَا تَقْنِي بِسَارَ الشَّعَالَيْنِ
 إِنَّكُنْ لِدَارِكِ يَا كَرِيمَ الْجَبَالِي
 يَجِي عَلَيَّ قُبَّ سَوَاةَ الثِّيَاهَيْنِ
 سُوَّ عَلَى اللَّيْ يَنْزِلُونَ الْجَبَالِي
 نَبِي نَطَارِدَ شَارِبِينَ الْفَلَاوَيْنِ
 وَنَاخِذَ هَوَاضَ (شَمَلَا) بِكَارِ جِلَالِي
 وَمِنْ رِثَاءَ لِسَالِحِ بْنِ هَدْلَانَ فِي ابْنِهِ ذَيْبِ:

يَا رَبِّعَتَا بِمَالِي عَلَى الْفُطْرِ الثُّنْبِ
 هَزَّ اللَّهُ إِنَّهُ فَاعٍ مِنْكُمْ وَدَاعِهِ
 رَحُّوا عَلَى الطُّوَحَاتِ مِثْلَ الْمَهَامِثِ
 وَجِثُّوا وَخَلِّشُوا لِقَلْبِي بِضَامِهِ
 يَكْدِرُنْ لِي صَافِيَاتِ الْمِشَارِبِ
 وَيَا لَمْؤُنْ شِفَتْ الدُّنَّ عَقَبَ الشُّجَاعَةِ
 يَا ذَيْبُ أَنَا بِؤْمِينِكَ لَا تَأْكُلِ الذُّهَبِ
 كَمْ لَيْلَةٍ عَشَاكَ حَزَنَ الْمَرَاتِبِ
 كَمْ لَيْلَةٍ عَشَاكَ حَزَنَ الْمَرَاتِبِ
 وَكَمْ شَيْخٍ لُزِمَ كَرَنِهِ لَكَ ذِرَامِهِ
 يَضْحَكُ لِيَا صَغَتْ عَلَيْهِ الْمَغَالِبِ
 وَيَكْذُ عَلَى جَمْعِ الْعَدُوِّ بِأَنْدَدَاعِهِ
 وَيَبْتِغِي لِحِينَارَتِهِ يَشِيدُ عَلَى الطُّنْبِ
 وَلِلضَّيْفِ يَبْنِي فِي طَوِيلِ الرِّفَاعِهِ

مِنْ عِقَبِ ذُنُوبِ، الْخَيْلِ حَرْجٍ مَهَالِيبِ
 بِاهْلِ الرُّمَكِ مَا عَادَ فِيْهِنَّ طِمَاحَهُ
 وَمَنْ مَرَّائِي سَعْدُونَ الْمَوَاجِي لَابْنِهِ عَقَابٍ وَحِجَابِ :
 بِأَوْتُنِيْ وَتُبَيْتِهَا تَبَسُّغٌ وَتُثَاتِ
 مِغْ تَبَسُّغٌ مِغْ تَبَسُّغٌ مِغْ تَبَسُّغٌ مِغْ تَبَسُّغٌ
 عَلَى مَبُوءٍ بِالتَّلَاقِي مِهْمَاتِ
 سِتِّيْنِ أَغْلَى مَا عَادَ مِنْ مَبُوءِي
 أَخْشَمُ بِحِشْمَتِيْنَ وَلَوْ مِنْ يَمِيْنَاتِ
 وَأَنَامَ لَوْ أَنَّ الضُّوَارِي تَحْمُولِي
 خَلَّتِيْنِي بِمَا عَقَابَ مَا بَدَّ مَرَاوِثِ
 جِبَالِكُ صِفَارٍ وَالذُّهْرُ بِهِ جُتُوْفِ
 مِنْ جَفِيْكُمُ مَا تَبَكَّى الْحَيَّ لَوْ مَاثِ
 وَلَآئِي عَلَى الدُّنْيَا كَثِيْرَ الْجُتُوْفِ
 بِمَا طُوْنُ مَا جَرِيْتُ بِالْعُسْدِ وَتُثَاتِ
 عَلَى إِسْرَاقٍ مَقَطَرِيْنَ السُّيُوفِ
 مَرْحُومٌ بِمَا نَطَاحَ وَجْهَ الْإِمْنِيْرَاتِ
 إِنَّ جَمْرَ كَرَادِيْسِ السَّبَابِ صَفُوْفِ
 فَالْخَيْلُ تَقْفِي مِنْ فِقُولِهِ مِجْنَانَاتِ
 تَاطَا مَخَانِيْبُ الرُّعْصَمِ مَا تَشُوْفِ

وفي الشكوى يقول محمدا الهيداني :

يا الله يا الْمَعْبُود يا خَيْرَ مَعْبُودٍ
يا مظهر ذا التُّونِ مِنْ يَطْنِ حُوتِه
تَرْخَمَ غَرِيبَ دُؤَنَه الْبَابِ مَرْدُودِ
تُوازِنَتْ عِنْدَه حَيَاتِه وَمَوْتِه
أُطْلِبُكَ تَرْزُقُنَا بِبِسْرِكَ عَنِ الْكُودِ
هَذَا زَمَانٍ شَيْئَنِي وَقُوْتِه
أَسْأَلُكَ يَا نَاسَ حَايِدٍ وَمَخْشُودِ
وَلَقَيْتُ لِي نَاسٍ تَضَيِّعُ سِمُورَتِه

في الكتاب اشعار جمّة من هذا الطراز، تتناول اغراضا شتى، في عرض شيق، وبيان مؤثر..

وكما يحفل هذا الكتاب بالتاريخ والأدب .. فهو ايضاً غني بمفاخر العرب، وآثارهم، بالشجاعة بالكرم، بحماية الجار، بالذب عن الديار، باجارة الخائف، بالامجابة لنداء المستصرخ، باطلاق كلمة الحق، بالصدق، بالشيم .. بكل معاني الرجولة والشمم ..

وبالجملة فيه يتجسد المخلق العربي، ويعود بذاكرة القاريء الى ما كان يفعله العرب الاقدمون، مما حفظته لنا الكتب، ودونه لنا الرواة ..

وانني لملي ثقة ان هذه التجربة، سوف تلاقي من القاريء العربي، ما تستحقه من اقبال واحتفال، ليكونا دافعاً للمؤلف الى المضي في متابعة بحثه، واكمال سلسلته ..

ولا شك أنه يبحثه هذا، وقد اضاف الى المكتبة العربية صفراً نفيساً ، هي في اشد الحاجة الى مثله .. فله منا عاطر الشكر ووافر التقدير .

الرياض في ٢٥ - ٦ - ١٣٩٨ هـ
عبد الله بن خميس

مقدمة المؤلف



بِأَلِي جَرَى وَشَعَتْ وَأَبْلَغَتْ وَأَنْفَعَتْ
عَزَّ اللَّهُ إِنِّي لِلْحَقِيقَةِ نَحْرُوتُ
عَلَى فَعَائِلٍ مِنْ ذَكَرْتِهِ تَقْصِيَتْ
قُولِي بِلَا فَعَلٍ صَدَى عَقَبِ تَضَوِيَتْ
بِالْمَقْدِيمِينَ أَهْلِ النَّصَا وَالسَّلَائِلِ
عَنْ قَوْلٍ بَعْضِ النَّاسِ عَذْلٍ وَمَائِلِ
وَيَشْهَدُ عَلَى مَا قُلْتُ زَيْنُ الْمَائِلِ
وَقَوْلِي يَفْعَلُ هُوَ خِيَارَ الدَّلَائِلِ

تاريخ بلادنا الأدبي، كتاريخها السياسي، والاجتماعي، والقبلي، والروحي،، لم تكتب بعد الكتابة الصحيحة، المستوعبة، وما قرأنا عن ذاتنا، ولم نقرأ الامم هنا، الا المامات، لا تعطي صورة متكاملة، ولا تكون فكرة صحيحة . . فكثير من الآثار، والأخبار، والأشعار، والوقائع . . لا تزال رهن صدور الرجال، يتصيدا الباحث من هنا وهناك، ويلاقي ما يلاقي من جمع متفرقاتها، والربط بين أحداثها، ومواءمة أزمائها، والمقارنة بين اقوال الرواة عنها . . وكثيراً ما يعتورها الخطأ، ويضيع معالمها النسيان . . وإذا انقرض الجيل الذي صدره اوعية لها، ولم يبق الا جيلنا الذي عاش حياة هائلة هادئة، يسودها الأمن، ويحوطها خفض العيش، وتقعده بأهلها قصر الهمم عن استيماب تاريخهم . . فمعناه فقدان جوانب أثيرة من تاريخنا، وقصم حلقات من سلسلة ماضينا، يطلبه الآخرون فلا يجدونه، ويتصيدون بعض معالمه فتدون ملفقة مهزوزة . .

وليت شعري اهي القدرة الثقافية لم يتكامل بعد نضجها، ولم تؤت أكلها لتعنى بما يعينها؟! او أنها ثقافة ينقصها التجميع، والتنظيم، والتهديب . . لتتلاقى في شكل جمبعيات، وروابط، ومتديآت . . معنى كل جانب منها بجوانب، ويتخصص كل قبيل بمتنجه؟!!

أو أن المثقف لدينا قعدت به همته، ونام عن واجبه، ولم تكن له بسلفه

الذين أدوا ضريبة الثقافة، ويدلوا واجب العلم.. لم تكن له بهم اسوة،
ولا قدوة ١٩

سيان كان هذا، أو ذاك، أو ذاك.. فهو عجز لا نبرىء انفسنا من
جريته، ولا نغفيا من ملامته!!

وحيثما أتصدى أنا وأمثالي للتأليف، ونحن - وان توفرت لدينا مادته - ،
فلا ندعى لانفسنا توفر أدواته التي نكتبه بها.. ولكنها الغيرة على تراث يهدده
العدم، ومجد ينوشه النسيان، وتاريخ لم يكتب، وكتوز لم تطلب.. فلنا
فيها فضل الحفظ والتدوين، وللغيارى بعدنا فضل التتميق، والتدقيق..

على انني في مؤلفي هذا قد تناولت جانباً من جوانب، وأعطيت قطراً من
بحر، وأثبت بما أعلمه، وتركت ما ليس لي به علم، وكل ذلك في مهيع
واحد، هو تاريخ أدبنا آخذاً جانباً منه متمثلاً في قصص ابطال خمسة..
جعلتهم أولى حلقات لسلسلة ابطال آخرين، تبرز فيهم خصلتان، هما
الفروسية، والشاعرية.. وما اكثرهم، طواهم تاريخ لم يكتب، وحقب انتهت
ادوارها، واندرست معالمها..

وما اخترت هؤلاء الابطال الخمسة أبداً بهم هذه السلسلة، لأنني بدأت
بالأهم على المهم، أو لأن غيرهم دونهم بطولة وشاعرية.. لا، ولكن
دراستهم تواجدت لدي قبل غيرها، ورواة اخبارهم حظيت بهم قريباً مني..

وما أردت ان أوثر بدراستي قبيلة دون قبيلة، ولا جهة دون جهة، حينما
ترى - قارئ الكريم - ان اربعة من هؤلاء الخمسة من قبيلة واحدة، هي
قبيلة عنزة، ومن جهة واحدة هي شمالي المملكة.. ولكن اسباب البحث
هي وحدها التي تحكممت في الوضع، وهيات الفرصة.. فأعيزك من ظن
يفضي الى الاثم، ومن تفكير مادته الخيال..

وحيثما ترى في دراسة هؤلاء الابطال مواقفهم البطولية، وأيامهم

المشهودة ضد القبائل الأخرى، ونكايتهم بهم .. فما أنيت بها معرضاً ، ولا غامزاً ، وما أردت أن امدح هذه على حساب النيل من الأخرى .. ولكنني اكتب تاريخ ابطال، يقتضيني الواجب استيعابه، ويطلب مني التاريخ تدوينه، وما أراك تعفيني من المسؤولية، حينما اغمط بطلا حقه، وأهمل جانباً من تاريخه، لأن ذلك لا يرضى قبيلة أخرى ..

وسوف ترى عند دراسة ابطال آخرين، من قبائل أخرى، كيف أورد بطولاتهم ضد قبائل ابطالنا الخمسة هؤلاء ..

فالقضية قضية كتابة تاريخ لكل قبيلة وعليها، والناس عبر الحقب والقرون، غالب ومغلوب، وموتور وواثر ..

والحمد لله الذي نقلنا من تلك الاحسن، والحزازات، والاحقاد، والنارات .. الى امة واحدة، اصبحوا بنعمة الله اخوانا.

وما اثاره المنعنات، والقبليات، والاقليميات .. الا ضرب من الجهل، ومس من الخيل .. تأيي هذه الامة المتحدة، الموثقة، البانية، ان يدخل كيانها، او يتخلل صفوفها ..

وربما وقعت عينك في هذا الكتاب، على بيت من الشعر أو أكثر، رويته لشاعر، وانت ترى انه لشاعر آخر .. وربما جاءت رواية من الشعر أو اكثر في هذا الكتاب ، على نحو ما أوردته، وانت ترى ان الرواية الصحيحة غير ذلك .. او جاءت رواية او قصة مخالفة لما تحفظه عنها .. كل ذلك ربما صادق وانت تقرأ هذا الكتاب .. وربما يصادقك غيره ..

ولكي لا تتعجل بتخطيتي، يجب ان تعلم ان ادباً، وتاريخاً ، ظل مستودعه صدور الرواة، قروناً متعاقبة لا بد ان يقرأ عليه ما يطرا، من زيادة، ونقصان، ومبالغة في الرواية، وتباين في الأداء، وتأثر بالمحاطة، وتعصب للقبيلة، وتحامل على الأخرى .. وهكذا وقع في ادبنا العربي الفصيح، بل

وقع في السنة المطهرة، لولا الغياري من علماء المسلمين، الذين كانوا صيارفة في النقد، وحذائقاً في تمييز الأصل من الذخيل، والخالص من المزغول..

من هذا ندرك ان الأدب الذي يعتمد على الحافظة، عرضة للخطأ، مظنة للتحريف..

فمثلاً لو رويت قصة من القصص، في متلدى، وطلبت من أفراد هذا المتلدى، ان يعيد كل فرد روايتها، لوجدت تبايناً في الرواية، واختلافاً في الاداء.. فكيف بما تنوّل عبر القرون، وذهب أهله في عالم الفناء..

انني لم ادخر وسعاً في تصحيح الرواية، وتحقيقها، وفي المقارنة بين اقوال الرواة، والأخذ بما هو اقرب الى الصحة، وادنى الى المعقول: وما آليت جهداً في التحفظ، حينما يروي راوية عن قومه، لعلمي ان العرق دساس، وان العاطفة أخاذة.. فما رويته في كتابي هذا لا ألوم نفسي بعد ما بذلت في تهذيبه، وبالغت في تحقيقه.. وجل من تنزه عن النقص، وتعالى عن الخطأ

ولقد قلت آنفاً ان ما حملني على هذا التأليف، هو الغيرة على تراثنا المهمل.. ولا انسى انه يدخل تحت ذلك عرض سام اردته، وهو ان يفتح ناشئتنا أعينه على نماذج من سلفه، مثلوا العروبة في اجلى مظاهرها، شجاعة وكرماً، وخلقاً وشهامة، وذباً عن الديار، وحفاظة على الجوار، وحماية للدمار..

ان في هذه النماذج لقدوة، واننا لفي زمن ضم فيه الخلق العربي، ومرغبت اصالته، ولانت قناته، وخذش حله.. فوجد به الاعداء مغمزاً وجرحهم ضعف جانبهم للطمع في تحطيمه.. فما أحوجنا الى استثارة الهمم، وتحريك المشاعر.. ولعل في ابراز المجد الغابر، على نحو ما جاء في هذا المؤلف، ضرباً من التنويع، ووسيلة من التحريك.. ادلى فيها بدلوي، وماخير الخير أردت.. والله المستعان..

محمد بن احمد السديري

الكِتَاب

- - سعدون المواجهي
- - ساجر الرفدي
- - شالح بن هلالان
- - ميخدي الهيداني
- - خلف الأذن

تنبيه : الصور التي وضعت لهؤلاء مستوحاة مما عرف من أوصالهم

سعدون العواجي

سعدون العواجي - نسبه - رئاسته - فروسيته - شاعريته - إبنائه عقاب وحجاب - نشأتهما بسورية - تنازع الزعامة بين سعدون وابن عمه شامخ - تغلب شامخ عليه - استنجاهه بإبنيه بالشعر - مجيء ابنه واستخلاص الزعامة من شامخ - حرب العواجية مع شمر - مساجلات شعراء الطرفين - غرام عقاب العواجي بابنة عمه (نوت) - شعره بها - حروب العواجية مع قبيلة حرب - الشعر بينهما - مصرع عقاب وحجاب على أيدي شمر - حزن سعدون العواجي على ابنه - رثاؤه الباكي - شعراء شمر يرددون الفخر - سعدون يربي أحفاده ويعددهم لأخذ الثأر - الأحفاد يتبارون في الشعر لأخذ الثأر - ابن عقاب يثأر ويقتل هابس القعيط - غنيم الرضا وابن طوعان لدى عبد الله بن رشيد - آل بريك شمر من قبيلة الدواسر .



عقاب بن سعلون المواجهي

الشيخ سعدون العواجي هو شيخ عموم قبيلة (وُلد سليمان) التي هي من أفخاذ قبيلة عنزة الكبيرة، له شأن بين قبائله، ورأسته لهذه القبيلة حريفة، مطاعاً بين افراد القبيلة، شجاعاً ومشهوراً بفروسيته ، وشاعراً مجيداً، اشعاره حماسية . . وكثيرة الفخر وكان محترماً حتى عند أعدائه، وله أبناء كثيرون، ولكن لم يشتهر منهم سوى ابنه عقاب، وحجاب، وهما شقيقان . . اما بقية ابنائه فلم يشتهروا. وشهرة عقاب قد زادت على شهرة ابيه، وكان من الابطال القلائل بنجد.

ولكن قبل أن يبرز ابنه وقبل أن يبلغا سن الرجولة، حصل بين الشيخ سعدون، وبين زوجته، والددة عقاب، وحجاب - خلاف أدى الى طلاقها، وذهبت الى اهلها في بلاد سورية، ومعها ابناها، وهي من قبيلة الفدعان من عنزة، الموجودين في سورية، وكان اخوال الشابين - عقاب وحجاب - مشهورين بين افراد قبيلة الفدعان، وقد تربيا في اخوالهما احسن تربية، وبعد ان بلغا سن الوجولة (خيلوهما^(١)) وأصبعا فارسين يضرب بهما المثل، رغم أنهما بعيدان عن والدهما، وقد التف حولهما بعض من

(١) جعلوا لكل واحد منهما فرساً يركبها ويقاتل عليها . . .

جماعتهما، (ولد سليمان) من النازحين الى سوريه مع قبيلة الغدعان، واصبح عقاب وحجاب يترأسان قسماً من عشائرها في سوريه، اما الشيخ سعدون والدهما فقد بقى شيخاً لجماعته (ولد سليمان) في نجد، الى ان برز شخص من ابناء عمه يسمى شامخ العواجي، وأخذ ينازع سعدون الزعامة، ويعرقل نفوذه على قبيلة (ولد سليمان)، واخيراً استفحل امره، الى ان خفر ذمام سعدون مراراً وتكراراً مستهتراً بأوامر الشيخ، وأخذ يتحداه في كل مناسبة، ويقتل من قيمته عند القبيلة، ويضع العراقيل في وجهه، واخيراً أخذ مكان سعدون، وتزعّم القبيلة، وأخذ يعامل الشيخ سعدون معاملة سيئة، وقد وصل به الامر الى ان حقره، وحظر عليه ان يورد ابله على اي منهل ترده قبائل (ولد سليمان) قبل ان ترد ابل شامخ وابل كل القبيلة، ولم يجد الشيخ سعدون من قبيلة (ولد سليمان^(١)) أي نصير، أو سند يدفع عنه الضيم، وبقي بينهم محترقاً، يتجرع ويلات اللذ . . وقد قال اشعاراً بهذا كثيرة، سأورد منها البعض . . وهو الذي استقيته من رجال عنزة الطاعنين بالسن، وهذه من بعض اشعاره :

الله من هم يكبدي سمرهما
 دلى يمل القلب مل الشواني
 وش خائبة الدنيا سرّيع دوزها
 لو اقبلن سينتها مفقّاتني

(١) ولد سليمان احد فخذ أربعة هم الغدعان والسبعة والسلفا وولد سليمان . . يرجعون الى احد بطون ثلاثة من عنزة وهو ضنى حبيد أما البطان الاخران فهما وائل ومسلم

وَمِنْ عِقَبِ مَانِي مِقْفِي عَنْ نَحْرَهَا
 الْيَوْمَ بَيْنَ الْقَيْنِ هُوَ وَالْجِدَانِي
 وَمِنْ عِقَبِ مَا يَلْبَسُ غَرَابِيبَ شَهْرَهَا
 مِنْ لُؤْلُؤِ قَبِي جِنْدَانَا يَكْسِرُ مَانِي
 يَوْمَ أَنَّ خِيَالَ النَّدَمِ مَا قَصَرَهَا
 فَكُنْ جَذَتْ بِهِ فَهَقِ الْأَوَّلَانِي
 وَالْيَوْمَ طَيِّبْنَا عَلَيِ الشُّبُلِ مِرْزَهَا
 بِأَخْيَفِ مَا نَشْتَا هِلِ الْمِغْرَاتِي
 حُلَّالَ عِفْدَاتِ كِبَارِ عَبْرَهَا
 وَخَالِقِ نَجُومِ بَالِئِهَا سَاهِرَاتِي
 مَا مَالٍ إِلَّا فَارِغٌ مِنْ زِبْرَهَا
 وَلَا حَيٍّ إِلَّا مِقْتَبِئُهُ الْيَمَسَاتِي
 يَارَازِقِي اللَّيْلِ^(١) مَا يَعْثُرُهُ دَخْرَهَا
 طَبُورِ الْهَوَى فِي قَدْرِكَ هَائِلَاتِي
 تُفْرَجُ لِمَنْ غَيْنُهُ نَزَائِدُ سَهْرَهَا
 الْطَلْفُ بَنَّا بِأَهْلِ الْخَافِيَاتِي
 بِأَلَّيْ خَلَقْتَ أَفْقَارَهَا مَعَ بَخْرَهَا
 يَا مَنْ يَحْكُمُكَ تَجْرِي الْكَمَايَنَاتِي

(١) اللي : الذي.

أَوْجَسْتُ مِنْ حَزِّ اللَّيَالِي سَعَرَهَا
وَذَكَرْتُ طَلِبَ إِيمَانِ الْفَائِتَانِي
وَتَشَدْتُ مِنْ اللَّيِّ يَنْثُرُ حَمَرَهَا
وَقَسْتُ اتْلُوكُورَ وَنَحْزِ حِرْزَةِ شِفَاتِي
اللَّيِّ إِلَى جَا الْخَيْلِ خَبْتُ كِمَدَهَا
مُؤَنِّهِ ذَمَّازَ الْقِرْعِ الصَّافِنَانِي
عِقَابَ الثَّبَابَا كَانَ جَاءَهَا دَهْرَهَا
هَوُوقَ الْقَدِيمِ وَنَشَبَعَ الْحَايِمَانِي

لقد تألم بهذه القصيدة ، وذكر الدنيا وميلاتها، وتذكر ركوبه للجياد،
وانه يرجع على الخيل الكاره، وبهزم السابقات من خيل الأعداء، وينقذ من
تخلفت به جواده من رفاقه، انه لا يستحق المحسرات، لأنه أصبح العوز به
ضاراً، حتى انه لا يستطيع ان يجد ما يحمل عليه امتعته، ثم رجع الى ربه،
وطلب منه الفرج، وقال هو الذي سبحانه يرزق الطير باوكارها، وهو
الذي - بأمره تجري الكائنات، ثم تذكر ابنه عقاباً، واشاد به، وأخذ يسأل
عنه وقال: من الذي ينثر الأحمر؟، يقصد دماء الأبطال. ابن الذي يرعب
الخيال، ويكدر صفوها؟، أين الذي من زارته تنفر الصافنات، ويدخل الرعب
في قلوبها، وقلوب فرسانها؟. انه عقاب الخيل، ومشيع الطير من لحومهم.

ثم اردف بهذه القصيدة الأخرى، بين فيها انه قد هزم على الرحيل، ليفارق
شاغماً وغطرسته، وعندما لاحظ بعض الذين يعطفون عليه، يجمع امتعته،
ويمحملها على رواحله اخذوا يلومونه وحاولوا ان يثنوا عزمه، ولكنه اصر على

الرحيل، وقال في قصيدته: ان شاعراً لا ينصاع للحق، لذلك فهو سيبتعد عنه، ويمالج آلامه بالفراق، لأن في البعد سلى له :

قَالُوا تَحْزُونُ قُلْتُ بِمَا لَزِيحُ نَجَاعِ
وَقَالُوا تَقْنِمُ وَقُلْتُ بِمَا لَزِيحُ مَا قِنِمِ
قَالُوا عَلَامِكَ قُلْتُ مِنْ قُلِّ الْأَفْرَاحِ
صَنِيعَةُ خَلَا مَا عِنْدِي إِلَّا الْهَدَارِيمِ
وَالِي بَنَيْتَ الْحَقُّ مِنْ شَامِخِ ضَاغِ
يَطْرُقُ عَلَيَّ دَائِبُخُ الرَّاسِ تَطْرُقُ
يَمِيدُ عَنِ الْقَالَاتِ طَلْقُهُ بِسَالِصِغِ
مِنْ قَلْبِي إِلَيْكَ بِضَرْبِهِ بِاللَّهَازِمِ
لَيْتَا صَارَ مَا تُؤْفِي حَمِيلِكَ مِنَ الضَّاعِ
مَا يَنْقَعُ لَكَ عِنْدَ حَضْنِ النَّوَاهِمِ
شُبْرٍ مِنَ الْبَيْدَا يَمْوُضُكَ الْأَفْرَاحِ
وَشَوْدُ اللَّيَالِي يَمْنُذُكَ مِنَ الضُّيَمِ

ولكن هذا لم يكن به حل لأمره، فهو اذا ابتعد عن قبيلة (ولد سليمان) سيكون لاجئاً عند احدى القبائل، وهذا يرى ان فيه نقصاً عليه بعد العز الرفيع، الذي كان عائشاً فيه، واذا انفرد وحده في فيافي نجد فسوف يكون لقمة سائغة لبعض الغزاة من الصعاليك، وهو لا يستطيع وحده حماية نفسه، ولذلك فقد رجع بعد أن رحل مرغماً، بهذه الظروف زاد شامخ بطنانيته، وتجره على سعدون، الرجل الطيب، الوفور الشجاع، جرى هذا

كله على سعدون، وابناه عقاب وحجاب عند اخوالهما بالأراضي السورية،
ولهما (مخصصات) عند الدولة العثمانية، مثل بقية مشايخ عنزة،
الموجودين بسورية. والمواصلات بينهم مقطوعة، واخيراً لفت نظر
سعدون شخص من الذين يعطفون عليه، ان يكتب لأولاده، ويشكو إليهم،
ويخبرهم باعتداء شامخ على جميع سلطاته، وخفر ذمامه، وإهانتة بين
قبائل نجد. فكتب سعدون لابنيه هذه القصيدة :

يَا زَاكِبٍ مِنْ عِنْدِنَا قُوفُ مِهْذَابٍ
مَأْمُونٌ قَطَاعِ الْغِيَا فِي إِلَى انْوَيْتِ
عِنْدَ الْفَضِيلَةِ هَذَا يَوْمِي بِحَسَابِ
أَوَّلِ قِرَائَتِهِمْ قَسْوُلٌ بِاضْيَافِ حَيْثِ
حِرٍّ صَغِيرٍ وَتَوْمًا شَقٍّ لِي نَابِ
وَعَقَبَ الْفِرَا وَدَغَ رِجَالٍ لَهُمْ مَبْنِيتِ
وَلِيَا رَكْبَتَهُ ضَرْبَهُ خَلٍ^(١) الْأَجْنَابِ
وَانْحَزْ لِنَجْمِ الْجَدِيِّ وَإِنْ كَانَ مَدْنِيتِ
وَأَسْلَمَ وَسَلَّمْ لِي عَلَى عِقَابٍ وَحِجَابِ
سَلَّمْ عَلَى مَضْنُونٍ مَيْتِي إِلَى الْفَيْتِ
بِالْحَالِ خِصَمُ عِقَابٍ فَكَأَنَّكَ الْأَنْشَابِ
بِنَجِيكَ كَانَ أُنْكَ مِنَ الْحَقِّ مَدْنِيتِ

(١) الخَل: الطريق في الرمل.



سعدون العواحي

قُلْ لَہٗ تَرَى (شامخ) شِمَخٌ حِقْبٌ مَا شَاب
 وَيَا حَقَابٌ وَاللَّهِ ذَلَّلُونِي وَذَلَّيْتُ
 وَيَا حَقَابٌ حَلُونِي عَلَى غَيْرِ مَا طَابَ
 وَقَالُوا تَوَقَّزْ مِنْ وَرَى الْمَاءِ وَتَمَدَّيْتُ
 مِنْ حَقْبٍ مَانِي يَشْرُهُمْ حِنْدَ الْأَجْنَابِ
 وَلِبَاسُهُمْ قَالَةٍ مَا تَقْنِيْتُ
 مَا دَامَ شَامِخٌ مَالِكٌ جَرَدَ الْأَرْقَابِ
 لَوْ زَيَّنَ الْفُجْجَالِ لِي مَا تَقْهَوِي
 يَا حَقَابٌ حَطَّ بِشُومَةِ الْقَلْبِ مِخْلَابُ
 مِنْ الْعَامِ لِي تُؤْمِ الْقَرْبِ مَاتَهَيَّيْتُ
 الْجَفْنُ عَنْ نَوْمِ الْمَلَا فِيهِ تَسَابُ
 وَحَدَّ الطَّعَامِ مِدْوَسٍ بِهِ حَلَانِيْتُ
 حِقْبُ التَّمْرَةِ صِرْتُ يَا حَقَابُ مِرْحَابُ^(١)
 وَالنَّاسُ حَيِّنٌ وَأَنَا حِقْبُكُمْ مَيْثُ
 مِنَ الضَّمِيمِ يَا حَقَابُ السَّرْبِ عَارِضِي شَابُ
 وَأَذُونِي مِنْ كَثْرِ الْعَنَّا وَاسْتَحْقَمِيْتُ
 فَاتْنُ ثَلَاثَ سِنِينَ وَالنُّؤْمُ مَا طَابُ
 وَشَكْوَايَ مِنْ صَدْرِي جِبَارُ وَتَنَاهَيْتُ

(١) مرحاب : ذو رعب .



حبيب بن سعدون المواجهي

الْبَيْتَ مَا يَنْتَى بَلَا جُنْدٍ وَأَطْنَابٍ
 مَتَى يَجْبَسَا عَقَابُ يَتْنِي لَنَا الْبَيْتَ
 مَالِي جَدًّا^(١) إِلَّا عَصَّةُ الْيَهُمِ بِالنَّابِ
 وَرَاعِبْتُ كَثُرَ الْحَنِيفُ بِالْمَعِينِ وَاغْضَبْتُ
 أَرْجِي بِشَيْئَرِ الْخَيْسِرِ مَسْخَ كِسْلٍ هَبَّابِ
 وَمَتَى يَجُونَا أَخْوَانُ (نِمَشَّة) عَلَى الْمُنْبِتِ

ولا بد ان القارىء لاحظ مرارة شكوى سعدون لابنيه، وحرارة الذلة، وكيف انه اصبح مهاناً يعيشه بين قومه، ذليلاً حسيراً عاجزاً عن كل شيء، بعد ماكان يحمي حماه ويقوم بنائبات القبيلة، وقد شكى لاولاده وبين كل ما يلاقيه من شامخ، من تعسفات، ثم اثنى على عقاب، وناداه ليحلي الضيم عنه، ويفرج كربته، واخيراً قال انه يرجو البشير الذي يشره بمقدم ابنه مع الرياح المتطلقة، وتساءل متى يصل أخوا ابنته نمشة اللذان كان لهما صيت.

وبعد ان وصلت هذه القصيدة لابنيه عقاب وحجاب، ثارت ثائرة عقاب، وأمر أخاه ان يبيىء نفسه للرحيل من بلاد سورية، ويترك مقرراته التي استحصل عليها من دولة الأتراك هناك، ما دام أن والدهما قد لحق به الأمر ثم قال عقاب هذه الأبيات مناجياً صديقه عيداً، وكان عيد هذا يمتلك فرساً ليست من الخيل الأصائل، وأشار عليه عقاب بالقصيدة ان يبيعهما، لأنهم ذاهبون لنجد، وليس في نجد الا الخيل العتاق، والرماح والطعن، وخشى على صديقه عيد ان يخوض معمعة على جواده الهجين، ويكون ضحية

(١) جدًا : مالى حيلة.

بالميدان، أو ينهزم ، ثم يعد من الجبناء، وقال : يا صديقي عيد ساهدي
إليك أول جواد أصيل أخذها غنيمة في أول معركة نخوضها بنجد :

يَا عَيْدَ جَلَبْ مَهْرِكَ عَفْنَةَ الذَّيْلِ
لَا عَادَ مَا تَكْسِبُ حِذَا^(١) قُولِ خَيْالِ
رِخَا لِنَجْدٍ وَلَا يَنْجِدِ مَخَاصِيلِ
يُطَقِّنْ وَتُطَقِّنْ قُوْفَ عَجَلَاتِ الْإِزْوَالِ
إِنْ طَفَعْنِي يَا عَيْدُ بَدِّلْ بِهَا بِحِيلِ^(٢)
وَدَوِّزْ لَهَا مِنْ عَابَةِ الشُّوفِ دَلَالِ
إِنْ نَزَتْ^(٣) قَالُوا عَيْدُ حَيْلِ هَلِ الْخَيْلِ
وَلِنْ هِنَتْ قَالُوا رِذْ مِنْهُمْ بِخَيْالِ

قال الفارس عقاب هذه الأبيات ، فأطاعه صديقه عيد ، وباع الفرس ،
واشترى لأولاده زاداً ، ورحل عقاب وأخوه وصديقهم عيد ومعهم بعض
الخدم ، وترك جماعته الذين من (ولد سليمان) بسورية ، ومشى بظلمته إلى
نجد وقد استغرقت رحلته ثلاثين يوماً ، وصل بعدها بالقرب من منهل يسمى
(الحيزا) من ديار قبيلة (ولد سليمان) وقد باتوا على مقربة منها ، بعد أن
تأكدوا أن أبل قبائل (ولد سليمان) واردة على هذا المنهل ، في الليلة

(١) حِذَا : سوى .

(٢) بدل بها كحل : اكل بتمنها .

(٣) نرت : شردت ، عَيْلُ هَلِ الْخَيْلِ : قواد هزيمتهم . والهوش المتنة .

وَرِذْ مِنْهُمْ بِخَيْالِ : أسر منهم فارس .

المذكورة وبعد طلوع الفجر الأول، قام عقاب وتأبط سيفه، وأمر أخاه ومن معه ان يتبعوه بظعيتهم، ثم مشى على قدميه متجهاً الى العرب الذين على (الحيزا) مختفياً، وأخذ يبحث عن بيت والده سعدون، وكان قد استوصف من الناس مايدله على بيت أبيه وقد قيل له . . إن شامخاً امر على أبيه بأن لايرفع بيته بين بيوت القبيلة، إذ لآلأ له وكذلك أمر راعي ابله قليلة العدد، ان لاترد على الماء الا بعد ان ترد ابل الحي باكملها، وعندما وصل بيت والده قبل طلوع الشمس، وقبل أن يرد احد على البئر، وجد والده نائماً، وكذلك راعي ابل والده نائماً بين الإبل، فأيقظ الراعي، وقال له قم أورد ابلك على الماء، فقال له الراعي : لا استطيع يا حماء، لان الشيخ شامخاً سيضربني، وقد امرني ان لا ارد الماء الا بعد ان ترد القبيلة، فنهزه عقاب بشدة، وحاول الراعي ان يعتذر لانه لايعرفه، فأكد عليه، وقال له : أورد ابلك وانا معك، ولا تخف، ومشى الراعي قسراً بالابل الى البئر، واختفى عقاب بين الابل، وعندما وصلوا قرب البئر، شاهد شامخ ان راعي ابل سعدون قد ورد الماء، عاصياً لامره فثار ثائره، ونادى الراعي، وتهدهده، فقال عقاب للراعي بصوت لايسمعه شامخ : امض لسبيلك ولا تجه، وعند ذلك اشتد غضب شامخ، وأخذ عصاه، واقبل من بيته يعدو، ليشبع الراعي ضرباً كعادته، وعندما قرب شامخ منه، خرج عليه عقاب من بين الابل، كأنه الأسد، مجرداً سيفه، ووثب على شامخ ليقتله، وعندما رآه شامخ، عرف ان هذا عقاب، الذي خبر اوصافه، وتأكد من شاريه اللذين يلامسان اذنيه، فصعق شامخ، وعرف انه لايستطيع الدفاع عن نفسه، ولا يتمكن من الهرب الى بيته، ففضل ان يرمي نفسه بالبئر القريبة منه، وفعل ما رمى

نفسه، وأطل عليه عقاب، وأدلى عليه الرشاء، وقال اخرج، فقال: هذا هو قبري، لا يمكن ان اخرج الا ان تغفو عني، فقال عقاب: ان جبنك الذي رأيته سيجعلني اغفو عن قتلك مشروطاً ذلك بعفو الشيخ سعدون اي ابيه فترك عقاب راعي الابل يسقيها، وامر من حوله ان يخرجوا شامخاً الجبان الذي اختار ان يرمي نفسه بالبئر، ورجع عقاب بعد ان رأى أخاه حجاباً قد وصل بالظعينة، فأوماً اليه نحو بيت والده، وامرهم ان يتنوا البيت الكبير، وان يرفعوا عماده، وبعد ان سلموا على والدهم، تهلل وجهه بشراً، وسر برؤية ابنائه، وبعد ان بنى البيت اثنا مجلسه بأحسن الأثاث، وهبوا مقعداً وثيراً لو والدهم من احسن المفروشات التي كانت تنسج بسورية آنذاك، وطلبوا من والدهم أن يجلس عليه، ثم أمر عقاب صديقه عيدا، ان يركب إحدى الخيل، ويبلغ القبيلة بأن يحضروا للسلام على الشيخ ولديه عقاب وحجاب، فراح صديقهم مسرعاً وبلغ القبيلة بعد طلوع الشمس فجاءت قبائل (ولد سليمان) وسلموا على سعدون وابنيه وتمت البيعة لسعدون من جديد، وقد اعجبوا بعقاب وحجاب، وكان اعجابهم بالشيخ عقاب عظيماً جداً، حيث تأكدوا من رؤية الرجل الذي سارت بأخبار شجاعته الركبان، من بلاد سورية، وقد تم التحول بهذه الطريقة البسيطة، واشاد ابنا سعدون مجد والدهما من جديد، وراح شامخ نسياً منسياً، وقد عفا عنه الشيخ سعدون، لأنه رآه لا يستحق أن يجازيه على افعاله، لما ظهر من جبنه، لقد رفع عقاب وحجاب والدهما الى القمة، واخذ الشيخ سعدون يصول ويجول في بلاده، لا يخشى أحداً من القبائل، وزاد به الأمر ان أجلى بعض

قبائل شمر عن بلادهم.. ولا شك ان هذا يسواعد ابنائه، خاصة ابنه عقاب، الفارس الشجاع.

وذات يوم بلغ سعدون ان اراضي (بيضا نثيل) غصبة، وهذه يملكها مسلط التمياط، شيخ قبيلة التومان من شمر، فالتفت سعدون الى ولديه عقاب وحجاب، وقال لهما: انني احب ان ارحل الى (بيضا نثيل) وأخذها عنوة من مسلط التمياط وجماعته، فأجاب ابناء بالسمع والطاعة، وقالوا عليك ان تأمر، ونحن سنأخذها قسراً، فأمر سعدون العرب بالرحيل، لأخذ (بيضا نثيل) من التمياط، وقال سعدون : سأرسل له هذه القصيدة ان يترك (بيضا نثيل) بدون حرب. لأنه يجب ان يدلل ابله بها، لأنها غصبة، وهذه هي القصيدة :

يَا زَاكِبَ اللَّيْلِ مَا لَهَجَهَا الْجَنِينَا
مَاهِي وَحَدَمَا قَامِنُهُ لَهْ ثَمَانَا
فِيحِ النُّحُوزِ مَعْبَلَاتِ الْيَدِينَا
مِنْ سَامِنِ قَبِيرَاتِ وَأُبُومُمْ حِمَانَا
يَلْفَنُ لِمَصْلَاطِ رِسْرُثَةِ الْغَايِمِينَا
قُلْ اِرْحَلُوا عَنْ جَوُكُم مَّازَمَانَا
نَبِي نَدْلِهِ مِفْرِحَاتِ الْعَيْنِينَا
أَذَوَاذِ مِسْنِ رَفِي الْمَخَافَةِ سِمَانَا

مَا لَهُمْ بِوُزْنِ اجْدُودِنَا الْمَقْدِمِينَ
 كَسِبَ بِالْأَيْدِي مِنْ حَلَابِيبِ حَدَانَا ^(١)
 نَفْكَوْهُمْ مِنْ لَابِيَةِ مَغْنَمِنَا
 وَمِنْ دُونِهِمْ هُوَ الْعُرَيْسِي عَصَانَا
 بَرَزَ عَنْ يَظْلٍ عِقَابٍ مِرْزُوي الشَّيْنَا
 اللَّيْ لَبَا صَارَتْ عَلَيْنَا حَمَانَا
 وَكُذِّلُوا تَرَانَا بِمُهُمْ مَقِيلِنَا
 وَيَقْصُرُ عَنْ الطُّوْلَاثِ كَانَهُ بَنَانَا ^(٢)
 هَدُونَا يَجْنِيهِ لَوْمَا يَجْنِيْنَا
 وَنُضْفِي عَلَى جَدُونَا مِنْ خَطَانَا
 وَنَرْكَبُ عَلَى اللَّيْ كُتْنُ الشَّيْنَا
 خَبِلَ الصَّحَابَةُ مَا اعْتَرَضَهُنَّ حِصَانَا ^(٣)
 وَالْمَوْتُ جُنْدٌ اقْطَبَهُنَّ وَإِنْ حِدِينَا
 وَيَاسِرْخُ رَذَ وَجِيهَهُنَّ مَعَ قِفَانَا
 وَفَعَلَا اخْدُوا (بِيضًا نَثِيلًا) مِنْ (مَصْلُطِ التَّمِيَاطِ)، وَاتَسَعَتْ حُدُودُ سَعْدُونَ
 الْعَوَاجِي هُوَ وَقَبِيلَتُهُ، إِلَى أَنْ بَلَغَتْ مِنْ (خَيْرٍ) إِلَى قَرَبِ طِي وَشَمَالَا
 (تِيْمَاءَ) وَالنُّفُودَ.

(١) حَلَابِيبُ حَدَانَا: الْأَبْلُ الَّتِي كَانَ يَحْلِبُهَا أَهْدَاؤُنَا اخْدَلْنَاهَا قَهْرًا مِنْهُمْ.

(٢) كَانَهُ بَنَانَا: إِنْ كَانَ أَرَادَنَا.

(٣) كُتْنُ الشَّيْنَا: ضَامِرَاتُ كَانَهُنَّ الشَّيْنَانُ مِنْ شِدَّةِ الضَّرْمِ. وَمَا اعْتَرَضَهُنَّ حِصَانًا. أَيْ
 مَاخُولُطٌ نَسَبُهُنَّ بِلِ كُلِّهِنَّ مَحْفُوظُ النِّسَبِ.

ومع كون عقاب اشهر بالشجاعة والفتك، فقد هام بفراغ احدى بنات
 الحي وتسمى (نوت) هذه الفتاة كانت اجمل فتاة بين قبائل عنزة، ويضرب
 المثل بجمالها، وقد قال عقاب فيها الاشعار الكثيرة، وقد بحثت عن
 اشعاره بمحبوبته (نوت) ولكني لم اظفر الا بأربع قصائد، ادونها للقارىء
 تباعاً وهي كما يلي :

يَا وَتَنِي ، بِأَقْصَى الْغَمَامِيزُ سَنَدُهَا
 لَا زُكَيْتُ مَشْدُوبَ الْمَرَاثِبِ تَزْدَادُ
 وَتُؤْتِي عَجُوزٍ مَاتَ عَنْهَا وَلَدُهَا
 رَمَلِي ضَعِيفَةً مَالَهَا خَبْرَةَ أَوْلَادِ
 صَلَّى إِلَهِي مَتْنَاهُ قَلْبِي عَقْدُهَا
 حَبَّ يَمْكُثُونَ الْعَشَا يَنْبِذُ اسْتِنَادُ
 وَغُرُوقُ قَلْبِي يَسْتَهْنُ بِسَدُهَا
 صَارَتْ كَمَا تَكُنْ عَلَى الدَّارِ بِبَادِ
 إِنْ ابْتَلَتْ عَيْنِي بِحَبْلِهَا رَمَدُهَا
 وَدُخُولُهَا بِنَفْسِي قَنَاطِيشَ الْأَوْدَادِ
 وَإِنْ تَرُوتُ كَبْدِي بِحَبْلِهَا لِنَدَا
 مَرَّ هُنُوقٍ وَمَرَّ مَا تَقْبَلُ الرُّزَادِ
 إِلَهِي كَمَا الْفِنْجَالِ غَرَّةَ نَهْدُهَا
 وَالْثُوبُ عَنْ رُؤْسِ الثَّمَرِ هَادِ ابْتِجَادِ
 ذَكَرْتُ رَبِّي يُسْومُ قَضَتْ جَعْدُهَا
 خَلَقَهَا رَبُّ لَسَةِ النَّاسِ سِبْجَادِ

رِيمِيَّةُ مَا تَرْتَعِ الْأَوْحَانُ
تَقْطِيفُ زَمَانِيكَ الْغُرَامِي بِالْأَجْرَادِ
ثم قال قصيدته الثانية شاكياً غرامه به (نوت) وشاكياً لواقعته وما يقاسيه
بحبها وهذه هي :

وَكَبِدِي اللَّيْلُ كَيْفَ بَعْدَ حَمْوِ لَيْلِي
بِالْقَيْظِ وَالْأَحَامِي الْجَمَزِ نَالِي
تَفْوُحُ لَوْحِ مَبْهَرَاتِ السَّوَالِي
جَزَلِ حُطْبُهَا زَكَاةً ثُمَّ شَالِي
وَالْعَيْنُ جَاءَتْ دَمْعَهَا بِأَنْشَالِي
بَشْدِي هَمَّالِي الْمَطَرِ مِنْ غِيَالِي
مَنْ وَاحِدٍ يَتَمَبَّ عَلَيَّ شِدَّةً بِأَلِي
لَوْ مَا عَنَّتْ رِجْلِي لَقَلْبِي حَالِي
هَزْبِي تَشَادِي قَلْبِي بِالْظَّلَالِي
لِي حَذُّ لَوْحِ مَا تُنْوَلِي حِيَالِي
وَقَدْ بَلَّيْتُ يَلْعَبُ بِهَا الْهُمْلَالِي
بِدَلِّ الظِّلِّيمِ وَيَتَمَبَّ اللَّيْلُ حِيَالِي
اللَّيْلُ بِمِيدَانِ الْمَوْتَةِ مَشِي لِي
يَرْخُصُ كَلَامُهُ وَيَتَفَالِي حَالِي
أَنَا أَشْهَدُ إِنَّهُ بِالْهَوَى سَمٌّ حَالِي
وَيُسُّ عُرُوقَ الْجِسْمِ وَادْوَى غِيَالِي

جُنْدِي غَلَاةٍ مِرْغَمِي كُلِّ غَالِي
طِفْلٍ مِعْلَبْنِي بِزَايِدٍ دَلَالِي

وأما قصيدته الثالثة فقد شكى فراق محبوبته، وكان أهلها رحلوا بها بعيداً عنه، وحالت بينه وبينها الفياضي الشاسعة، ولا يستطيع ان يصل اليها، وأخذ يصف ما بينهما من البعد، ويشكو الى اخيه حجاب في آخر القصيدة :

مِنْ دُونِ خُلِّي حَالِ (حِرْنَان) وَ (كِبَاد)
(وحلوان) مَرْقُوعِ الْجَبِي حَالِ دُونِهِ

شَدُّوا وَعَلُونِي عَلَى الدَّارِ وَنَجَاد
وَأَقْسَتْ مَعَ الْبَرِّهَا تَبَارِي طَمُونِهِ
وَالدَّمَغِ مِنْ جِبْنِي عَلَى عَشْدِي أَبْدَاد

يَقْلُ الْغَيْثِينَ إِلَيَّا انْتِشَرِ مِنْ رُؤْنِهِ
فَرَقِي لَطِيفِ الرُّؤُخِ بِاخْبَجَابٍ لَا حَادِ

هَقْبُهُ ضَمِيرِي بِإِسَاتِ شُنُونِهِ
بِاخْبَجَابٍ كَانَ انْكَ مِنْ الْحَالِ نَقَادِ

عَلِّي بِقَلْبِي جَابِرَاتِ طَمُونِهِ
الَّتِي ذُبَخْنِي بِالْهَوَى بِإِبْنِ الْأَجْوَادِ

طِفْلٍ قَرُونِهِ مَا قَطَاعِهِنْ زُنُونِهِ
طِفْلٍ لَشَرَاذِ الْمَهَا حَاذِ قَوَادِ^(١)

يَجِيرُ عَقْلِي نِي ثَوَامِيْفِ لُونِهِ

(١) قَوَاد : يعني قائد سرب الظباء وهي أجملهن وأبرزهن.

جَبَّةً يَمْكُتُونَ الْعَنَسَى يَنْبِذُ امْتِنَادَ

وَأَنْ خَاصِنِي بِاخْتِبَابِ رَبِّي يَخُونُهُ

قصيدته الرابعة، سأل محبوبته (نوت) فيها لماذا رحلوا عنه، وقال انه تحقق الفراق بيني وبينك، ووصف دموعه ووجده، وان بفراقها مال عليه الدهر، وطلب منها الرجوع لتعالج فؤاده. وانه اذا طال الفراق سيرجمها فوق الصافنات الجياد، لو أدى ذلك الى خوض معركة :

يَا نُؤُوثَ عَنَّا ظَمُونُكُمْ لِنَسْهَ شَالَتْ

يَا حَيْفَ نَسَمِ فِرَاقِنَا يَا حَبِيبِي

زَمَلِكْ مَعَ الْعَزَمِ الْمَشْرِفِ تَكَالَيْتْ

وَقَفْتُ أَرَايَهُنَّ وَقَلْبِي هَضْبِي

هَبْكَ مَبُونِي بِالدُّمُوعِ اسْتَحَالَتْ

مِنْ لُؤُوثِ عَدُوِّي نَسْرَمِنْ لُؤُوثِ جِنِي

وَهَبَّكَ عَلَيَّ يَا زَيْنَ الْأَكَامِ مَالَتْ

أَزْجَعُ وَهَالِجُ ضَايِرِي بِسَاطِئِي

وَذَارِنَا مِنْ هَفْبِ قَرْقَاكِ مَالَتْ

مِنْ دَمْعِ هَيْبِي لَأَمْ يَنْزِجُ شِعْمِي

وَأَنْ كَانُ قَرْقَاكُمُ عَلَى الْقَلْبِ طَالَتْ

نَجْمِيكَ لُؤُوثُ مَثَارَاتِ السَّيْبِي

نَاصَلَكْ لَوْ مِنْ دُونِكَ الْقَوْمِ حَالَتْ

مِنْ لُؤُوثِ قَبِّ يَسْرَهَجَنَّ الْحَرِيْبِي

اَوَانْ دُونَكِ قِرِحِ الْغَيْلِ جَالَتْ
لَا رِمَ يَحْيِيكَ حَقْنَا مِنْ نَمِينِي

هذا ما حصلت عليه من قصائد عقاب العواجي بمحبوبته (نوت) ولا بد ان له اشعاراً كثيرة، لان غرامه معها كان طويلا، وكان مستفيضاً بنجد، حتى ان الفارس الشجاع، والعاشق المعروف، نومان الحسيني، كان في رحلة صيد، ومعه عبده قنير، ومعهما طير (صقر) وقد اطلق الصقر على حباري ولحق به نومان على جواده يعدو واثناء تتبعه له، مر بفئة بدية الجمال، راكبة بكرها داخل هودجها، وقد اعجب بها، وترك الصقر والحباري، وأوقف جواده عند الفتاة، وأخذ يغازلها، لعله يظفر بعطفها وغرامها، ولكن الفتاة لم تلتفت لكل ما ابداه، من تودد وأخذت تسأله عن شيء لم يخطر بباله، انها تسأله عن اشعار عقاب العواجي بمحبوبته (نوت) وتلح عليه ان يخبرها ان كان يعرف شيئا من ذلك. لقد خسر نومان صقره، الذي غاب عنه بالصحراء يطرد طير الحباري، وخسر ما هو مؤمله من غرام الفتاة، لقد دفعت بكرها ولحقت بظعون أهلها الذين كانوا راحلين في الصحراء، ورجع نومان الى عبده قنير، فسأل العبد مولاة عن الصقر، فأجابه نومان بهذه الأبيات :

الطَيْرُ مَنِّي بِأَقْنِيرُ خَدَا فُؤُوتِ
يَطْرِدُ حَبَارِي غَمَّ تَالِي الْمَظَاهِيرِ
دَلَيْتُ إِنِّي النَّايِقَةُ وَازْهَجِ الصُّوُوتِ
إِلَيَّامَا ابْعَدُوا عَنَّا الْعَرَبَ وَانْتَحَى الطَّيْرُ

أَلْهَتْنِي اللَّيْلُ بِمَنْ عَيْتَهُ سَنَا سُوءُ
 نَجَلٍ هَيُونِهِ وَالشَّابَّاءُ مَقَانِيرُ
 يَقُولُونَ وَشَنْ قَالَ الْمُوَاجِجِي عَلَى نُوتِ
 شِبْهِ الطُّيُوحِ اللَّيْلُ نَحِظُ الْمَقَاهِيرُ

وهذا دليل على ان غرام عقاب بنوت كان مشتهراً.

و(لرحيل) والد (نوت) اخ يسمى (قربيس) له ثلاثة ابناء، احدهم ابرم
 عقد نكاحه على نوت بنت رحيل، ولكنها رفضت الزواج من ابن عمها هذا،
 لان غرامها بعقاب قد تمكن من قلبها، ولا ترضى الزواج بغيره، وكان
 بينهما روابط قوية، واخيراً اضطر عقاب الى ان يأتي اليها بوضع النهار،
 على مرأى ومسمع من اهلها، ويجلس بالقرب منها، ويحدثها ماطاب له
 الحديث، ولا أحد يجزئ أو حتى يفكر بمنعه، وكان عشقاً بريئاً كل البراءة،
 ويبعداً كل البعد عن الرذيلة، ويمتهدى العفة.

لقد لاحظ ذلك ابن عمها المعقود له عليها فتشاور مع اخوانه بالامر،
 وقرروا ان يذهبوا لعمهم (رحيل)، ويخبروه ان امر عقاب تعدى الحدود،
 وانهم لا يقبلون ان يأتي عقاب لابنة عمهم، ويحدثها.. فذهبوا لعمهم
 واخبروه بالامر، وقالوا : ائنا مصممون على ان نتصح عقاباً بالمدول عن
 أمره، وان اصر على تحديه فسنقتله، ونحن نطلب رأيك، فنظر اليهم عمهم
 طويلاً، ثم هز رأسه، وقال هذه الكلمة : ياويلكم من عقاب !!، ياويلكم
 بعد عقاب !!، وقام بعد هذه الكلمة، وهنا بهتوا، وبقوا يتساءلون عن
 معنى كلمة عمهم، فقال لهم اكبرهم : نعم ان عمكم يقول ياويلكم من

عقاب ان حاولتم قتله، وهذا شيء من المستحيلات، لأن عقاباً كما تعرفونه، ليس بالسهل قتله، اما قوله ياويلكم بعد عقاب، فمعناه انكم لو ظفرتم بعقاب وقتلتموه فقد هدمتم هزكم، وخسرتم الشخص الذي اوهب اعداءكم، وحى بلادكم، وفتحنا بيننا وبين ابنا عمنا مشكلة كبيرة، ستكون سبباً بانقراضنا جميعاً، وان افضل ان تتركوا (نوتا) لعقاب، وهو احق بها، لانه يحبها وهي تحبه، وهذا هو افضل شيء نعمله لحل المشكلة، وقد اجتمعوا على هذا الرأي، فتم طلاق (نوت) وتزوجها عقاب، وبلغ امنيته (بنوت) التي هام بغرامها سنين طوالا، وبعد ان عرف عقاب ما دار بين الاخوة وهمهم، رحيل العواجي، وانهم طلقوا (نوتا) من اجله رأى لزاماً عليه ان يقابل الجميل بالجميل، وكانت له اخت تسمى (حرفة) سبق ان عقد لها على ابن عمه القريب المسمى (دغام الأحيمر)، لذلك ارسل عقاب لابن عمه، واخبره ان ابناة قرينيس عملوا معه جميلا وطلقوا بنت همهم (نوت) من اجله، وانه يجب ان يكافئهم، ونظرا لان حرفة رافضة الزواج منك، فأنا احب ان تطلقها لازوجها على الذي طلق (نوتا) من اجلي. . فقال: انا لن اطلق حرفة ولو قطعت رقبتي، فثار عقاب، واقسم على نفسه ان يقطع رقبته في الحال، وطلب سيفه، وكان عقاب لا يقول شيئاً الا فعلة، وعرف دغام انه قاتله لا محالة، وحالا ارتمى على ركبتي عقاب، واخذ يقبلهما معلناً طلاق حرفة، جاهراً بصوته، وبعد ان طلقها زوجها عقاب سعود بن قرينيس، الذي طلق (نوتا) وكذلك ارسل لأخويه الآخرين، وقال لهما أن هاتين الطفلتين يقصد ابنتيه، الصغيرتين اذا بلغتا سن الزواج فسوف ازوجهما بكما، وفعلنا زوجهما بهما، وانجبت كل واحدة منهما،

ومن الثابت عندي ان أسباط عقاب من ابنتيه هم الذين يترأسون قبيلة (ولد سليمان)، وقد وصلت اليهم الرئاسة بعد وفاة عقاب وابنه، ولا زالوا هم رؤساء القبيلة، ويقال لهم آل محمد^(١).

نرجع إلى الشيخ سعدون والد عقاب، بعد ان استولى على (بيضا نثيل) من التومان، حصل بينه وبين قبائل شمر معارك هائلة، حتى أجلاهم عن بعض مساكنهم، وقد دافعوا دفاعاً بطولياً، خاصة قبيلة الغيثية من عبدة، اما مصلط التمياط وقبائله، فقد جلوا عن ديارهم، واستولى عليها سعدون، وابناؤه، ولم تزل يملكها العواجية الى الآن.

بعد انتصار سعدون العواجي على مصلط التمياط وقتله ابن اخيه، قال الشيخ سعدون هذه القصيدة :

يَا زَاكِيٍّ مِنْ عِنْدَنَا فُوقَ نَسْنَسِ
يُنْشِدُ ظَلِيمِ جَالِلٍ مَعَ خَمَائِلِ
زَيْنَ الْقَفَا نَسَابَ الْقَمَرَا مِقْعَدَ الرَّاسِ
وَمَقَرَّرٍ مِنْ سَاسِ هَجْنِ اصَايِلِ
لَا تَكْذُرْ دَوَايِ وَلَا رَاخَ عَنَّا
عِزِّي إِلَى مَا فَاتَ حَمُو الْقَوَائِلِ

(١) ابنتا عقاب واحدة اسمها (جرزة) والأخرى اسمها (برزة) فزوج جرزة هو محمد... وابناؤها منه هم الذين تزعموا قبيلة (ولد سليمان) ولا زالوا ويقال لهم آل محمد...

يُلْفِي لَوَايِلَ مِرْوِيَّةٍ كُلِّ هَبَّاسٍ
مِكْلَلِينَ شَذَرَتِهِ بِالْفَقَائِلِ
إِلَى جَبْتِهِمْ فِي رَبْعَةِ الشَّبْعِ جَلَّاسٍ
يُنْشِدُكَ مِنْ هَوْلِي صِدِّيقَ بَسَائِلِ
قُلْ صَبَّحْنَا أَجْرُودَهُمْ مَا لَهَا أَقْيَاسُ
مَنْحَنِ الْجَبَلِ جَانَا مَعَ الصَّبْعِ صَائِلِ
وَأَنَا أَحْمَدُ اللَّيِّ عَاضَهُمْ كَسْرَةَ الْبَاسِ
كَيْبَرُوزَةٍ وَصَلْتُ قِفَارَ وَحَائِلِ
فِي رَوْضَةِ التَّنَهَاتِ قَرَطَنَ الْأَبَّاسِ
وَذَبَحَ لِيَامَا جِبْتٌ بِضَا نِشَائِلِ
وَكَمْ جِلَّةٍ مَجْدُودَةٍ مَسَا بِهِمَا رَاسُ
بِنِيُوفٍ يَنْفَسُ الطَّنَا وَالْقَلَائِلِ
وَكَمْ سَابِقِي رَاكِبَهَا طَاخَ مِنْحَاسِ
مِنْ التَّمْرِقَةِ يَجِينُكَ لِلْقَاغِ مَائِلِ
وَالصَّبْحِ جَانَا مِصْلَاطِ دَابِغِ الرِّاسِ
وَجَاءَ الْعُقَابُ الصَّيْرَمِي فَوْقَ حَائِلِ
وَاعْدَزَ يَنْقُلُ السَّيْفَ وَاعْدَزَ بِالْأَلْبَاسِ
وَرَاوَحْتُ يَقْمُزُ بِهِ زَبَارَ الْمَسَائِلِ
وَجِرَّيسِ خُلِّي فِي (زَوَاقِبِ) حَرَّاسِ
وَيَا وَيْلَ مِصْلَاطِ عِقْبِ وَافِ الْخَصَائِلِ

وَلَبَا قَعْدَ بَالِيْنِيْتِ يَزْهِي بِاَلْأَبَاسِ
عَمْرَه صِيْفِيْر وَمَاضِي لَه فَعَايِل

بعد هذا ارسل مفتاح الغيثي الى قبائل شمر يستحميهم، ويطلب منهم النجدة، فحضر عدد منهم، ووقفوا في وجه سعدون، وقفة الأبطال، وحصلت بينهم وبين سعدون معركة هائلة، على المنهل المسمى (بظفرة) وهو من مياه شمر، انتصر فيها شمر على العواجي وقبائله، وقال شاعر شمر رشيد بن طوعان هذه القصيدة يصف المعركة.

بَا مِزْنِيَهْ غَمْرَا نَشَتْ لَه رَقَارِيْف
هَلَّاتْ حَلَى ظَفْرَه مِطْرَهَا اِنْهَشَامِي
زِيْئِيْدِيْهَا رُوْمُنْ اَلْمَهَاَزِ الْمِزَاهِيْف
وَعَشْبَه قُسْرُوْنْ مِسْتَجِيْنِ الْاَوْدَامِي
تَضَرَّخْ بِهَا حِذْبُ السُّيُوفِ الْمَهَادِيْف
وَنَفْتَحْ بِهَا بِقْعُ النَّسُوْرِ الْاِنَامِي
دَرَّ بِمُودَاْنِ الْبَلَشَّرَا وَتَجِيْف
وَرُوْحُوْا قَرَاكُمْ بِمَا قُرُوْخُ الْجَلَامِي
طَعَانِيْنِ تَسْرِي وَتَجْرِي مِنْ السَّيْفِ
وَمِنْ (وَأَقَمَّة) مَا شَبِعُوا لِلْمَقَامِي
زَمَلِ الطَّوَالِيَّاتِ جَنَّاكُ مِزَاهِيْف
حَلَى جَنَاحِ الْكُوْدِ يَمْشِيْنَ هِمَامِي

يَتْلُونَ عَذْوَانِ زُبُونِ الْمِشَاهِنِ
كَتَابَةِ الْمِيزَانِ رِيْشِ الثَّمَامِ
تَهَجَّتْ اسْرَجَ جُمُوعِهِمْ بِالتَّوَاتُفِ
الْسِّنِ وَجِيْهِه جُمُوعَهُمْ بِالنَّخَامِ
وَنظَرَتْ رَيْمِي عَايِرِيْنَ التَّوَاتُفِ
إِلَى الْخَيْلِ بِالزُّهَامِ وَالْجَنَعِ زَامِي
وَنَسِمٍ مِنَ الْمُضْلَانِ وَأَوْلَادِ ابْنِ سِفِ
وَهَبَالِ عَلِيَا كَانَهَا بِالنَّحَامِ
إِنْ فَاتَ مَا يَفْتَوْشُهُمُ وَالطَّارِيفِ
رَقْدًا لِيَمْنِي مَفَكِكَاتِ اللَّجَامِ
أَنَا أَشْهَدُ أَنْ قُلُوبَهُمْ صِنَعِ بَاخِلِيفِ
وَزَدُوا حِمَاضَ التَّوْتِ وَزِدَ الْقَوَامِ
وَدَيَارِنَا حِنَا لَنَا بِهِ بَصَارِيفِ
(سَلَمَى) (وَرْمَان) (وَأَجَا) (وَالْعَصَامِ)
عَيْنَاكَ يَا رُمَانِ زَيْنِ الْهَقَامِيفِ
بِمَاذِيْعُنَا دُونَهَا مِنْ هَلَامِ
نَطَمَنْ وَنُطَمَنْ عِنْدَ هَاكَ الْكَرَامِيفِ
وَتَسْلِفِ دُونَهُ عَمَارِ بَسَامِ
نِيْنِي نَقْلُطُ مِيْرِهِنِ لِلْعُجَامِيفِ
إِنْ مِغْكُثِ الْبِيْهَانِ دُونِ الطَّمَامِيفِ

ورغم ان شمرا انتصروا بهذه المعركة . فان سعدونا العواجي وأبناءه . لم يفقدوا شيئاً من اراضي شمر التي كسبوها .

لقد استفحل امر عقاب العواجي . وجندل عدداً كبيراً من فرسان شمر ، لقد اتفق شمر على ان يصبوا فنجانا من البن ، ويضمهوه بينهم ، ويقولون لفرسانهم : الذي يشربه في مجتمعهم هو المسئول عن قتل عقاب ، في اول معركة نخوضها معه ، انه لا يمكن ان يتجرأ على شربه ، الا من كان قوي الجنان ، وعنده الثقة بنفسه ، فقام شاب من بين الصفوف يسمى (ابا الوقي) ولم يكن من عائلة لها ماض بالقروسية ، فأخذ الفنجان وشربه ، في مجلس شمر ، وقال انا شارب فنجان عقاب ، وسأقابلة على ظهور الخيل ، وعندما التحم شمر في معركة مع (ولد سليمان) جماعة عقاب العواجي ، وعندما رأى (ابا الوقي) عقاباً بين الخيل ، دفع جواده ، وكان عقاب لا يظن ان احداً يتجرأ ويهجم عليه ، خاصة مثل هذا الشاب الصغير ، فلقى عقاب ولما اقترب كل واحد من الآخر ، أطلق كل منهما سهمه على الآخر ، ولكن لم يصب احدهما ، والتصقت جواداهما ، وتماسكا بالأيدي على ظهور الخيل ، ثم وقعا على الأرض ، فهجمت فرسان قبائل هنزة ، لتخليص عقاب ، وهجمت فرسان شمر هي الأخرى لتخليص ابا الوقي ، الشاب الذي ضرب اروع مثل بالبطولة ، ونفذ ما التزم به ، ودارت المعركة وحمى الوطيس ، وثار غبار الخيل ، وغطى كل شيء ، حتى ان الفارس لا يبصر الآخر ، وتخلص عقاب من الشاب ابا الوقي ، وقام من الأرض والغبار يحجب كل واحد عن الآخر ووقعت يد عقاب على سيف بالأرض وأسك بجواد واقف فوق رأسه . وكذلك ابا الوقي هو الآخر . اخذ سيفاً ، ووجد جواداً من حوله ،

فأخذه وعندما افترقا اذا بالسيف الذي مع عقاب، هو سيف ابا الوقي وكذلك الجواد كان جواده، و ابا الوقي وجد ان السيف الذي معه والجواد هما سيف عقاب وجواده، وانفصلت المعركة بعد ذلك، وكانت النتيجة خيبة أمل للشيخ سعدون، لأنه رأى بالأمر غضاضة عليه، حيث ان جواد ابنه وسيفه يأخذهما شاب صغير من قبيلة شمر، ليس معروفاً ، ولم يكن له ماضٍ، وليس كفواً لمقابلة عقاب في نظره، وقد قلق للأمر وسهر ليلته ولم ينم، فجاء اليه شيوخ قبيلة (ولد سليمان) وقالوا له لا تقلق يا ابا عقاب، على فقدان جواد وسيف، فكل خيلنا وسيوفنا نقدمها لعقاب، عوضاً عن جواده وسيفه، فقال انا لا يهمني جواد عقاب وسيفه، ولكن الذي يشغل بالي، ويحز في نفسي واخشى منه، هو ان شاعر شمر مبيريك التيناوي، قد وقع على بيت من الشعر، عالق بذهني الآن، فقالوا له ما هو البيت يا سعدون الذي تخشى ان يجده شاعر شمر؟ فقال لهم هو هذا البيت :

السَّيْفُ مِنْ يَمْنِي عِقَابٍ خَلَيْنَاهُ
وَالْغَيْلُ بِدَلٍّ كَذَبْنَاهُ بِالْأَصَابِلِ

وفعلا وقع ما كان يخشاه سعدون، حيث بعد انفصال المعركة، قال شاعر شمر مبيريك التيناوي، قصيدة من ضمنها البيت الذي اشار اليه سعدون، وهو ثاني بيت من القصيدة الآتية :

أَبَا الْوُقَيْي بِالْيَمْنِ خَضِبْنِ يَمْنَاهُ
وَأَنَا شَهْدُ إِنَّهُ مِنْ عِيَالِ الْحَمَائِلِ

الشَّيْفُ مِنْ يَنْتَى عِقَابِ خَلْدَنْتَاهُ
 وَالْخَيْلُ يَذَلُ كِدْشَهَا بِالْأَصَابِلِ
 هَذِي سِلُومُ يَنْتَا بِالْقَرَابَاهُ
 مَا زَيْنُ بِيحِ الْيَنْمِيعِ بِإِيْنِ وَابِلِ
 وَعِقَابُ مَا سَبَّهْ وَلَا يَبِّ جَلْبَاهُ
 أَنْ جَمَوْ عَلَى قَبِّ الْمَهَازِ الْأَصَابِلِ
 يَزْكُضُ عَلَى الصَّابُوزِ مَا يَنْ مِرَاوَاهُ
 شَيْ تَمَرَفْهِ يَكْمَلُ سَنَمُو الْقِيَابِلِ
 لَا شَكَّ جَنْدِي لَهُ فِهْهُودُ مَقْدَاهُ
 جِيَالُ شَمَرْفُوقُ قَبِّ سَلَابِلِ

وفي بعض السنين نزل على سعدون وابناؤه الشيخ مجول ابن شعلان،
 ومعه قسم من قبائل الرولة أيام الربيع، وقد اتفق مجول بن شعلان،
 وسعدون العواجي، أن يغيرا على قبائل حرب الموجودين بأراضي « رخا »
 الماء المعروف، وفعلا غزوا حرباً وأغاروا عليهم بالمكان المذكور،
 وأخذوا منهم مواشي كثيرة، من بينها ابل مشهورة تسمى (بشملا) وكان
 زعيم قبائل حرب ابن فرهود، كان غائباً عندما أغاروا عليهم، وبعد أن
 رجعوا إلى ديارهم غانمين، رحلوا جميعاً إلى الشمال، بديار سورية، لأنها
 باردة في أيام الصيف، وعندما علم ابن فرهود شيخ قبائل حرب، برحيل
 سعدون العواجي وابناؤه وعربانهم مع الشيخ مجول بن شعلان، أرسل لهم
 هذه القصيدة، يتهددهم، ويقول أرجعوا لدياركم محاولاً أن يأخذ ثأره

منهم ، ومبيناً ندمه انه لم يحضر عندما أخذت الابل المشهورة (شملا) وهذه قصيدته :

يَا مَجُولِ الْغَيَّاتِ يَفْضَا بِهَا دِئِن
هَيْئَةً جَنَّبَهَا يَوْمَ جَاهَا الرُّوَالِي
لَا وَاعْسَاوَةَ لِبَيْنَا لِلتَّوَامِينِ
يَوْمَ أَنْ (شَمَلًا) فَسَرَيْتَ لِلشَّمَالِي
يَا عَقَابِ لَا تَقْفِي بِشَارَ الشَّمَالِينِ
إِنْ كُنْ لَدَارِكَ يَا كَرِيمَ الشِّبَالِي
يَجْعِي عَلَى ثَسْبِ سُوَاةِ الشُّبَاهِينِ
سُوْرَ هَلَّى اللَّيْ يَنْزِلُونَ الْجِبَالِي
نَبِي نِطَارِ ذُ شَارِبِيْنَ الْفَلَاوِينِ
وَنَاعِذُ حَوْضِ شَمَلًا بِكَارِ جَلَالِي
إِنَّمَا جَدَحْنَا عَقَابَ لَيْثِ الْفَلَايِينِ
وَالْأَجَدَحْنَا حَبَابَ رَيْفِ الْهَزَالِي

وعندما وصلت هذه القصيدة سعدون اجابه بهذه القصيدة :

اِنَّارِي كَذِبِكَ يَا بَنُ فِرْهُوْدَ بِالْحَيْلِ
نَقُؤُنْ مِنْ خَوْفِكَ نَحْرُنَا الشَّمَالِي
لَوْلَا عِلْمُوكَ مَا نَكَسْنَا صَنْ الْكِيلِ
مِنْ الدَّبْرِهْ اللَّيْ فَعُفَهَا شَفَتْ بِأَلِي

يَا نَاشِئِدَ عَنَّا قَرَانَا بِمَقَابِلِ
 نَنْزِلَ لَكُمْ (رُخَا) وَنَاخِذَ لِبَالِي
 نَبِيَّ يَطَارِدُكُمْ عَلَى شِرَّةِ الْخَيْلِ
 وَتُشَوِّفُ مِنْهُو لِلْبَائِيَا بِوَالِي
 وَاللِّي يَطَارِدُ خَيْلَكُمْ صَفْوَةَ الْخَيْلِ
 بِأَيْمَانِهِمْ مِثْلَ الْمُحْضُوصِ الْمَدَالِي
 وَهَقَابِ قُوفٍ مَشْمَرٍ تَجْسِرُ السُّدُنِ
 مُلَايِمِهِ مِنْ خَيْلِكُمْ كَمَلٌ قَالِي
 إِلَيَا عَدَا فَيُكْمِ عَدَا فَيُكْمِ الْوَيْلِ
 وَيَرْوِي حِدُودَ مَصَفَّاتِ السَّلَالِي
 نَطَاحَ قَاسِمِينَ الرَّجَاجَانَ الْمَشَاكِلِ
 وَبِالْفِعْلِ تَشْهَدُ لَهُ جَمِيعُ الرَّجَالِي
 يَا وَيْلَكُمْ مِنْ زَايِدَاتِ الْغَرَابِيبِ
 إِنَّ طَارَ عَنْ قِيَمِ الْمَهَارِ الْجَلَالِي
 إِنشِئِدْ وَتَلَقَّانَا عَلَى فِرَاحِ الْخَيْلِ
 بِأَيْمَانِنَا رِيْشَ الْغَلَبِ لَهُ ظِلَالِي
 حِدُودُنَا نَنْقِيهِ وَيْلٌ بِشَرِّ وَيْلٍ
 وَصِيدَقْنَا يَشْرَبُ قَسْرَاحَ زِلَالِي

ورجع سعدون بقبائله متحدياً ابن فرهود، ونزل منهل حرب «رخا»
 وأغار على قبائل حرب، وأخذ أموالاً وخيلاً كثيرة، بعد أن توارى عنه ابن
 فرهود، وهرب طالباً لنفسه النجاة . . ثم قال سعدون هذه

القصيدة، مفاخرأ ومشيدأ بفعل ابنه عقاب، وقومه وقال ان حربأ نفرت منهم
مثل ما تنفر الأغنم من الذئب، وهاهي القصيدة :

إِنْ كَانَ ابْنُ إِزْهُوْذَ بَطْلِيْبٍ لِّقَمَانَا
جِئْنَا عَلَى الرِّزْقَاتِ خِيْلَ الصَّحَابَةِ
جِئْنَا وَزِينَتُهُ قُوْطْرُهُ نَسِيْنَا
مُفْلِ الْقَطِيْعِ الَّذِي نَحْنُهُ السَّدْبَابَةُ
(وَشَمَلًا) تَزَايَدُ نِيْهَا فِي جَمَانَا
وَيَا مَا خَذَبْنَا هِيْرَهَا مِنْ جِلَابِهِ
وَجِئْنَا الْبِكَارِ الْمَكْرَمَاتِ السَّمَانَا
وَطَرِشْ كَثِيْرٍ وَلَا عَرَفْنَا حِسَابَهُ
جِئْنَا لَيْتَا صِلْنَا طُؤَالِ خِطَابِنَا
وَهَلِيْ عَسَايِدُنَا نَهَارَ الْحِرَابِ
نَجِيْكَ قُوْقٍ مَّكَاطِمَاتِ الْعِنَانَا
صَفِيْرٍ عَلَيْهِمْ لَا يَبِيْنُ الْعَصَابَةُ
عَادَانَا وَإِنْ كَانَ يَفْنَا اِقْبَلَانَا
مِنْ دَمُهُمْ (رُخَا) نِرْوِي رِبَابَهُ
وَعَقَابٌ قُوْقٍ مَشْمُرٍ يَمْدَانَا
الْغَيْلُ فِي يَوْمِ الْمَلَاقِي تَهَابِهِ
مِنْكُمْ يَرْوِي حَرِيْقَهُ وَالسَّنَانَا
وَفِرْسَانُكُمْ قَفَّتْ دَعْرَهَا عِقَابِهِ

جَاكُم مِزِيجٌ بِالْعَجَلِ مَا تُوَاتَا
وَمِنْ يَوْمِ حَلِّ بَغْيِكُمْ جَا ذَهَابِهِ
مِنْكُمْ عَدِينًا بِأَلْعَرِيبِي قِرَانَا
كَلَّ أَبْلَجٌ حِثًّا قَصَرْنَا شَبَابِهِ
نَرْقُدُ بِأَمَانٍ اللَّهُ وَتَشْهَرُ عَدَاؤُنَا
وَمَنْ فَعَلْنَا يَنْهَزُ بِكَيْسَرِ الْمَهَابَةِ
حَرِينَا يَقْضِي وَيُلْقِي عَيْنَانَا
مِثْلَ الْعَشُومِ لِلطَّائِلَةِ مِنْ هَضَابِهِ

بعد ان رجع سعدون وقبائله الى موطنهم، كان عقاب بن سعدون لا يكفيه ان يهاجم عرباناً بعربانه، ولكنه كان دائماً يغزو غزوات بعيدة المدى، يغنم فيها اموالا من مواشي الأعداء البعيدين، وكان يغزو احيانا جهات القصيم، وأواسط نجد.

وفي غزوة من غزواته صادف ثلاثمائة فارس من فرسان حرب وكان معه ثمانون فارساً فوقع الطراد بينه وبينهم وحصل خسائر بين الجميع، ولم يغنم ابلا من حرب، رغم انه لم يغز الا من اجلها، واثناء رجوعه وعند وصوله الى احياء قبائله، اعترضته فتاة تسأله عن حليلها وكان من الفرسان المرافقين له :

يَا عَقَابُ يَا حِبْسَ الظَّمَنِ بِاللَّيْلِ الثَّيْنِ
بِأَلِّي حَرِينِكَ بِالْهَزِيمَةِ يَمْنَا

عَنَيْتَ ذِيْبَ الْحَيْلِ يَوْمَ الْاَكَاوِينِ
 نُورُ الْعُيُونِ بِغِيْبَةِ الشَّمْسِ عَنَّا
 هُوَ سَالِمٌ وَالْأَرْهُوهُ الْيَمَانِيْنَ
 يَا عَقَابَ خَيْرِنِي تَرَانِي أَتَمُّا

فأجابها بهذه القصيدة :

يَا بِنْتَ يَلْلِي عَنْ حَلِيلِكَ تَسَالِينِ
 حَتَّا لَنَا حَيِّي يَسْأَلُونُ عَنَّا
 خَمْسَةَ عَشَرَ ثَلَاثَةً عَلَى الْوَجْهِ بِقَفَيْنِ
 نَذُورُ وَضَحٍ بِالْأَبَامِرِ نَحْنُ
 وَفِنَا هَلْ الْبُلُّ شَارِبِينَ الْفَلَاوِينِ
 مِمَّنْ دُونَ رَغَمٍ لِلْمُخَوَّرِ يَحْنُ
 جُونَا ثَلَاثِيَّةً وَحَنَّا ثَمَانِيْنَ
 مِثْلُ الْمُخَوَّضِ الثَّلَفِ مِنْهُمْ وَمِنَّا
 وَبَنَاتُكَ زِدْنَهُنَّ وَشَفْنَا الرِّدِّيَّيْنَ
 وَكُلَّ عَرَفْنَا عِرْزُوتِهِ يُؤْمُ كِنَّا
 لَيْتَكَ تَرَاعِي يَا عَذَابَ الْمَزَايِينِ
 بِؤْمُ أَنْ عِنْدَانِ الْقَنَّا يَطْعَمَتْنَا
 مِنَّا حَلِيلِكَ طَخَاحٍ بَيْنَ الْيَمَانِيْنَ
 فَمِي دِيْرَةٍ فِيهَا الْوُضُوحِي تَنْشِي
 وَمِنْهُمْ جِدْعُنَا عِنْدَ شَوْقِكَ ثَلَاثِيْنَ
 وَكَمْ خَيْرٍ مِنْ زَانٍ رَمَحِي يُؤْوَا

فِي سَاعَةٍ فِيهَا تَشْتَبِ الْغُلَامِينَ
 انْطَلَخَ يُخَوِّرُ الْخَيْسِلَ يُؤْمِ اقْبَلْنَا
 يَا مَا تَقَلَّتْ الذُّبْنَ وَالْحَقْنَةَ الذُّبْنَ
 وَخَرَيْنَا فِي نُومِنِهِ مَا تَهْنَأُ
 أَرْسِي لَهُمْ يَا بِنْتُ وَأَنْشِي تَعْرِفِينَ
 لِيَا مَا حَمَامَ النَّصْرَ رَعْرِفَ وَغَنَى
 وَارِدَهَا وَالْحَقْنَ رِيُوعَ مِخْلَبِينَ
 بُوجِيهِ قَوْمَ يَطْلُقُونَ الْإِهْنَأُ
 عَادَاتِنَا نَخْلِي سِرُوجَ الْمَمِينِ
 وَنُروِي حِمْدُودَ مِصْقَلَاتِ رِحْنَى
 وَقِلَائِمِي مِنْ نَقْوَةِ الْخَيْسِلِ هُشْرِينَ
 قَسِيٍّ وَلَا فِيْهِنَّ ثِيَابٍ وَدَنَّا
 بِهِذَا انْبَاهَا عِقَابَ إِنْ حَلِيلَهَا قَدْ قَتَلَ .

اما قبائل شمر فلم ينسوا ما خسروه من ديارهم ، لقد أرسلوا رسلهم
 لقبائل شمر النائية يستنجدونهم على سعدون وابنائته ، وفي هذا الأثناء غزا
 هابس القعيط ، شيخ قبيلة آل بريك - شمر - ، من الجزيرة بالعراق ، ومعه
 سبعون فارساً غزا بلاد (ولد سليمان) ، جماعة سعدون العواجي ، وعندما
 كمن بالقرب من مغالي ابل (ولد سليمان) رآهم شخص من قبيلة آل سويد
 من شمر . كانت والدته من جماعة سعدون العواجي ، وهم اخواله ، فذهب
 لهم ، واذرهم هجوم شمر اهل الجزيرة الذين يترأسهم هابس القعيط ، -
 لذلك سميت عائلة هذا الشخص (بالنذرة) ولا زالوا بهذا الاسم حتى الآن

بين شمر - ، وعندما علم (ولد سليمان) ان هابس القعيط ومن معه قد كمنوا لابلهم، هبوا وركبوا خيولهم، وراحوا للإبل بالمقل من ليلتهم، وفي الصباح اغار عليهم جماعة هابس القعيط، يتقدمهم زعيمهم البطل الشجاع هابس، وحصلت المعركة بينهم، وهزم هابس القعيط وجماعته، والقوا القبض على سبعين شخصاً كانوا من جماعة القعيط يحملون الماء والشعير، للسبعين الجواد التي عليها الفرسان، وهؤلاء يسمون (زاميل الخيل): وراح عقاب يطارد فرسان شمر المنهزمين، واتبه اخوه حجاب، وعندما ابصر هابس القعيط عقاباً وحده واخوه يتبعه بعيداً عنه، التفت الى جماعته، وقال اليوم هذا يوم الثأر، انظروا عقاباً وحده، والذي اتى به اليوم هو حظكم يا فرسان شمر، ويجب علينا ان نهب عليه جميعاً لعلنا نظفر به، واذا اراد الله وقتلناه ، فقد أخذنا ثأر شمر جميعها، وذكرهم بفارس شجاع قتله عقاب بالعام الماضي، وهو هذلول الشويهري، وكان عزيزاً على كل قبائل شمر، وفقدانه كان خسارة عليهم، فشخذ همهم، واستثارهم، فصمموا ان يهبوا هبة رجل واحد، وفعلوا جرى ذلك عندما اقتربوا من كتيبان من الرمل تسمى (زبار اريك)، وكان عقاب على مقربة منهم، فرجعوا شاهرين سلاحهم صفّاً واحداً ورشقوا عقاباً بسهامهم فقتلوا جواده، فخر على الأرض، ثم نزلوا عليه وقتلوه، واستمروا يطاردون اخاه حجاباً فظفروا به وقتلوه، حصل هذا وفرسان (ولد سليمان) لا يعلمون عما حصل على زعمائهم عقاب وحجاب، وكانوا منشغلين عند السبعين الشخص الذين اسروهم، وبقوا يتقاسمون غنيمتهم، وما علموا انهم خسروا بذلك عقاب الخيل واخاه حجاباً، وبهذا انهدم عز الشيخ سعدون، وتداعت اركان

مجده، بفقدان أعز أبنائه :

أما قبائل شمر فقد شفوا غليلهم بمقتل عقاب وحجاب، وطاب نومهم،
واخذ شعراؤهم يفخرون ويدبجون الشعر، أسجل هنا ثلاث قصائد من
شعرهم، منها قصيدتان لمبيريك التيناوي، وواحدة لابن طوعان، وهذان
من شعراء شمر البارزين : وهذه إحدى قصائد مبيريك التيناوي .

إِنْ كَانَ (هَيْفَا) تَرْهَجَ الْعَامِ الْأَصَوَاتُ
(نَوَاتُ) بِرُؤُوعِ الْيَوْمِ جَعَصَةُ قَطْرَتِهِ
عِقَابٍ رَمَتْهُ بِزُومِ الْأَفْرَاسِ عَجَلَاتُ
وَكَلَّنَ حَكَّاتِ الْبَرَائِنِ وَثْنَهُ
لُؤَاتُ قَبْلِ مَدَوْرَيْنِ الْجَعَالَاتُ
بِأَلَيْتِ عِقَالِ الْمَلَا حَاضِرَيْنِ
وَحَجَابِ بِأَمَّا قَالِ بِأَلَيْتُ : قِمَ هَاثُ
عِزِّي لَكُمْ بِأَلَايَةِ لِقَادِيْنِهِ
مِنْ دُؤْبَعٍ وَالْأَ السَّاعِيْسِ الْأَقَاتُ
لُؤَاتُ مَا عَوْدَ عَلَى مِرْتَجِيْنِهِ
خَلَّوْهُ زَيْنَتَيْنِ (الْمِيَّاحَةُ) (وَالْإِرَاطُ)^(١)
وَيَنَامُ مَعْدُونُ عَلَى سَهَرِ هَيْفَا

(١) الْمِيَّاحَةُ وَالْإِرَاطُ : مما تدعى بها الغنم وترجره، يعني انكم ارباب غنم وارباب الغنم
لدى البادية اقل شأنًا من ارباب الابل فهم يدعونهم الشَّوَانِ .

هَازِي سِلْوَمِ يَنْتَا بِالْقَرَابَات
يَا حِلْوُ رَدَّاتِ الْجِسْرَا قَبْلِ حَرْفِهِ

وهذه قصيدة التبيناي الثانية :

يَا عَقَابَ حَقَبَانَ الْمُنْيِيبِ لَوْ أَنَّكَ
وَأَسْتَلْحَقْنَ يَا عَقَابَ رَأْسِكَ مَعَهُ رَأْسِي
لَا يَحْسَبُ أَنَّ الْخَيْلَ قَابَ عَطْنُكَ لَكَ
أَزْقَابَهُنَّ حُوجَ لَكُمْ حُجْبَ مِرْوَاسِ
أَحْذَرُ مِنَ اللَّيْلِ بِالْقِدْحِ هُدْبُكَ لَكَ
شِهْبَ النَّوَاصِي لُوقَهُنَّ كُلَّ مِثْبَاسِ
هَاسٍ عَلَى حِصْمِ الرَّمَكِ حَاسِي لَكَ
عِيَانُ زُؤْبَعِ مِرْوَيْسَةٍ كُلِّ عَبَّاسِ
بَسْرُنِي زَبَارِ أَوْرِيكَ يَوْمَ أَوْجَهْنُ لَكَ
رَاحَتُ بَدَفْدَا جَيْتِكَ مَا بِهَا رَأْسِي
وهذه قصيدة الشاعر رشيد بن طوعان :

حَيِّ شَهْرِيَّسَ الرَّمَامِيْلِ^(١) وَالْخَيْلِ
يُدَوُّ صَيْدَاتِهِ بِوَرَاةِ الْإِجْتَابِ

(١) الزماميل : سوارس الخيل .

بِأَذُنِ شَبَابِهِ حَذَّبَ الْكُفْسَ الْحَبِيلَ
 وَخَبَطَ بَيْنَهُمَا الْبَحْرُ عِقَبَ مَا شَابَ
 رَاحَ التَّذْيِيزُ وَصَبَّحَ التَّرْنُّ بِالنَّيْلِ
 وَتَكَافَحَتِ فَرْصَاتُهُمْ قَبْلَ الْأَدَابِ
 وَتَوَافَقُوا بِالْمِرْقَى حَذَّ الْفَرَامِيزِ
 مِتْكَاطِيزِينَ مِثْلَ ابْنِ زَيْدٍ وَذِيَابِ
 وَغَسَا زَبَانُ أَوْزُوكِ مِثْلَ الْهَمَالِيزِ
 وَتَثَبَّتِ رِمَاحُ الْقَوْمِ بِأَفْطَى الْأَصْحَابِ
 وَتَسَرَّعُوا لِلْهُؤُوسِ رِسْعَ مِشَاكِيزِ
 حَمَايَةِ السَّالِيزِ وَالْعَبِيلِ هِرَابِ
 هَيْكَالِ الشُّيُوعِ مَمَرِيزِ الْأَخَاوِيزِ
 رَدُّوا عَلَى رِسْعِ تَدَانُوا بِالْأَنْسَابِ
 وَإِنْ كَانَ (تُوتَ) يَزْهَجُ الصَّوْتُ بِالْعَبِيلِ
 لِعُيُونِ (هَيْمَا) يَزْدَعُ الشُّيُوعُ بِخَبَابِ
 أَرْسَعِ لَيْالٍ مَا لَقَنَهُ الْمَرَامِيزِ
 هَلِيزَتْ وَجْهَ كُفُوحِ الْقَضَرِ بِشَرَابِ
 حَرْنَمِنَا لَبَنَ يَزِينُ الْهَلَامِيزِ
 مِتْخَرِّبَاتِ شَلَمَةِ الْحَرِّ لِفَقَابِ
 وَحَرْنَمُهُمْ تَضَرَّعَ صِرْنَعِ الْمَحَاكِيزِ
 جَاهِنَ عِلِيمِ مَعَ هَلِ الْعَبِيلِ مَا طَابِ

يَا ضَبِيبَ لَوْ ذَبَحْتَ كُلَّ الرَّمَامِيلِ
 ذَبْحَةً دَخِلَ الْبَيْتَ مَا تَرَزَّعَ الْبَابُ
 دُنْيَاكَ هَذَاذَى يَالْمُؤَاجِجِي غَرَائِيلِ
 مِنْ شَقِّ جَنْبِ الثَّامِنِ شَقُّوا لَهُ اجْنَابِ

لقد اشار شعراء شمر الى (هيفا) والى (نوت) : اما هيفا فهي والدة
 هذلول الشويهري ، واما نوت فهي زوجة عقاب العواجي ، اشار شاعر شمر
 الى ضبيب وذبحته (للزماميل) فضبيب المذكور هو ابن عم لعقاب
 العواجي ، ويقال انه هو الذي تجرأ وقتل السبعين الشخص الذين اسروهم ،
 من جماعة هابس القعيط .

وعندما رجع فرسان (ولد سليمان) مع ابلهم بالليل ، اخذ الشيخ سعدون
 العواجي ، يقابل كل كوكبة من الخيل يسأل عن عقاب وحجاب ، فيقولون له
 عهدنا بعقاب والخيل هاربة عنه ، وهو يطاردها ، وبقي سعدون على هذه
 الحال يسأل عن ابنه ، وعندما قرب الصباح وعقاب واخوه لم يرجعا ، وكان
 سعدون ساهراً طوال ليله والاسى يخامر نفسه ، فقال هذه القصيدة :

الْبَارِحَةَ نُؤْمِي بِرُؤْسِ الصُّمَائِنِ
 طَوَالَ لَيْلِي مَا تَهَيَّئْتُ بِنَرَاكِ
 كَبِدَ نَمَالِجِهَا بِمُسُوجِ الْفَلَاوِينِ
 وَرَوَايِعِ مَا تُؤَدِّعِ الْقَلْبِ بِنَسَاكِ
 بَلَايِي وَاللَّهِ يَا مَلَا خَابِرِ ثِينِنِ
 تَظْهَرُ عَلَيْنَا مَرِمَاتُ إِلَى رَاكِ

أَلَسِي بِكُفِّ الْخَيْلِ كَفُّ الْبَعَارِينِ
 وَيَسْرِعُ بِرُوحِهِ يَوْمَ يَفْلُونَ الْأَزْوَاجَ
 خَيْالِنَا يُؤْمُ الْخَيْرَ ابَّ الْيَمَانِينِ
 وَيَسْرِعِي بِظُلْمِهِ بِالْخَطَرِ كَيْلٌ مِصْلَاحِ
 خَالُوا عَلَيْهِ أَلْسِي عَلَى الثُّوْتِ جَسْرَيْنِ
 لَا وَابِعَتْنِي مَا يَجَا جُونُ ذِي سَاحِ

وبعد ان تأخر رجوع عقاب وحجاب، رجع فرسان (ولد سليمان) يبحثون عن زعيميهما فوجدوهما قتيلين عند زبار (اريك) فدفنوهما على قمة كتيب من الرمل سمى (بأبرق الشيوخ) ولا زال بهذا الاسم حتى الآن .
 ورجعوا حزاني فقتل (ضبيب) الأسرى بشار عقاب وحجاب، وهذا لم يكن مستحسنًا بعادات القبائل في الجزيرة العربية، وقد اشير عن مقتل السبعين الشخص بالقصائد سالفة الذكر.

اما الشيخ سعدون فقد كبر مصابه بعد مقتل ابيه ، الذين اشادا مجده، وسجلا له مفاخر لا زالت باقية لعائلة العواجية، وملكا قبيلتهم دياراً لا زالوا عاشين بها، وقد قال الشيخ سعدون اشعاراً كثيرة بابنيه، وهاتان قصيدتان منها أولها:

يَا وَئِي وَئِيهَا يَسْغُ وَئَاثُ
 مَعِ تَسْعَ مَعِ تَسْمِينِ مَعِ حَشْرِ الْوُفِي
 مَعِ كَثْرِهِنْ بِأَقْصَى الْحَشَا مَنِيَكُنَاتِ
 هَذَا خَلَقَ اللَّهُ كَثِيرَ الْوُصُوفِي

وَنَّةً طَرِيحَ طَاخٍ وَالْخَيْلَ عَجَلَاتٍ
كَتَمَهُ هَذَا السَّاقِينَ غَادِ شُؤْفِي
عَلَى يَبُوفٍ بِأَلْمَلَقِي مَهْمَاتٍ
يَبْتَلِينَ أَغْلَى مَا غَدَا مِنْ يَبُوفِي
وَعَلَى مَخُوصٍ بِأَلْمَوَارِدِ قَوِيَّاتٍ
أَشْفَى بِهِنَ لَوِ الْقَبَائِلِ صُفُوفِي
أَخْشَمَ بِحِشْمَتِهِنَّ وَلَوْ هُنَّ بِبِيدَاتٍ
وَأَسَامَ لَوِ أَنَّ الضَّوَارِي تَحُوفِي
خَلَّتَنِي يَا عَقَابَ مَا بِهِ مَرَاوَاتٍ
جِبَالِكَ صَغَارٍ وَالذُّهْرَ بِهِ جُثُوفِي
مِنْ حَقِّكُمْ مَا نَبْكَى الْحَيَّ لَوِ مَاتَ
وَلَانِي عَلَى الدُّنْيَا كَثِيرَ الْحِسُوفِي
وَيَا طُؤُنَ مَا جَرَيْتَ بِالصُّذْرِ وَثَاتٍ
عَلَى لِرَاقٍ مَعْقِرِينَ السُّيُوفِي
وَيَا عَقَابَ عَقَبَكَ شَفَّتْ بِالْوَقْتِ مِثْلَاتٍ
وَأَوْجَسَتْ أَنَا مِنْ ضَيْمٍ بَقَعَا جُفُوفِي
مَرْخُومَ يَا نَطَاخَ وَجْهَ الْيُمُودِ
إِنْ جُنَّ كِرَادِيسُ الشَّيَا صُفُوفِي
مَرْخُومَ يَا مِثْبَعَ مِثْبَعَاتٍ
وَمَرَّ اللَّهُ أَنَّهُ عَقَبَكُمْ زَادَ حُوفِي

الغَيْلُ تَذْرِي بِكَ نَهَارَ الْمِثَارَاتِ
 بِالنَّاسِ عَلَى كُلِّ الْمَلَا فِيكَ تُؤْفِي
 وَالْغَيْلُ يَقْفِي مِنْ فِعْلِكَ مَعِيتَاتِ
 نَاطَا شَعَائِبُ الرِّعَاسِ مَا يُشْفِي

لا شك ان الشيخ سعدون فقد ساعدن من سواعده، بنيا له ارفع قمة من
 المجد، بغيافي نجد، بين قبائلها، وقد اشتهر ابناء عقاب وحجاب بين
 القبائل، وكانا محل اعجابهم بالجزيرة، ويضرب بهما المثل حتى الآن:
 فإن الناس اذا اعجبوا بشخص او بعدد من الأشخاص يقولون كأن فلاناً
 عواجي، أو كأن هؤلاء من العواجية، نسبة الى عقاب وحجاب، ولا زال
 هذا المثل سارياً في نجد الى الآن.

ولا بد للقاريء ان يلاحظ ان الشيخ سعدون اشار الى ابنه، وقال سيفين
 اعلى ما غدا من سيفي، فهو يرى انهما سيفان من اعز ما يملك، ثم قال انه
 يطمئن وينام لو ان الوحوش الكاسرة تحوم من حوله، فهو مطمئن بأن ابنه
 هما درعه الامين وانه مكرم ومعزز بحمايتهما .

وهذه القصيدة الثانية :

بِأَعْلَى وَبِأَعْلَى رَعَيْنَا بِهِمْ هَيْتِ
 حَالُ اللَّحْدِ مِنْ دُونَهُمْ وَالظَّلَامِي
 الْبَارِعَةُ بِأَشْمَةِ الرَّبْعِ وَتُتِ
 وَنَّةُ صَوَيْبٍ وَمَكْرِيرَةٍ بِالْعِظَامِي

أَوَمَّا الشَّجَرُ وَأَنَا بَعْدَ مِثْلِهِ أُؤْمِنْتُ
أَوَمَّايَ صَقَّارٍ لَطِيفٍ وَحَامِي
طَبِيرٍ لِيَأْجَا الصَّيْدَ يَنْبِغُ هَلْ الْبَيْتُ
جَنَّهُ مَبُوبٍ مَخْجَرَادٍ تَهَامِي
عَزُّ اللَّهِ أَنِّي تَوَّ، يَا عَلَيَّ ذَلَّيْتُ
تَبَيَّنْتُ وَإِنَّا عَلَيَّ النَّاسِ كَامِي
وَعَزُّ اللَّهِ أَنِّي مَخْ شَفَا الْبَيْرَ مَقُيْتُ
مَقَّةُ قَضِيٍّ مِنْ عُبُوزِ الْمَقَامِي
وَالْيَوْمُ مِنْ بَاقِي حَبَانِي تَبَرَّيْتُ
مِقْبِ الثُّيُوحِ مَعْدَلِينَ الْجَهَامِي
وَيَا عَلَيَّ حِفْتُ الْحَمَى مِنْ كَثْرٍ مَا رَيْتُ
وَجَرَّيْتُ لِلْوَنَاتِ وَالْقَلَسِبِ دَامِي
وَعَدَلْتُ قَلْبِي فِي كَثِيرِ التَّاهِيْتِ
وَالْعَيْنِ عَيْتُ مِنْ بِلَاهَا تَنَامِي
رَاحَ الْعِقَابِ الْمُتَيْرِمِي شَابِعِ الصَّيْتِ
يَا عَلَيَّ مِنْ عِقْبَةِ تَرَاعَدِ عِظَامِي

وهذه القصيدة شكي بها الى صديق له يسمى عليا، يسأل عليه ويقول اين
الذين كنا نرتع بهم بالفيافي، الآن اصبحوا من اصحاب اللحود، واصبحت
الظلمة تحول بينه وبينهما، انه يسهر الليالي، ويثن مثل كسير العظام، انه
يرتجف ويوميء كما توميء الشجرة، انه الآن يحس بالخيفة، ويذل من كل
شيء، وقد ظهر ذلك للناس، ولم يستطع أن يخفي خوفه، لقد أخذ يتبرأ

من حياته، بعد أبنائه، انه اياح بما يخفيه، بعدما تزلزلت الجبال التي كان يلتجئ في حماها، انه بعد ان فقد عقاباً بدأت ترتعد عظامه، وفرائصه، انه فقد بطلين لا يمكن ان يقاضي بهما.

لم يبق لسعدون بعدهما من يعتقد فيه خيراً، الا حفيديه الصغيرين ابني عقاب وحجاب الحبيبين لقد اخذ يريهما، ويعلمهما فنون القتال، آملا ان يأخذا ثار أبويهما، من هابس القعيط.

وعندما كملت رجولتها، طلب ان يقول كل واحد منهما قصيدة، يبين فيها انه سيأخذ ثار والده، وعمه، واذا اجاد احدهما القول فسوف يعطيه «المهرة» بنت فرس عقاب المسماة «فلحا» وهذه أصل لرس عند قبائل (ولد سليمان) فقال ابن حجاب قصيدة لم تعجب جده، ثم قال ابن عقاب قصيدة اصحب بها وهذه هي القصيدة:

يَا لَيْتَ مِنْ هُوَ جَزْدٌ فَلَسَا نِيَّةُ
وَالْأَرْبَاعُ مُسَوَّدَتُهُ بِالْمَشَامِيرِ
أَبَى إِلَى مَا قِنَلِ زَيْتَتِ رَحِيَّةُ
وَتَوَائِقُنْ مَعَ الْعِنْسِي الْقَنَادِيرِ
انْطَلَعَ عَلَيْنَهَا يَسْرِيَّةُ زُوْبِيَّةُ
يَجْهَرُ لِمَنْعِ سُوْفُهَا وَالْمَشَاهِيرِ
مِثْلُ لَدِ سُبُفٍ مُوَاةِ الْحَيَّةِ
أَذُوْرُ أَكْسُوِيهِ عِنْدَ رُؤْسِ الْخَوَاوِيرِ
إِنْ كَانَ مَا لَيْتَتْ بِالْحَبْلِ لَيْتَ
مَآئِي هَشِيرِ اللَّيْلِ نُهُودِهِ مَزَايِيرِ

لَا بَدْ مِنْ يَوْمٍ يَرْزَقُكَ كُفُّهُ
 وَكُلِّي يَحْتَسِبْ مَرْيَجَهُ وَالْمَقَاسِيرِ
 ثَارٍ لُبُوي عَقَابٍ قَرَضَ عَلَيْهِ
 عَلَيْهِ وَمَنَانِي زَيْوَنَ الْمَقَاصِيرِ
 يَغْدُونَ جَدِّي هُوَ خَلَفَ وَالِدِيهِ
 شَيْخُ الْجَهَامَةِ وَالسَّلَفِ وَالْمِظَاهِيرِ
 دِينَ عَلَى مَا يَسِرُ زَيْوَنَ السُّوَيْتَةِ
 يَجِيئُهُ الْمُتَعَبُودُ وَالسِّيَاقِدِيرِ
 أَنْ مَا نَطَعْتَ الْخَيْلَ جَنِبَ عَلَيْهِ
 أَنْ وَرَدُوهُمْ مِنْ بَثْلِ الْأَسِي الْخَنَازِيرِ
 جَنِبَ عَلَى الْمَرْوَةِ الْوَالِيَّةِ
 وَأَخْرَجَ مِنَ الْفِتْجَالِ وَسَطَ الدَّوَاوِيرِ

وعندما سمع شاعر شمر بقصيدة ولد عقاب اجابه بهذه الأبيات :

وَشَ هَادَ لَوِ جَدُّنِي فَلَعَمَّا نِيَّةِ
 شَمَّرَ بِجُؤُنُكَ لُؤُوقٍ قَبِ عِبَاطِيرِ
 أَبُوكَ ضَرَبَ بِخَرِيَةِ شُؤْشَايَةِ
 كَرَّهَ حَبِيئِي كَسْرَةَ الدَّلْسِ بِالْبَيْسِرِ
 صَابَهُ غَلَامٍ مَا يَتَغَرَّفُ الْوَرِيَّةِ
 مَا صَدَّعَا يَوْمَ السَّبَايَا مَنَاجِيرِ
 لَهُ عَادَةٌ بِالْفَعْلِ فِي كُلِّ مَكَّةِ
 هَتَّى لَكَادِي أَبُوكَ هُؤُوجَ الْمَنَاقِيرِ

وَفِيَال رُؤْيَغ مِلْحَقِينَ الرَّدِيَّة

اللُّي تَهَزُّع بِالْحُرُوب الطَّوَابِيَر

لقد فاز بالجائزة ابن عقاب فأعطاه جده الجواد بنت (فلحا) وأخذ سعدون ينظر الى ابن عقاب باعجاب، ويداعبه الأمل انه سيسقى غليله، ويأخذ الثأر من الشيخ هابس القعيط .

ومن الفرص الغريبة التي قدر فيها لابن عقاب ان يأخذ بثأر ابيه وعمه ، ويقضى على هابس القعيط ، أنه حصل بين غنيم (الريضا) بن بكر شيخ السويلمات من العمارات ، حصل بينه وبين هابس القعيط تصادم ، في وديان عترة ، وطال الحرب بينهما ، وأرسل غنيم بن بكر الريضا لقبائل عترة ، يطلب منهم النجدة والعون ، وكذلك هابس القعيط ارسل لقبائل شعر يستنجدهم ، فأخذت الامدادات من كل القبيلتين تترى على موقع المعركة ، وقد سنحت الفرصة لسعدون المويبي ، فعندما علم بذلك ، أمر حفيده ، وامله الوحيد ، ابن عقاب ، بالشخص فوراً الى المكان الذي تدور فيه رحى الحرب بين غنيم ، وبين هابس . . وأوصاه بأن لا ينسى ثأره من قاتل ابيه وعمه .

لقد سارع ابن عقاب الى امنيته التي كان يترقبها ، فاشترك بخوض المعركة ، وكل ما يهمه هو ان يرى غريمه وقاتل ابيه وعمه ، وبعد ان راه بأم عينه ، وتأكد من شخصيته ، وليست بخافية ، لأن شخصية هابس القعيط معروفة ، مقداماً جريئاً لا يهرب الموت ، ودائماً هو في مقدمة الفرسان ، رغم تقدمه بالسن ، وعندما هجم هابس على فرسان عترة ، يتقدم فرسان

شمر، انقضى عليه ابن عقاب مثل النمر الكاسر، وأغمد ذبابة سيفه
 بمخاضته، وانتحى به عن مكان المعركة، الى ان ابتعد عن الفرسان، ثم
 امسك رقبته وترجل به على الأرض، والتفت اليه هابس القعيط، فقال له
 ابن عقاب هل تعرفني، فقال انت ابن عقاب العواجي، ولا شك انك
 تشبهه، ولكن لم اقتله انا، فالذي قتله غيري، فقال له ولد عقاب : انا لا
 اسألك عن ذلك، ولكنني اسألك بالله ان تبلغ سلامي والدي اذا وصلتته في
 الدار الآخرة، وتخبره بأنني أخذت بثأره، وتشرح له كل ما رأيته بعينك، ثم
 علا رأسه بالسيف، وفصله عن جسده، وبعد ذلك طارت البشائر الى الشيخ
 سعدون العواجي، بأن حفيده قد قتل هابس القعيط، وقد اجتمع رجال
 الحي يهنتونه، وقد عقر الابل، وعمل الأعياد عند قتال (ولد سليمان)
 وكان يوماً مشهوراً عندهم، واخذ النساء يزغردن، بعد ان لبسن زيناتهن،
 وطاب نوم الشيخ سعدون، وبات قرير العين واخذ ينشد:

يَا مُسَابِقِي رَدَّ الْبَرَا ، مَاثَ رَاجِيهِ

الْجَيْشِ حَرْبُ وَالرَّوْمِكَ مُؤَفَّلَاتِي

يَا نَاسَ زُؤَلِ اعْقَابِ مَآسِي بِنَاسِيهِ

عَقْبُهُ فَلَا تَسْوِي رِيَالِ حَيَاتِي

لَوْ مِنْ غَدَا جِرَوْ لِقَا مَآخَقَا فِيهِ

كَأَنَّ الْعَرَبَ كُلَّهُ نَسْوِي سِوَاتِي

الزُّورُغُ وَزَعِ عَقَابَ لَا خَآبَ رَاجِيهِ

حَوْلَ بِهَآيِسَ مَا تَنَآسِي وَمَآتِي

كَرَّهَ لِبُؤْسِهِ وَيَذْكُرُ أَنَّهُ مَوْصِيهِ
يَمِدَّ مَا شَاقَتْ عَيْنُهُ بِأَناسِي
الْخَيْلُ تَنْقُلُ لَيْسَ تَنْمَعُ عَزَاوِيهِ
وَمِنْ يُؤْمِ سَمَعَتْهُ وَهِنْ مِقْفِيَاتِي
لَعَلَّ وَزِعَ مَا مَشِي دَرَبَ أَهَالِيهِ
تَشَلَّقَ عَلَيْهِ جَبُوبُهَا الْمَحْصَنَاتِي

وبهذه الفترة عين الأمير عبد الله بن علي بن رشيد أميراً لحائل من قبل
الأمام فيصل بن سعود ، بعد ان عزل أميرها الأول ابن علي ، وظل عبد الله
ابن علي بن رشيد أميراً على حائل ، والمناطق الشمالية من المملكة ،
وعندما علم بذلك مشايخ قبائل الشمال توافدوا اليه ، وكل منهم يقدم الهدايا
للأمير الجديد ، ومن بين الذين قدموا اليه غنيم بن بكر الرضا ، وكان مهدياً
الى ابن رشيد ثلاثاً من الخيل ، وقد قبلها عبد الله بن رشيد ، وعندما كان
غنيم الرضا جالساً عند أمير حائل ، كان مع الجالسين شاعر شمر بن
طوعان ، وكان مكفوف البصر ، وطاعناً بالسن فقال له الأمير عبد الله بن
رشيد : هذا غنيم الرضا يا بن طوعان قم وسلم عليه ، وعلى الفور اجابه ابن
طوعان بهذين البيتين من الشعر ، موجهها لغنيم الرضا يحرض فيها عبد الله
بن رشيد عليه :

يَا غَنِيمَ هَذَاكَ هَإِيسَ نَطْلِيكَ دَيْنَ
خَيْبَالِ تَالِي شَمْرِ بِالسُّنُودِي
إِنْ كَانَ مَا جَارَاكَ عَنْهَا صَبَاحِينَ
مَا هُوَ وَلَكِذَا عَلَيَّ حَرِيبُ الْجُدُودِي

وبعد ان سمع امير حائل هذين البيتين من ابن طوعان، التفت الى غنيم الربضا، وأمره ان يرجع الى اهله، وقال له : اننا امرنا بارجاع خيلك التي اهديتها لنا اليك، وانت في امان الى ان تصل اهلك، وبعد ذلك اعتبر نفسك من الأعداء، ولا بد لنا أن نأخذ ثأر هائس القعيط منك، لأنك انت زعيم المعركة، التي قتل فيها هائس القعيط، ولذلك فانت المطلوب بدمه، وقيل ان ابن رشيد غزاه بعد ذلك، وانه قتله في وديان عترة .

واسجل هنا نبذة للتاريخ عن قبيلة آل بريك، التي يرأسها هائس القعيط، ولم يزل احفاده رؤساء لهذه القبيلة، ولا زالت هذه القبيلة مع شمر: والواقع ان هذه القبيلة هي قسم من قبيلة آل بريك التي هي من قبيلة الدواسر، ولكن حصل بينهم حادثة أدت الى قتال ودماء، وعلى إثر ذلك رحل جماعة هائس القعيط عن ابناء عمهم، والتجأوا عند الجربان شيوخ قبيلة شمر، عندما كانوا يقطنون شمالي المملكة، وقد أعزهم الجربان، واكرمهم وبقوا طويلا معهم، وأخيراً حالفوا الجربان، وقد قربوهم دون سواهم، ولم يزالوا ساعد الجربان الأيمن بالملمات، وحتى الآن وهم عند الجربان من المقربين، بل ويعتزون بوجودهم عندهم، وكانوا مشهورين بالاقدام، ولهم شهرة عظيمة، وممروف عند أهل نجد الآن انهم فخذ من فخذ قبيلة الدواسر، ولم ينزحوا الا بأسباب الدم الذي حصل بينهم وبين اخوانهم آل بريك، وكان لجورهم الى شمر قبل ثلاثمائة سنة تقريباً.

سَاجِرُ الرَّفْدِي

ساجر الرفدي - نسبه - خمول أسرته - اخوه عسكر يشد عضده - فرسيتهما - النزاع بينهما وبين اخوالهما وقتل عسكر - حرب ساجر مع اخواله البجايدة - بروز ساجر - شعره - الأمير عبد الله الرشيد لا يطمئن الى ساجر ويستعدى عليه الامام عبد الله الفيصل بن سعود - عبد الله الفيصل يهاجم ساجرا وبرجس بن مجلاد - نزوح ساجر بعدها مع قبيلة العمارات الى وديان عنزة - غاراته على نجد - فروميته جعلت منه زعيماً متبوعاً - شاعره سليمان اليماني - الخلاف بين آل شعلان وبرز شخصية ساجر فيه - اغارته على اهل ابن رشيد وقتله لابن زويمل وأخذ الابل - الخلاف بين ساجر والسمن وابن قعيش وابن غبين من مشائخ عنزة - ساجر وقصة الشويهاة - الخ . .



ساجر الرفسلي

ساجر من قبيلة (السُّلُقا) بطن من قبيلة العمارات من عنزة، وكان والده من بين افراد هذه القبيلة الخاملي الذكر، الا انه تزوج فتاة من اسرة عريقة، هي بنت ابي الخسائر، من قبيلة البجايدة من السلقا، وقد رزق منها بولدين، أحدهما ساجر، والآخر عسكر، وعندما اكتملت رجولة الأخوين، برزا بين قبيلة السلقا، واخذت الأنظار تتجه نحوهما، على عكس ما كان عليه والدهما من الخمول، وقد اشتهدا وهما في مقتبل العمر، لم يتجاوز عمرهما العشرين سنة، وقد اثبتا وجودهما بين قبيلتهما، وكانا مضرب الأمثال بين القبائل، وقد أشادا بيتاً كبيراً لأنفسهما، وأصبح كل واحد منهما فارساً مغواراً، وكانت نشأتهم في منتصف القرن الثالث عشر الهجري تقريباً، وقد حصل بينهما وبين اخوالهما البجايدة، عقد اجتماع في بيتهم، فدارت مناقشة بينهما وبين اخوالهما، أدت الى نزاع مسلح، قتل فيه عسكر، شقيق ساجر، فانصرف البجايدة الى مواقعهم، أما ساجر فقد دفن أخاه، ورحل عن موطنهم، الى اراضي القصيم، اما البجايدة فبقوا في ارضهم التي هي قرية من (الشملي) في أعالي بلاد طيء، وكان القصد من رحيله هو ان يتمتع عنهم، ثم يكر عليهم، ليأخذ بثأر أخيه، وبعد مدة اغار على اخواله البجايدة، وهاجمهم ليلاً، ولكنه لم يقتل الا عبداً لشخص يسمى سودان، من رؤساء البجايدة (وسودان المذكور هو المتهم بقتل أخيه

عسكر)، ثم أغار عليهم مرة ثانية، وقتل سودان نفسه قاتل أخيه، وبعد هذه الجراءة برز ساجر الرفدي، والتفت حوله جماعة من اقاربه الشماليين، واخذ يغزو بهم القبائل المعادية، وبدأ ساجر يطلع، واتجهت اليه الأنظار أكثر، واخذوا ينظرون اليه كفائد موفق، وأخذت سمعته تزداد بين القبائل باواسط نجد، وانتشر صيته، الى ان اشتهر، وعرف بالفائد ساجر الرفدي، وتزعم قبيلة الشماليين، وكان محبوباً عند كل من عرفه، وبدأ يقول الشعر، وينظمه بقومه، ويحرضهم، ويشجع من همهم حتى اصبح شاعراً مجيداً، وله اشعار كثيرة لم استطع جمعها، ولكنني سأورد ما ظفرت به من شعره، الذي يحكي واقع حياته، ويبين الحوادث التي حصلت له، في سيرته، وكان من المعاصرين لساجر الرفدي الشيخ برجس بن مجلاد، شيخ الدهامشة من عنزة، وكان الاثنان يشكلان خطراً على امير حائل عبد الله بن رشيد، ولم يكن ابن رشيد مرتاحاً لموقف الاثنين، ولذلك بعث أخاه عبيد الى الامام عبد الله الفيصل بالرياض، فسأله الامام عن ما وراءه من اخبار البلاد الشمالية من نجد، فانتهاز ابن رشيد الفرصة ليشي بساجر الرفدي، وبرجس بن مجلاد، وقال الأبيات التالية:

يَا شَيْخَ أَنَا جَيْتُكَ مَسْتِيزُ وَسَلَّاسٍ
وَبَاغِ أَشْنُوفُكَ يَا مِضْنَةُ قُوَادِي
وَخَبَّرَكَ بِأَخْوَانِ نَاسٍ مِنَ النَّاسِ
نَاسٍ هَلَسَى حِكْمُكَ تَذْوِرُ الْفَسَادِي
يَا شَيْخُنَا مَا حَرَّكُوا طَبْلَةَ الرَّاسِ
وَعِنْدَكَ خَبَرٌ يَقْرَأُ الْبَحْرِ الْقِرَادِي

أَنَا وَرَبِّي بَيْنَ الْأَنْثَى وَالْأَخْمَاسِ
 أَلْفَيْنِ مِنْ خَيْرِ الْفِلا وَالْمِيَادِي
 هذا ما ظفرت به من هذه القصيدة الطويلة : فسأله الامام عبد الله عمن
 يعني بهذه الأبيات ، فقال له هما ساجر الرقدي ، وبرجس بن مجلاد ، اللذان
 يقومان بغزوات متتالية بنجد ، ويفسدان القبائل ، ويخلان بالأمن ، واخذ
 يحرض الامام عبد الله عليهما ، وفعلا تأثر الامام عبد الله بكلام ابن رشيد ،
 فأمر بتجريد حملة لتأديبهما ، فداهما فداهما ، وهما بأراضي القصيم ، وغلبها
 نزحت قبيلة العمارات مضطرة الى وديان عنزة المعروفة في شمال
 المملكة ، وهناك استقروا ، وأخذ ساجر الرقدي يشن غاراته على اواسط
 نجد ، والتفت القبائل من حوله ، وقد قال هذه القصيدة بمناسبة ما حصل
 عليه من الامام عبد الله :

اللَّهُ مِنْ هِنِ تَزَايِدَ حَزْنِهَا
 وَالْقَلْبُ مِنْ ضَكَّاتِ الْإِيمَانِ مَسْرُورُ
 مِنْ شَوْفَتِي دَارِ تَغْيَرِ وَطَنِهَا
 مِنْ حَقْبِ مَآبِي دَالِهِ الْقَلْبِ مَسْرُورُ
 دَنُؤُلِي الْحَمْرَا وَمُدُّوا رِسْتَهَا
 وَهَاشُوا ذُلُولِي وَاتَّقُوا نُؤُوقَهَا الْكُؤُورُ
 يَأْمَا حَلَى الْمِسْلَافِ بَاوَلِ ظَعْنِهَا
 مِسْتَحْبِبِينَ الْخَيْلِ يَبْرَا لِهِنْ خُؤُورُ
 يَوْمَ أَنَّهَا تَجْعِدُ وَأَنَا مِنْ يَكْنِهَا
 وَالْيَوْمَ مَا يَسْكُنُ بِهَا كُلُّ مَمْرُورُ

شَاسَتْ لِبَيْدِ اللَّهِ وَأَنَا شِئْتُ عَنْهَا
 اللَّيِّ يَصْبِحُ بِهِ عَلَى شَقَّةِ الثُّورِ
 وَأَنَا أَحْمَدُ اللَّهِ مَالِمٍ مِنْ شِطْنِهَا
 وَمَكْثِفٍ مَا يَنْزُ عَزَّزُ وَأَبَا الْقُورِ

وبعد هذا اخذ يضاعف غاراته على نجد، وعرف بالشيخ ساجر، ولم يبق رئيساً لقبيلة الشمالان فقط، بل ترأس عموم قبيلة السلقاء، التي يعتبر الشمالان بطناً من بطونها، واصبح يشكل خطراً على جميع القبائل المعادية، وكان في غزواته يتبعه اعداد هائلة من الخيل، والهجن، وكان يميون النقية، وموفقاً بغزواته، وشجاعاً لا يهاب الموت، ومع هذا كريم الى ابعد الحدود، ودمت الأخلاق، ومتسامح عن خطايا من حوله من رفاقه، وكان يفضل قومه على نفسه، وينصفهم بمقوقهم، ويعف عندما يظنم، وليس للجشع في نفسه مدخل . . وهذه السجايا هي من مقومات زعامته، الأمر الذي حدا بأكثر قبائل هتزة، وبعض قبائل شمر، الى الانضمام اليه في الغزوات، وكان قد أعد صانعاً يسمى خليفاً، واسكنه في رأس هضبة تسمى (اللبيد) وليس لهذا الصانع مهمة سوى صنع حذاء الخيل، وتركيبها عندما يغزو ساجر، ويرجع اليه، وبهذه المناسبة قال قصيدته المشهورة وهي كما يلي:

يَا خَلِيفَ قَطْعُ لِلشَّيْءِ يَا مَسَايِيرَ
 عَنِ الْحَقِّ، يَا شَوْقَ مُؤْضِي جَبِينِ
 يَا مَا حَلَا، يَا خَلِيفَ تَنْبِيذَةِ الْكَبِيرِ
 بِرَأْسِ اللَّبِيدِ يَنْزُ خَضْرَا وَلَيْتَنِي

وَيَأْمَأَ حَلَا، يَا خَلِيفَ خَرِّ الْمَعَاثِيرِ
 خَلِجْ تَوَالِ اللَّيْلِ تَنْتَعِ حَيْثِهِ
 كَمْ عَزْبَةٍ وَخَتَاءَ مَعَ نُؤُوضَةِ الطَّيْرِ
 وَكَمْ شَيْخٍ قَوْمٍ عِنْدِهِمْ جَادِثُهُ^(١)
 مِنْ خَذِ حَابِلٍ لَيْثٍ مِثْجَارٍ وَالذَّبْرِ
 كَمْ خَيْبٍ بِأَزْمَاحِنَا هَائِرِيهِ
 وَمِنْ نَجْدٍ جِنَا الصُّفْرِ هَيَّ وَالْمَغَاثِيرِ
 وَالذَّبِّبِ مِنْ هَذَوَانِنَا مِثْبَمِيهِ
 وَجِئْنَا عَلَى شَهْبِ النَّوَاصِي مَنَاجِيرِ
 إِنْ طَارَ مِنْ جِزْدِ السَّيَا يَقْتَرِيهِ
 مَرَّ مِسَانِيدٍ وَمَرَّ مَعَادِيرِ
 وَكَمْ جَوَّ قَوْمٍ نَائِرِينَ قَطْرِيهِ
 وَكَمْ هَابِلٍ جُثَّةِ سَوَاةِ الشَّنَائِيرِ
 وَاصْبَحَ فَقِيرَ خَالِيَاتِ بَدِينِهِ
 مِنْ قُوفِهِنَّ قَعَالَةِ الشَّرِّ وَالْخَيْرِ
 أَهْلُ الْمُلُومِ الْبَيْنَةِ وَالسَّيْنِسَةِ

وبهذه القصيدة لمح عن الأراضي التي يغزوها، ويصل إليها، وقال انه
 وجماعته يذهبون على الهجن إلى اعالي نجد، ثم ينحدرون ويصلون الى
 سنجار بالعراق، وإلى الدير بسورية، وقال انه وجماعته يفعلون الشر
 والخير، اي انهم حرب على عاداهم، وسلم لمن صادقهم.

(١) نؤوضة الطير، طيراه الصباح المبكر. وجادثه، طارحيته.

لا شك ان ساجر الرفدي قوي المزيمة ، شديد الشكيمة ، طموح الى ابعاد
 حد ، وقد اوجد نفسه من لا شيء ، وفي بعض غزواته قيلت هذه القصيدة ،
 ويقال انها للشاعر اليمني شاعر ساجر الرفدي :

عَتَامَ هَامَ وَيَسَمُ طَلِيحُهُ جَذَبَنَا
 طَبِيرَ الْحَبَازِي لَا يَرْقِ الرَّيْشُ عَقَارَ
 وَشَفْنَا وَاحْرَنَّا لُوقَهْنُ وَانْتَدَبْنَا
 وَشَالَنُ ابْنُ لَامِي عَلَى الْوَجْهِ جِدَارَ
 وَهَمْنَا الدَّرِيْشُ بِدَيْرَتِهِ وَانْقَلَبْنَا
 جَبَانُهُمْ مَا تَرْوِي الْعَيْلَ وَاعْصَارَ
 صَبْحِ أَرْبَعٍ مِنْ جَمْعٍ خَضِرَا شَرِبْنَا
 وَتَشَاوَرُوا لِلرَّايِ صَلْبِيْنَ الْأَشْوَارَ
 وَالصُّبْحِ مِنْ نُوقِ الرِّكَائِبِ رَكَبْنَا
 وَمَرْنُ رَجْمٍ لِلْهَيَّازِغِ وَسُتَارَ
 وَابْنُ عَلِي قَلَطَ لَنَا الْبَيْتَ يَبِي
 وَجِئْنَا كِشَافِ عَقَبِ الْأَضْحَى وَالْأَفْكَارَ
 وَمِنْ نُوقِ زَيْنَاتِ السُّبَايَا هَدَبْنَا
 يَوْمَ عَبُوسٍ فِيهِ عَجَجَ اللَّخْنُ نَارَ
 وَلَبْنُ عَلِي وَابْنُ طَوَالِهِ ضَرَبْنَا
 وَاقَفْنُ بِرِيَادَ^(١) الْعَمَّاسِيْنِ حَبَارَ

(١) واقفن بريداد : بقصاد .

جُنَايَا مَنَا عَدِينَا عَلَيْنَا
 وَعَدُونَنَا نَشْقِيهِ كَاسَاتِ الْأَمْرَارِ
 أَفْقَنْ سَلَائِلَ خِيَلُهُمْ مِنْ قَضَبِنَا
 عَلَيْنَا مَذْلُومَةَ الْعَثَايِرِ بِالْأَفْقَارِ
 وَجُنَا لِيَامِنَا زِفْلَانَا حَرِينَا
 وَنَلَرِ الدُّخِيلِ وَنُكْرِمِ الضُّبِفِ وَالْجَارِ
 وَيَامَا قَضَبَتَاهُمْ وَلَخْدِ قَضَبِنَا
 وَهَلِي هَوَايِدُنَا عَلَيِ الْهَجْنِ وَانْمَهَارِ
 وَعِدُونِنَا يَشْكِي قَمَائِلَ سِرِينَا
 نُوبِ مَسَانِيدِ وَتُؤَاتِ حِذَارِ

ويقصد الشاعر سليمان اليمني بكلمة «غنام» ساجر الرفدي قائدهم،
 مشبهاً إياه بالصقر، لأن غنام من أسماء الصقور، وقال أنهم أبصروا عربان
 ابن لامي، فاغاروا عليهم، واخذوهم، ثم صمموا على مهاجمة الدويش،
 وأخيراً تراجعوا لأن مناهلهم قليلة الماء، لا تروي الخيل، وعسار، أي
 عميقة. وفي صبيحة اليوم الرابع وصلوا منهل (خضرا) المعروف وشربوا
 منه، وهناك تبادلوا الرأي، ثم مشوا باليوم الخامس ومروا برجم (الهيازع)
 و (سنار) وهناك وجدوا ابن علي زعيم قبيلة عبّدة من شمر قد علم بهم،
 وقطع عليهم الطريق، متصدياً لهم، وقد انضم إلى ابن علي ابن طوالة زعيم
 قبيلة الأسلم من شمر، وذكر الشاعر أنهم هاجمهم وهزمهم، هم ومن
 معهم، وأن خيلهم هاربة، ومن فوقها الشبان الذين يعشقون البنات، وقال
 إنهم (يقصد جماعة ساجر) يغلبون كل من يحاربهم، ولا يغلبون، وكأنه

معني بيت عمرو بن كلثوم حيث قال :

إِنْ نَغْلِبَ فَنَغْلِبُونَ قَدْ
وَلَوْ نَغْلِبَ فَنَغْلِبُ فَنَغْلِبُ

ثم قال في آخر قصيدته : وهو ولا شك يتكلم بلسان ساجر : انه اذا تحداه احد حاربه ، وانه يجير من استجار به ، ويكرم ضيفه وجاره ، ثم قال انه يفتصب الناس ، ولا يستطيعون اغتصابه ، وهذه هي عادته على صهوات الجياد ، واكوار الابل ، وقال ان اعداءنا ، يشكون الضيم من كراديس خيلنا ، واننا نسير بنجد جيئة وذهاباً لا نخشى من اعترض طريقنا .

وفي سنة من السنين ، وفي عنفوان زعامة ساجر الرفدي ، ويزور شخصيته بين زعماء قبائل نجد ، حصل بين آل شعلان خلاف على الزعامة وهم عائلة آل نايف وعائلة آل مشهور ، وكان شيخ آل شعلان وقبائل الرولة آنذاك هو فيصل بن نايف الشعلان ، ويسانده أخوه هزاع بن نايف ، وابنا اخيه ، وهما فواز وسطام ابنا حمد النايف ، وقد حصلت بين العائلتين معركة ، تغلب فيها آل مشهور ، على آل نايف ، وقتلوا فيصل بن نايف شيخ القبيلة ، وابن اخيه فواز ، وجرح هزاع جرحاً بليغاً . . على اثر ذلك عابت رجله ، اما سطام بن حمد فكان صبيّاً صغيراً ، لم يبلغ سن الرشد ، وكان عمرو يقارب ثلاث عشرة سنة ، ففر به (عبيد) آل نايف ، والتجأوا به الى الشيخ ساجر الرفدي ، اما آل مشهور فقد اخذوا راية الشعلان المشهورة ، وهي عبارة عن هودج مجلل بريش النعام ، ومن اخذ هذه الراية من عائلة الشعلان ، يصبح هو رئيس القبيلة ، وكانوا يحملونها في ساعات الحروب ،

يتكاتفون من حولها، وفعلوا ترأس آل مشهور بقبائل الرولة. أما سظام بن شعلان فعندما التجأ الى ساجر الرفدي هو وعبيده، سألهم ساجر عن القصد من لجوئهم، فأخبروه بما وقع بينهم وبين ابناء عمهم ابن مشهور، وان شيخ الرولة فيصلاً قد قتل، وكذلك ابن اخيه فواز، وان ابن مشهور غدر بهم، وطلبوا من ساجر ان يعينهم بنفسه، وبقومه، لأخذ الثأر من آل مشهور، واستعادة الراية، وقد لبي طلبهم، وقال اطمئنا فأنا معكم، واعطيكم عهد الله على ذلك، ولكن لا بد من ان اتوجه انا واياكم للشيخ ابن هذال، شيخ العمارات، لنعرض عليه الأمر، ونخبره بكل ما حصل، ونطلب منه ان يكون بجانبنا لتنفيذ ما طلبتموه، وانا اؤكد لكم انني ساكون معكم حتى ولو اعتذر ابن هذال، ثم توجه ساجر، ومعه سظام الصغير الى ابن هذال، وأخبروه بالأمر، وطلب منه ساجر ان يقود قبائل العمارات، لأخذ ثأر آل نائف من آل مشهور، وارجاع رايثهم اليهم، وقد استعد ابن هذال لذلك، وطمان الشيخ الصغير سظام بن شعلان، بأنه سيسير معهم، وعصم الأمر على جميع قبائل العمارات، ثم التفتوا من حوله، ومعه ساجر الرفدي وقبائله، وسظام معهم، ومن معه من العبيد، وقيل ان معهم قسماً من قبائل الرولة، وزحفوا على آل مشهور، وقبائل الرولة، وكان آل مشهور ومن معهم نازلين في وادي (ابا القور) المعروف، وقد ارسل ابن هذال جواسيس ليسبروا قوة الرولة، وبعد أن عاد اليه الجواسيس وأخبروه أن الرولة مجتمعون عن بكرة ابيهم مع آل مشهور، وبعد ان تأكد ابن هذال من ذلك استصعب الأمر، والتفت الى ساجر الرفدي، وسظام بن شعلان، وقال لهما لا بد من الرجوع والتأني، الى ان يتفرق عربان الرولة عن آل مشهور،

ثم نفزوههم مرة ثانية، وهم وحدهم، ونفذ ما طلبه سبطام بن شعلان ،
وعندما لاحظ عبيد سبطام تردد ابن هذال، وجهوا سبطاماً بأن يستشير ساجر
الرغدني بالنخوة العربية. ولما فعل ذلك سبطام، قام ساجر الرغدني غاضباً،
وركب قلوصله، وصاح بفرسان قبائل العمارات، وقال من يريد أن يتبعني فأنا
ذاهب لمهاجمة آل مشهور، ومن معهم ، لأخذ ثار من استجار بي، ومن
يرد منكم ان يرجع فهو حر، ثم دفع عطيته مسرعاً، ومستجنباً جواده،
ودهب بفرسان العمارات خلفه، ولم يتأخر أحد عنه ، وعندما لاحظ الشيخ
ابن هذال ذلك صمم على الاستمرار معهم، لتنفيذ الخطة، فهاجموا آل
مشهور ومن معهم من الرولة، الا انهم لم يظفروا بعائلة آل مشهور ، لانهم
دافعوا عن ظعنيتهم الخاصة، وعن راية الزعامة، وحملوها من القوم
المغبرين، وتوجهوا الى اراضي دومة الجندل، وبعد ذلك قرر ابن هذال
الاكتفاء بهذه المعركة، وأمر القوم بالرجوع ، ولكن ساجراً لم يكتف بذلك
بل اصر على مناصرة سبطام بن شعلان، وعارض ابن هذال بالرأي، واستمر
بمطاردة آل مشهور، وتبعه العمارات، ولم يتأخر منهم احد ، ثم كر على آل
مشهور مرة ثانية، وهم في دومة الجندل، وقتل من فرسانهم عدداً كبيراً ،
واسر الكثير، واسترجع الراية، وسلمها لسبطام بن حمد الشعلان، وعادوا
الى منصبتهم الذي سلبه منهم ابناؤهم آل مشهور ، اما ساجر فهو لم
يكتف بهذا النصر، بل كان حافزاً له على مواصلة غاراته على جهات اخرى،
فأغار على الشيخ ابن زويمل احد مشايخ شمر، وهو المسؤول عن ابل
طلال ابن رشيد، حاكم حائل، وكان في الدهناء وقد قتل ابن زويمل، واخذ
كل ما عنده لابن رشيد من المواشي، وكذلك أخذ جميع حلال قبيلة بن

زويمل، وبهذه الحادثة اثبت ساجر الرقدي، جراته الفائقة، حيث تجرأ على مهاجمة المسؤول لحاكم حائل، متحدياً بذلك الحاكم نفسه، وقد رجع بهذه الغنائم العديدة الى اهله، وقال هذه القصيدة واصفاً قومه، مفاخرأ بهم:

مِزْنِ تَزْبِزْ هَمْ عَزَّ عَزْ وَاِبا الْقَوْر
 سِبْلِهِ عَلَى كُلِّ الْبِشَارِيفِ صَافِي
 أَوَّلُ خِيَالِهِ صَارَ فُوقَ ابْنِ مَشْهُورِ
 جَاءَهُمْ عَلَى وَضَعِ النَّفَا مَعَ كِشَافِي
 يَا مَا أَفْبَكُنْ بِأَخَوَاتِ رُبْدَا ثَقُلْ سُورِ
 وَيَامَا اتَّخَعْنَ بِأَخَوَاتِ رُبْدَا مَقَافِي
 كَيْسِيرَةٍ لِبْنِهَا اخْمَسَ الدَّمُ مَشْهُورِ
 وَقَفُوا عَلَيْهِمْ لَا يَسِينُ الْغَدَافِي
 وَخَيْلُ ضِبَابِهِ وَاتَّخَى السَّيْلُ بِخَمْدُورِ
 وَابْنُ رُؤَيْمِلَ سَأَلَهُ السَّيْلُ طَافِي
 فَاجَاءَ مِنْ فُوقِ الرُّمَكِ كُلِّ مَمْطُورِ
 خَيْالُ ذُرْوَةِ يُسُومِ هِيَ بِالعَوَافِي
 ذُرُواتُ أَخَذْنَا مِنْهُ وَيَسْرَى لَهُنَّ خُورِ
 وَيُقْدَاكَ مَالِكُ يَا رِبِيحَ الضَّمَانِي
 غَرْنَا عَلَى ذُرُواتِ مَعَ فَبَجَةِ الثُّورِ
 وَتَخَزُّرُوهِنَّ نَاقِلَيْنِ الشَّلَافِي
 وَالْفَاطِرِ اللَّيِّ هُنْدَكُم فِاتَ لَهُ دُورِ
 حَكَّتْ وَلَا تَالِي حَنِينُهُ عَوَافِي

مَذِي عَوَائِدِ مَذْبَةِ كُلِّ مَبْهُورٍ
 قِسُولٍ عَلَى فِعْلٍ وَكَسَادٍ يَشَانِي
 وَسَطَامَ خَلْبَتَاهُ يَرْكَبُ عَلَى الْكُودِ
 وَغَنَبَ الْقَنَّا وَالْكَودَ شَافَ الْعَوَافِي
 وَالْمَرْكَبِ اللَّيِّ لُوقَهُ الدَّلَّ مَشْهُور
 جَانَا بِضَرْبِ مَصْقَلَاتِ الرَّهَافِي

وقد شبه ساجر قومه بالمزن، وأن سيله غطى كل مرتفع، وأنه امطر -
 اول ما امطر - على نزل ابن مشهور، وأنه اتى اليهم جهاراً ولم يأتهم خدراً،
 وقد اتنى على فرسان آل مشهور، حيث قال ان فرسانهم يكرون مرة،
 ويفرون أخرى، بعد ان يسيل الدم منهم، وقال ان هذا المزن بعد أن امطر
 على آل مشهور اتجه الى ابن زويمل، المسؤول لابن رشيد و(ذروات)
 أخذناها قسراً ويعني إبل طلال بن رشيد، التي كان يفزو عليها، وان من
 ضمنها خوراً أي أنه أخذ القلائص ومعها ابل غيرها، من ابل ابن رشيد،
 وقال في آخر قصيدته: ان هذه عواتدنا، نؤدب الرجال بالرجال، ولا نقول
 شيئاً الا ونفعله، وكل الناس تشهد بفعالنا. ثم قال اننا نصرنا الشيخ
 سطاماً بعد ان لحقه العناء والكود. وقال في آخر بيت اننا استرجعنا
 (المركب) وهي راية آل ناف، بضرب مرهفات السيوف.

وبهذه المناسبة قال شاعره سليمان اليماني هذه القصيدة:

حِرَّ سَلَمَخٍ مِّنْ مَّرْقَبٍ مَّرْقَبِيَّةِ
 طَلَمِهِ بَعِيدٌ وَصِنْدَرَتِهِ حَصٌّ الْاَوْبَارِ

هَنَامَ صَبَادِ الثَّوَاةِ الْعَمِيَّةِ
 بِمَصَافِقِ الْغَارَاتِ لِلضَّدِّ دُمَارِ
 صَكِّ ابْنِ مَشْهُورٍ وَفَرَقِ ظِعْمِيهِ
 وَخَلَّى حَرِيمَهُ قَاعَاتٍ عَلَى الدَّارِ
 رَكَّةً وَذُودَةً ثُمَّ صَبَدُو بِعَيْتِهِ
 وَأَذَلُّوا عَلَى نَزْلِ الزَّمِيلِي بِالْأَصْحَارِ
 سَاجِرُ حَسْرَتِهِمْ حَسْرَتِي لِي بِعَيْتِهِ
 وَجَلْنَا عَلَى ذُرَوَاتٍ بِالْمَوْقِفِ الْحَارِ
 كُؤُنِ الضِّيَاغِ مِنْ بَعَثِ حَاضِرِيهِ
 طَرَشِي كَثِيرٍ وَبَاغِي الْهَجَنِ بِعَتَارِ
 ذُرَوَاتٍ جَنِّ ابْنٍ مِنَ الْوَضْعِ عَيْتِهِ
 وَصَحَّ تَخَافُنِي وَنَطَهْنُ بَقْلُ نَوَارِ
 رَاعِي الْبُونَيْضَا خَبَرُوا جَاهِلِيَّتِهِ
 كَمْ حَلَّةٍ خَلَّى عَمَدَهَا عَلَى الدَّارِ
 سَاجِرُ حَلَفٍ حَلَفٍ وَتَمَّ لِدِينِهِ
 وَخَوَاتٍ بَثْلًا لِلْعِدُو كَسَرَ تَعْبَارِ
 طَلَاكَ قَلْبُ لِعَيْتِكَ بَيْتِهِ
 وَشِنْ لَوْنٌ يَا مَنْ وَالْمَعَارَاتِ عُمَارِ
 وَشِنْ لَوْنٌ يَقْبَلُ لَعْنَةُ النَّوْمِ عَيْتِهِ
 وَوَرَاهُ رَنْجٍ مَا يَهَابُونَ الْإِخْطَارِ

مِنْ بَابِ بَعْدَادٍ لِبَابِ الْمَدِينَةِ
 يَلْقَى بَنِي وَابِلَ عَلَى الْكُوْذِ صِبَارِ
 مِنْ فَوْقِ الْاَنْضَا مَا بَعُوْا وَاصْلِيْهِ
 مَسْتَحْيَيْنَ قِرْحَ الْخَيْلِ وَامَهَارِ
 كَمْ خَفِرَةٌ تَنْمَى وَتَبْكِي جَنْبِيْهِ
 خَلِي لِسْمَحَانَ الضُّوَارِي بِسَاقِقَارِ
 وَكَمْ خَائِبٍ وَقَدْ اَلْخَطَرَ نَازِلِيْهِ
 عَادَاتُهُمْ نَزَلَ اَلْخَطَرَ سَرَّ وَاجْهَارِ
 وَكَمْ حَلَّةٌ فَوْقَ الرُّمُوكِ سَاهِيْهِ
 بِسَاقِقَارِ نَجْدٍ وَكُلُّ دَارٍ لَهُمْ دَارِ
 وَكَمْ عَابِلٍ بَارِئًا مِنْهُمْ جَادٍ وَبِيْهِ
 مِنْ ضِيْعِهِمْ يَنْزِبُ قَرَّاطِنُ الْعَمَارِ

وفي هذه القصيدة يقول لطلال بن رشيد:

اسأل عمك عبيداً كيف ينام، وقبيلة العمارات على الوجود، ولا زالت
 قوية، وإن ساجرا معهم، لا يهاب الأخطار، ثم قال من مدينة بغداد، الى
 المدينة المنورة، وبنو وائل موجودون على خيولهم، وأنهم يصلون الى أي
 شيء يريدونه، وكم اشبعوا الذئاب الجائعة، من جثث القتلى، وكم أرض
 قفرة رنعوا بها، دون مبالاة بأحد، وانهم يتنقلون في كل بلاد نجد،
 وينزلون حيث ما ارادوا، سرأ وجهاراً، وكل عائل مستكبر يؤدبونه، ثم
 اشاد بقائدهم ساجر الرقدي، ورمز اليه بالصقر، وإن نظرتة بعيدة، وأنه
 بالمعارك يدمر الأضداد، ثم قال انه فرق شمل آل مشهور، وترك نساءهم

على الأرض، وقال انهم ردوا ما غنموه من آكل مشهور من الابل لأهلهم، ثم استمر بغزوته واغار على ابن زويمل المسؤول لابن رشيد، وانه قتل ابن زويمل وأخذ حلال طلال بن رشيد وأخذوا ذروات، وهذا هو اسم قلائص ابن رشيد التي يغزو عليها، وقال ان من بينها ابلا وضحا اي بيض الألوان، وشبهها بالنوار، يقصد زهر الاقحوان، وقال ان ساجراً اخذهم بيوم حار، اي بمعركة حامية، وأنه اعطى قومه الخيار، من ابل ابن رشيد، لأنها كلها من أصائل القلائص، وقال ان هذه هي أفعال صاحب البويضا، ويقصد ساجراً، فالذي لا يعرفه يجب ان يعرفه، وقال انه اقسم يميناً ان يخلص راية سظام من ابناء عمه آكل مشهور، وقد اولى بقسمه، وبعد ذلك اثنى على اخوات بتلى، ويقصد مشائخ العمارات، آكل هذا.

بعد هذه الوقائع التي فاز بها ساجر زادت شهرته علواً، وصيته انتشراً، واخذت تنظر اليه القبائل نظرة اعجاب، وكان يساعده الحظ في كل غزوة يغزوها، ولذلك أخذ زعماء القبائل ينظرون اليه نظرة الكراهية، اصبح مصدر خطر على زعامتهم، بين قبائلهم، خاصة مشائخ (ضنى بشر)، من عترة.

وقد نشب الخلاف بين ساجر وشيخ من الخرصة من الفدحان يسمى السمن، ويقال ان هذا الشيخ قام لدهام بن قُعَيْشِيْش شيخ قبيلة عموم الخرصة، من الفدحان، محرضاً إياه على أن يغزو ساجر الرفدي وجماعته آكل سلقا، لسلب اموالهم، وتحويلهم الى فلاليح، يزرعون بالأرض، هذه الكلمات أثارت ساجراً فشن الحرب على السمن، وقال هذه القصيدة:

بِالسَّمَنِ مَا رَيْبِي لِرَيْبِكَ فَلَا يَنْجُ
 رَيْبِي مَقَرِّينَ الْمَدُو بِالْقَمَائِلِ
 رَيْبِي قَلِ الطُّوْلَةَ عَلَى الْفُطْرِ الْفَيْحِ
 مَشْتَرِدَيْنِ مِثْمَاتِ الْفِتَائِلِ
 إِنْ دَرَهُمُ الصَّابُورُ مَا مِنْ تَصَانِيحِ
 مِثْمَا وَمِنْكُمْ بِرْمَلَنِ الْحَلَائِلِ
 وَاللَّهِ مَا تَنْسَخُ عَلَى الْحَمِيهِ وَتُزِيخُ
 مَا دَامَ مَا حَطَّوْا عَلَى النَّثَائِلِ
 مَا دَامَ مَا عِزَّتْ عَلَى الصَّلَائِلِ
 مَا يَنْشَرِبُ الْفَيْجَالُ وَالْحَقُّ مَا يَلِ
 حَنَا بِمَوْنِ اللَّهِ حِدَادَةُ مَفَالِيحِ
 تَشْهَدُ لَنَا بِالطَّيِّبِ كُلِّ الْقَبَائِلِ
 عَلَى النَّضَاءِ وَالْغَيْلِ دَائِمِ مِشَاوِنِ
 مَا نَنْقِي بِسَرِّهِ الشُّتَا وَالْقَوَائِلِ
 نِشْتَى بِذُنْبَانَا نَبِيَّ هَبَّةِ الرِّيحِ
 وَنُحْوِضُ فَبَاةً وَنُكْسِبُ جِمَائِلِ
 بِمَا عَدِينَا بِمِ ابَا الْهَيْلِ وَنُشَبِّحُ
 وَبِمَا وَطَنَ فِينَا قَقَارٍ وَحَائِلِ
 وَمِنْ الشُّعْبِ جِبْنَا نِيَاقَ الْمَصَالِيحِ
 وَرَكْنٌ وَاعْزُنَا بِمِ بَيْضَا نِثَائِلِ

وَقَلَّ الْحَفَرُ فَاجِبَتْهُمْ بِالْمَصَائِجِ
وَجِئْنَا خِلَالَ الطَّيِّبِ الْخَمَائِلِ
يَوْمَ الْيَقُونِ أَهْلَ السَّوَالِفِ مَدَائِجِ
أَنَا عَلَى الطُّفَقَاتِ صَائِلٌ وَجَائِلٌ

وبعد ذلك تطورت القضية، وثار الشيخ دهام بن قميشش، والشيخ نايف بن غبين. وكذلك مشايخ قبيلة السبعة، ثار كل هؤلاء متالين ضد ساجر الرفدي.. ولكن ساجرا أخذ يشن عليهم الغارات المتتابعة، وحاصرهم حصاراً شديداً، حتى حمي عليهم الرعي بالفلوات التي ينبت بها الحمض، وقصد بهذه المناسبة الشاعر البليعان، الذي هو من ضنا عبيد (السبعة)، والقدعان خصوم ساجر الرفدي، وقد أثنى على ساجر ثناء عاطراً، ومدحه بما يستحقه، وهذه من فضائل العرب، ولا شك ان الشاعر البليعان من المعجبين ببطولة ساجر، وقد طلب له البليعان بالقصيدة التوفيق، والعز، وأشار الى كراهية المشايخ لساجر، وقال ان ساجراً أغنى قومه بالغزوات وان كل بلاد من بلاد الاعداء شرب من مائها، ووصل اليها، وقال انه يكسب الابل الوضع اي البيض في الوقت الذي كان الزعماء غيره نائمين عنها، الى ان قال بقصيدته: ان ساجراً يمتطي الخيل والابل بغزواته، الى ان يسيل الدم من خفاف الهجن، من شدة الهجير بالصف، ثم ذكر ان ساجراً حرم على ضنا عبيد المرتع في اراضيهم، التي كانوا يملكونها من قبل، وقد بينها في قصيدته وحددها، وقال ان ابنا وابل لا يقربونها خوفاً من ساجر ووصفه بالأسد، المطل على الذئاب من فوق مرتفع، وهذه هي القصيدة:

يَا رَاكِبَ حَمْرًا تَلْدُبُ الطَّوَارِيْقَ
جِدْجِدِيَّةً قَطَعَ الْبَنَانِي مَنَاهَا
نَدَّتْ مِنْ الضَّلَمَانِ وَفَتَّ الشَّارِيْقَ
يَلْقِي لِسَاجِرِ هُوَ مَخَارِي عَقَاهَا
عَسَاهُ مَعَ دِيْنِهِ يَوْمُ وَتَوَافِيْقَ
الْأَلِيَّةِ اللَّيْلِ كُلِّ شَيْخِ جَفَاهَا
سَاجِرِ جُمُوعِهِ عَاشَهَا بِالنَّصَافِيْقَ
كَمْ دِيْرَةٌ قَسَدٌ وَزَدُوا بِرْدَ مَا
كَمْ دِيْرَةٌ جُوعَهَا الْوَيْعَالِ الْمِطَالِيْقَ
مَدُّوا دَوَاسِيْهَا وَدَاسُوا جِمَاهَا
فُوقَ الرَّمَكِ وَمَجَافِيَاتِ الْخَنَافِيْقَ
كَمْ طَامِحٍ فُكُّوا جِبَالِ وَرَاهَا
الْوَضِخُ جَابُوهَا تَلْدُبُ الطَّوَارِيْقَ
يَوْمَ أَنْ كُلِّي نَاسِمَ مَا نِصَّاهَا
مِنْ فُوقِ قِسْبٍ مِنْ طَوَالِ الشَّمَاخِيْقَ
وَمَجْنٍ بِحَرِّ الْقَبْظِ يَذْمِي حَفَّاهَا
إِلَهَ يَا عَشِيْرَ بِالْأَكْوَامِ مَا فِئِيْقَ
فِي قَفْرِ رَاعِي الْبُؤَيْضَا حَمَاهَا
التَّشْفُ وَارْضُ شَيْخَ وَارْضُ الرُّرَانِيْقَ
أَوْلَادَ وَابِلَ مَا تَقَرَّبَ جِمَاهَا

مِنْ خُوفٍ سَاجِرٍ يَذِبُ الْقَوْمَ وَيُوقِ
 يَبْنِعُ الْبَابَ اللَّيْ ظَهَرَ مَعَ شِفَاهَا
 وعندما تبين لساجر أن ضنا عبيد قد أجمعوا امرهم على حربه قال قصيدة
 لم اظفر منها بسوى الخمسة الأبيات التالية :

يَا عِيَالَ يَلْلِي فُوقِ الْأَنْضَا مَوَارِيْدُ
 خُوزُوا سَبَايَاكُمْ وَخُوزُوا قِرَاكُم
 خُوزُوا مَهَانِيْدَ النَّمَشِ وَالْبَسَاوِيْدُ
 اللَّهُ لَا يَخْتِيْبُ رِجَا مِنْ رِجَاكُمْ
 يَا لَابَنِي مَا عَادَ فِيْهَا تَصَاوِيْدُ
 وَالْعِزُّ بِأَثْلِيْ غُطُوْرَةٍ مِنْ غُطَاكُم
 يَا لَابَنِي نَبِيْ نَطَارِدِ هُنَا هِيْدُ
 جَنَسِي يَبِيْنُ طِيْنُكُمْ مِنْ رِدَاكُمْ
 اللَّيْ يَلْقُوْنَ الضَّمَايِرَ عَلَى الْكَيْدِ
 يَبِيْنُ غُطَاكُم وَاسْتَحَقُّوْا غُطَاكُم

لقد استحث ساجر فرسانه ، وامرهم بأخذ قلائصهم وخبولهم ، وامرهم
 بأخذ سلاحهم من السيوف والبنادق ، وقال ان الحرب واقعة لا محالة بيننا
 وبين ضنا عبيد ، واكد لهم ان عزهم عندما ينجزون مهمتهم ، بأتلى خطورة
 من خطاهم الثابتة ، وقال اننا ستجاول نحن وضنا عبيد على الخيل ، حتى
 تثبت لهم شجاعتهكم ، ويعرفونكم تماماً بميدان الحرب ، واكد لجماعته ان
 خصومهم تنطوي ضمائرهم على الكيد والخبث ، وانهم بدأوكم بالخطأ ،

ولذلك فقد استحقوا خطاكم فيجب تأديبهم، وبعد ذلك شن ساجر غارته على ضنا عبيد، بعد ان تجهز هو وفرسانه، واخذ ابلأ لأحد كبارهم، وعندما علم بذلك ضنا عبيد، الذين هم السبعة والفدعان، ركبوا خيولهم، ولحقوا بساجر ليخلصوا ابلهم منه، فاحتدم الصراع بينهم وبينه، عند الابل، وقام فرسان (ضنا عبيد) بمجهود كبير، وهاجموه بشجاعة المستميت، ولكن ساجراً وابطاله صمدوا وأثخنوا فرسان (ضنا عبيد) بالضربات القاتلة، وتراجعوا عاجزين بعد ان قتل منهم عدد كبير، وتم استيلاء ساجر على الابل.

وبهذه المناسبة قال شاعر ساجر سليمان اليميني هذه القصيدة: وقد فصل فيها تفصيلاً وافياً :

حِرْ شَلَع مِنْ رَاسِ سَفَّانِ وَأَنْهَامِ
يَهْوِي عَلَى نَاحٍ وَيَضْطِئِي عَلَى نَاحِ
مَامَ الْمِرَاقِ وَقَالُوا الدُّزْبُ قِذَامِ
وَعَالِغَ عَلَى يَمْنَاهُ خَلْفَاتٍ وَلِقَاحِ
وَنَوَى عَلَى دُزْبِ الْمِقَادِيرِ جَزَامِ
بِرَاسِ اللُّوَى أَذْلَى عَلَى الْمَالِ سَرَاحِ
وَأَثَقُوا مَلِ الطَّوْعَاتِ عِبَلَاتِ الزُّلَامِ
يَقْطَعَانِ ابْنَ كُرْدُوسٍ كَتَابِ الْأَمْدَاحِ
صَبَّغُوا بِهِنَّ صَبْغَتَ عَلَى الزَّادِ صَبَّامِ
حِلَّ الْقُطُوزِ وَقَالَ : سَمَوْ بِالْأَفْلَاحِ

وَلتَحَقُوا حَلِيَّ الْمَرْقَا وَطَابُورِ الْأَزْوَاجِ
فَرْعَةَ قَطِينٍ وَبِهِ عَشَائِيْنِي طِمَاحِ
وَهَارِزًا وَوَزْدَوًا وَالِدَحْنِ بِيْتَهُمْ دَامِ
وَتَسَاقُوا شُهُومَ الْمَوْتِ مَنْ دُونَهُمْ لَاحِ
وَتَلَاغِيْنِ حِرْشِ الْعَرَاقِيْبِ سَبَاحِ
شَرْهَنَ عَلَيَّ مِرْكَاضِ مُهْدِيْنِ الْأَزْوَاجِ
وَعَدَا لَهُمْ عَقِبَ النَّوَادِيَةِ نَمْنَامِ
وَأَنْتَابِيَهُمْ مِنْ حَامِي السَّوِيْكِاحِ
وَأَفْقُوا مِيعَتِيْنِي بِمَعْدِ ضَرْبِ وَزْخَامِ
كَمْ مَنْ حَدِيْنِي بِالْقَلْبِ قَفْوَتُهُمْ طِمَاحِ
أَنْلَزْتُكُمْ يَا بَشِيْرَ فِي حَامِيْنَا الْعَامِ
هَنْ طَارِي الْفَرْعَةِ لِيَا صَاحِ صَبَاحِ
مَا دَامَ سَاجِرُ كَيْفِهِ السَّبْعِ ضَرْقَامِ
هَنْ حِيْدِيْتِهِ مَا نَزَحَهُ كُلُّ نَبَاحِ
مَضْطُورِ قَطْمَاحِ الْفَيَاسِي وَجَزَامِ
حَسْبِيْ حَيْنِيْدٍ لِلطُّوَايِيْرِ نَطْمَاحِ
مِنْ الرَّاسِ لِلْبَلْقَا إِلَى نَفْرَةِ الشَّامِ
مِنْهُ الدَّوْلُ خَاسَتْ عَلَيَّ كُلُّ فَلَاحِ

وهنا أكد الشاعر سليمان اليمني وصف سيده وزعيمه بالصقر الذي اعتلى مرتفعاً من الأرض، واخذ يتحفر لاقتناص صيدته، وأوهم أعداءه انه يريد غيرهم، لينقض عليهم على غرة، والحرب خدعة، وقال انه فاجأهم،

وأخذ ابل ابن كردوس، وشهد له الشاعر انه من الذين يكسبون المدح، اي من الرجال الطيبين، ثم ذكر انهم احاطوا بالابل من كل جانب احاطة السوار بالمعصم، أو كإحاطة الصائمين بفطورهم، بعد ان غربت الشمس وحل الافطار، ثم قال انهم لحقوا اهل (العرفا) وطابور الأروام، اما اهل العرفا فهم قبيلة السبعة وكانوا يتتخون بالعرفا، والعرفا المذكورة هي الأكمة الصغيرة التي تقع شرق مطار الطائف، اما الأروام فهم الخرصه من قبيلة الغدعان جماعة ابن قعيش، وهم يتتخون بالروم، وهذه عادتهم، وفي نفس البيت قال إنهم هبوا من القطين، اي من المنهل الكبير، الذي تجتمع فيه قبائلهم، وهنا يبين انهم ليسوا بقله، بل ان عددهم كثير، وقال انهم هاجمهم بعد تردد، وبعد ان ثار ملح البارود، من بتادقهم، وكذلك رأوا الموت يحول بينهم وبين الابل، ثم قال إن الابل التفتت اليهم ساجمة، اي ذاهلة حسيرة وكانت مؤملة ان أصابها يخلصونها، ولكن انياهم كلحت، وظهر عجزهم، واخذوا يتقهقرون، ورجعوا يائسين من فكها، بعد ان شاهدوا عدداً من القتلى، على الأرض دونها، ثم قال الشاعر انني نصحتكم بالعام الماضي، ولم تقبلوا نصيحتي، وقلت لكم ان شيئاً يغنمه ساجر لا تفكروا بارجاعه وانه لا يضيره نباح الكلاب، وقال ان ساجراً مصطور اي صلب القناة، وانه يقطع القيافي الموحشة ولا يرهبا، وعنيد بالحروب، ويقابل الطواير أي الكراديس من الخيل، ثم قال بالبيت الأخير ان دولة الأتراك اخذت تخشى على كل فلاح من ساجر، لأنه اخذ يتوغل بين قرى العراق وسورية، وقام بغارات قرب المدن.

لقد نجح ساجر في اول معركة على (غنا عبيد) واخذ يوالي غاراته

عليهم ، وفي إحدى المناسبات قال هذه القصيدة في خصومه (عنا عبيد) .

يَا مَنِ لِعَيْنِي كُلَّمَا قُلْتُ نَأْتَتْ
فَرَّتْ وَقَامَتْ مَا تَرِيدُ مَنَامُ
وَيَا مَنِ لِقَلْبِي كُلِّ مَا أَقُولُ ذَالِهِ
يَجْنِيهِ مِنْ بَيْنِ الضُّلُوعِ وَهَامُ
يَحْسُ ضَيْبِي مِنَ الرِّقَاقَةِ وَخَلْدِيهِمْ
وَنَحِي عَيْنُهُمْ كُلُّ يَوْمٍ مَلَامُ
تَقَاوَرُوا بِالنَّظَرِ نَسَاوِينِ حَرِينَا
نَأْيَسُ وَبِلَاحِ الرِّجَالِ دَقَامُ
يُسُونُ حِسْرَتَنَا وَنَحْنَا هَذَابُهُمْ
وَمَنْ قَالَ أَنَا ضَيْبُ الرِّجَالِ يَضَامُ
عَيْنُهُمْ مَقَاوِيلُ السَّجَايَا نَجْرُهَا
بِرَنْجٍ هَلَسِي خُصُوفُ الْحِرُّوبِ هِيَامُ
يَسَامَا وَزِدْنَا عِفْلِيَةَ جَاهِلِيَّةِ
وَطَيَّرْتُ مِنْ جَالِ الْقَلْبِ حَمَامُ
حَرِينَا يَنْكُصِي مَصَاطِيي بِسُورِنَا
إِنْ نَازَ مِنْ نَعْتِ الْكِتَامِ كِتَامُ
وَعَلَدْنَا نَشْقِيهِ كَاسٍ مِنَ الطَّنَا
وَنَجْنِيهِ لُوقِ الرَّاهِمَاتِ شَمَامُ
كَمْ عَسَارَةٌ وَجْهَتَهَا يَنْتِ الْبَدَا
وَاعْدَلْتُ مِنْ عَقَبِ الْجَهَامِ جَهَامُ

كَمْ خَيْرٍ شَافَ الْعَنَا حَقَبَ فِئَلِنَا
 تِلْكَ لِمَرْؤَةٍ بِالْعَنَامِ حَلَامِ
 مَا دَامَ أَنَا حَيًّا فَهَلْ لِي فَتَايِلِي
 وَإِنْ وَثَّ لِلْجَنَّةِ وَيَزُودَ سَلَامِ

بين ساجر بهذه القصيدة أنه يشعر بأن (ضنا حبيد) يتآمرون عليه
 وخص بذلك الشيخ نائفاً والشيخ دهام بن قميش، ولكنه قال إذا كانوا
 يهتمون بغدرنا، فنحن على أهبة الاستعداد لهم، ومن اعتقد أنه سيفضيم
 الرجال، فالرجال سيفضيمونه، وسوف نقابلهم على صهوات الجياد، ثم
 أخذ يفخر بنفسه، ويقومه، ويوضح أعمالهم، وقال في آخر بيت أنه
 سيواصل أفعاله ما دام حيًّا، إلى أن قال: وإن توفاني الله، فأنا أرجو
 رحمته، وجناته.

وبهذه الفترة أحس ساجر أن ابن هذال شيخ العمارات لا يطمئن له،
 وأنه أخذ يعمل ضده، ورفض أن يساعده على حربه مع (ضنا حبيد)
 وقال ساجر هذه الأبيات:

إِنْ يَمْتَنَّا يَا شَيْخَ حِنَّا ذُكْرُنَاكَ
 بِالشَّيْخِ يَا رَامِي عِبَاتِهِ لِفَيْزِهِ
 يَا شَيْخَ مَا حِنَّا مَلُولًا وَذُوْلَاكَ
 حِنَّا يَمَادُونَنَا هَلْ لِي كَيْلٌ وَبِرِهِ
 صَابُورِنَا يَاطَاعَلِي حَوْضِ الْاِفْزَاكَ
 وَخَيْلٌ يَكَايِنُنِي وَخَيْلٌ مِفْزِرِهِ

كَأَنَّكَ بِيَّيْ لَفَضْحَةٍ حُبُونُكَ يَمْنَاكَ
أَضْرِبْ عَلَيْهَا يَمَا قِلِيلُ الْبَصِيرَةِ

لقد طال حرب ساجر مع قبائل (ضنا عبيد) وحصل بينهم معارك
دامية، وكان ساجر مضرب الأمثال بالإقدام، والطموح، وقد عاش
عمرًا طويلًا، وعندما طعن بالسن، وشعر أن قواه بدأت تضعف،
وأحس أن سمعه لم يكن كما كان.. قال هذه القصيدة متغزلًا بمحبوبة
له وهو يقصد دنياه التي عاش فيها:

بِيَّيْ قَزَتْ عَنْ نُومِهَا وَانْهَرْتُي
مَاهِي مِرْيَضَةٍ مَازٍ بِالْقَلْبِ وَلَوَالِ
وَاحْزِنْتِي مِنْ حَشَقَتِي صَافِيَتْنِي
وَسَامَتْ وَتَشَيْتَ مَا مَضَى لِي بِالْأَفْعَالِ
فَعَطَّرْتَ يَوْمَ أَنَّهَا بَسَافِيَتْنِي
وَالْيَوْمَ مَا حَطَّتْ حُلُومِي عَلَى الْبَالِ
وَقَسْرُونَهَا جِرْدِ الدَّبَابِ قَلْتْنِي
وَعَطُّورَهَا دَمَ النَّشَامِ لِبَاسَالِ
فَاعَلَّتْهَا بِاللهِ وَهِيَ حَاقِلْتْنِي
وَالْيَوْمَ أَشُوفُ أَعْمُولَهَا أَفْقَايِ وَأَقْبَالِ
دُنْيَايِ بِحُمُولِ الْعَنَاءِ صَاهَدْتْنِي
وَالْكَبَرِ بِرَثَ بِالرَّجُلِ كُلِّ غُرْبَالِ
مِنْ مَسْأَلِهَا بِالْجُودِ يَمَا حَطَّتْنِي
وَيَمَا رَكِبْنَا لُوقَ حَبَلَاتِ الْأَزْوَالِ

وَيَا مَا عَلَى طَيْبِ الْفَمَائِلِ مَدَّتَنِي
وَعَلَّيْتُ هَيْزَاتِ النَّفَا نَهْدِلِ الْمَدَالِ
نَفْسِي عَلَى مَا كَادَ لَوْ سَاعَفْتَنِي
وَأَنْ عَاضَبْتَ نَذَكِرُ بِهَا زَيْنَ الْأَمْثَالِ
وَكَمْ يَرْبُو بِجِرْمَا تَابِعْتَنِي
وَعَلَّيْتُ حَارِثَهَا عَلَى الْقَوْمِ نَهَالِ
وَاللهُ لِلْخَوْضِ بِخَوْزِهَا لَوْ عَصَفْتَنِي
مَا دَامَ جِشْمِي بِقَافِي مَا بَعْدَ زَالِ
مَالِي حَسَائِفِ كَانَهَا خَالِفْتَنِي
لَلِّي يَحْلُطُ الْخَيْرُ وَالشَّرُّ عَمَالِ

لقد اشتكى ساجر من الأرق، وبين أسباب أرقه، ليس من مرض في عينيه، ولكن لما بقلبه من الؤلؤ، وما يخالجه من التفكير... ثم أشار متحسراً على محبوبته التي لمس أنها بدأت تنفر منه، وتناست ماضي فعاله، وعاملته بالصدود، وذكر أنها أيام كانت مقبلة عليه، تتعطر وتتجمل، أما الآن فلم يعد يخطر لها على بال، ثم وصف ذوائب هذه المحبوبة، وبين أنها جرد السبايا، أي ضمير الخيل، وأن عطرها دم الأبطال المسفوك، وذكر أن بينه وبينها عهداً مؤكداً، ولكنها أخذت تنكث العهد. وبدأت تعرض عنه. واشتكى بأنه تحمل الغبن من دنياه، بأسباب الكبر. لما وهن العظم منه، واشتعل الرأس شيباً، ولطالما مدته بالجود. وأعطته من خيراتها، على سهوات الخيل. باحثاً عن الرزق، وكم أهوال لطيب الفعال، وركوب الإبل واجهوها لنيل مقاصدهم، إلى

أن قال سوف أتجشم الصعاب، لو أنها أسعفتني، أما إذا أصرت وأعرضت فسأذكرها بالأمثال، أي الأشعار، ثم رجع إلى ماضيه، وقال: كم كوكبة من الخيل قادها، وأغار بها على القوم، ثم أقسم على نفسه رغم كبر سنه، أنه سيخاطر بآخر حياته، مادام جسمه باقياً، وفي آخر بيت قال: أنه لا ولن يأسف، إذا هي خافته، شريطة أن تتجه إلى كفاء يخلط الخير والشر.

ولا شك أن الشيخ ساجراً قد ضرب مثلاً عالياً بالشجاعة والإقدام، وتزعم قبيلة (السلقا) وتضاهل أكثر زعماء القبائل أمامه، ولا زالت زعامة قبيلة السلقا يتوارثها أحفاده، وهم الآن يسكنون بقرية الشملي في أعلى بلاد طيء.

ومن القصص العربية التي اتفقت للشيخ ساجر أنه كان نازلاً في أحد مضاربهم، وله جار يمتلك ستين شاة من الغنم، وجاء نذير لساجر، بأنهم غداً مصبحون من أعدائهم فأصدر أمره إلى جماعته بالتحول عن هذا المضرب تفادياً لمفاجأة العدو، وكانت مواشيهم من الإبل والخيل، وليس معهم من الأشياء سوى الستين التي يمتلكها جاره، وقبل أن يغادروا مقرهم، فاجأتهم غارة العدو، وكان من الممكن أن ينجو بالخيل والإبل، ولكنه من الصعب أن ينجو بالشيء، وكبر على الشيخ ساجر أن تنجو قبيلته بإبلهم وخيلهم، وأن تكون شياء جاره هي كبش الفداء، وهاله الأمر، ثم فكر ماذا يكون حديث الناس عنهم، إذا تخلوا عن جاره وشيائه، وأخيراً صمم على أن يحموا شويهاً جاره، وأن يقدموها على أموالهم، وأولادهم. . فدبر خطة تدل على أن ساجراً

إلى جانب جرأته وشجاعته، كان من دهاة الرجال، شطر خيل أصحابه شطرين، لتنفيذ هذه الخطة وكان عدد فرسانه نحو مائة وعشرين فارساً، فأمر ستين منهم أن يلتقط كل واحد شاة من تلك الغنم، ثم ينحونها أمام ظعنهم، بينما الستين الفارس الآخرون يقفون مستميتين في وجه العدو المغير، ثم يعود الذين نحو الشياه ليشتبكوا في المعركة، ويخفّفوا عن إخوانهم، ويفسحوا لهم المجال لينبؤوا عنهم هذه المرة في نقل الشياه، وإبعادها مرة ثانية عن المعترك.. وهكذا استمر أنصار ساجر، وفرسانه يتبادلون نقل تلك الشياه، ويكافحون العدو المغير، في كر وفر معه، وطراد ونزال.. حتى تم لهم النجاة بشياه جارههم، ولم ينقصوا من أموالهم شيئاً، وعاد المغيرون بخفي حنين، يجرون أذيال الفشل والخيبة، كل ذلك فعله ساجر في سبيل حماية الجار، التي هي من شيم العرب.

ومن ذلك التاريخ استحق ساجر وجماعته، أن يطلق عليهم لقب أصحاب الشويهات، وهم إلى الآن يعرفون بهذا اللقب، ومعناه أنهم الذين نجوا بشويهات جارههم.

وقصة أخرى طريفة وقف فيها عند قوله وأظهر صوامته وقوة إرادته:

إن قدرة الإنسان الحقيقية لا تكمن في فعله فقط.. كما أن ذكائه وأخلاقه لا يمكن أن تحدد بأقواله ومعتقداته، وأن أصعب شيء قد يواجه الإنسان - أي إنسان - هو التوفيق بين ما يهدف إليه وما يقوله وما يصنعه، وبمعنى أصح (أن يقف عند كلمته) نعم إن الوقوف عند الكلمة، قد حملت الإنسان الشجاع، الكثير الكثير من التضحيات

الجسيمة، ولكنه مع ذلك أعطى بنفس سخية لا تبخل، ونفس أبيّة لا تجزع، ونفس عزيزة لا تتطامن... وجنى فوق ذلك كله راحة الضمير والبال. وقد علمنا التاريخ أنه ما من إنسان وقف عند أقواله وقوف المؤمن الصادق، والمحارب المستميت، إلا وتفتحت أمامه أبواب النصر باباً بعد آخر... ومثل هذا الرجل إنما يغزو قلوب الناس قبل أراضيهم، ويكسب حبهم قبل أموالهم، ويضرب الأمثال الشريفة على معنى الوفاء بالعهد.

وأما الآن مثال رائع جسد واقع الوفاء بالقول أبلغ تجسيد.

إن قصة (ساجر الرفدي) التي تعطينا أبعادها وملامحها قصيدته المشهورة التي تقول:

وَأَمِيرِنِي وَأَنَا عَلَيْهِمَا شَقَاوِي
 إِنَّ قَبْلَ يَاهِلِ الْغَيْلِ تُطْرِي عَلَيَّ
 مَا نِي مَوْدَعَا لِكُشْبِ الشَّوَاوِي
 وَلَا رَدَدَتْ فِرْقِي الْبَقَرِ بِالزَّوِي
 أَبْرَهَا لِمَكْتَرِنِ الْمَرَاوِي
 وَالْحَقِّ عَلَيْهِمَا كُلُّ رَاوِي
 يُؤْمِ الْمَلَأْسِي يُغْتَرِضُ بِالْأَمَاوِي
 إِلْسِي تَنَادَوْا بِتُهُمِ بِالْحَمِي
 وَأَنَا عَلَى جَذْعِ الْمِدْرُوعِ رَهَاوِي
 وَمَا جَذَعْتُ الشُّيْخَ وَالْإِجْلِي

وَمَا تَعَمَلُنَا بِسَارِ الْبَلَاوِي
وَيَنْطَلِخُ وَجْهَهُ أَهْلُ الْمَرْؤِمِ الْقَوِيَّةِ
وَأَنَا لَعَصِيْبِيْنَ الشَّوَارِبِ فِدَاوِي
حَمَايَةِ السَّاقَاتِ فِي كُلِّ هَيْبَةٍ
وَلَيْسَا اجْتَمَعَ حَسَنَ الْفِنَا وَالنَّمَاوِي
يَاطْرَاذُ هَاكَ الْيَوْمَ عَيْدٍ عَلَيْهِ
وقدر لساجر الرفدي أن يغزو قبائل الشويان الغزالات.. وقد تغلب
عليهم وغنم منهم من الأغنام ما يزيد على عشرة آلاف رأس.. وعندما
أخذ يوزع الغنائم على قومه، أتى إليه رجل من الشويان المهزومين،
وقال لساجر: أأنت القاتل لهذا البيت:

مَآسِي وَمَعْوَذَهَا لِكُتُبِ الشَّوَاوِي
وَلَا رَقَدَتْ فَرْقِي الْبَقَرِ بِالْمَرْؤِيَّةِ
ففوجيء ساجر وبهت، وأجابه بنعم أنا القاتل لهذا البيت.. فرد
عليه الشاوي، إذن لماذا تأخذنا ولم تف بكلامك.

فهب ساجر قائماً ونادى في قومه أن تخلوا عن المكاسب جميعها
ويجب أن تعاد إلى أهلها بدون نقصان - ولا شك بأن هذا الفعل إنما
يدل على ما يتمتع به ساجر الرفدي من احترامه لنفسه قبل أي شيء
آخر.. ومعنى أن تحترم نفسك، أي أن تصونها وترفعها ولا تجعلها
مستنقماً مليئاً بالمتناقضات والأكاذيب.

وحنناً لقد وقى ساجر (وقف عند كلمته) بكل شجاعة وتضحية..
واستحق بذلك أن يكون رجلاً وبطلاً يصنع التاريخ.

شالغ بن هذلان

شالغ بن هذلان - نسه - مكائنه في قومه - فروسيته - أخوه الفديع - شجاعته - الإلفة بينه وبين أخيه - تبادل الشعر بينهما - قتل الفديع وحزن شالغ عليه - أبناء شالغ - قتل عبّيد بن حُميد في ثار الفديع - الشعر بين شالغ والجَمْدَة حول ذلك - بروز ذيب بن شالغ وفروسيته النادرة - شعره - لطفه مع أبيه - كسبه لجواد نادر - أبوه ييكبه حيًا - القبائل تتحاشى الإغارة على قومه خوفًا منه - إغارة الملك عبدالعزيز على طعيئة والده - دفاعه المستميت دونها - شعر والده في ذلك - قتل ذيب - حزن والده عليه وشعره في رثائه - كيف قتل؟ - الهُوَيْدي وطيره وشعر شالغ فيه . . إلخ . . إلخ .



شالھ بن مدلان

هو الفارس شالح بن حطاب بن هذلان، نشأ شالح بين أفراد قبيلة الخنافة التي هي فخذ من قبيلة آل محمد القحطانية، وعاش إلى سنة ١٣٤٠هـ تقريباً، وكان مثاليًا بشجاعته، وأمانته، وصدقه، وحسن أخلاقه، وكرمه ووفائه. . وكان يحكم لحل المشاكل سواء كانت على مستوى قبلي، أو فردي. . وكان محبوباً عند قبائل قحطان وعند القبائل الأخرى.

نشأ شالح بين أفراد قبيلة الخنافة، وكان له أخ يسمى الفديع كان أصغر من أخيه شالح كثيراً، وكان شقيقاً له، وكان مثاليًا بشجاعته وأخلاقه، ويمثل أخاه شالحاً في كل شيء: إلا أنه كان مغامراً بفروسيته إلى أبعد الحدود، وكان وفياً مع أخيه شالح، وخادماً أميناً له، يرى أن تغانيه في خدمة أخيه الأكبر فضيلة من الفضائل لا يعادلها شيء، وبعد أن كملت وجولته، تحمل كل مشاق الحياة عن أخيه شالح، وأصبح هو حامي ظميتهم، وكانت إبلهم لا تذهب للمرعى إلا وهو معها مدججاً بالسلاح، وعلى صهوة جواده، وكان حصناً حصيناً لها، ولإبل الحي، ولا يخطر ببال أي عدو أن يضر عليها، مادام الفديع عندها، وإذا تجرأ أحد من الأعداء وأغار عليها، فلا بد أن يرجع

مدحوراً، وذات يوم مع بزوغ الشمس، وأخوه شالح جالس حول ناره، يحتمي القهوة. . التفت إلى الإبل وهي في مباركها قرب البيت، رآها تعتب في عقلها، ولم ير الفديع، فنادى شالح قائلاً: الإبل تعتب بعقلها والفديع غائب عنها أين هو؟ فقبل له: إن زوجتك تنظف رأسه، أي تغسله وترجله داخل البيت، فقام غاضباً ورأى زوجته تغسل رأس أخيه كعادتها، فقال: الإبل حائرة في مباركها، ولم تذهب للمرعى، وأنت عند النساء تغسل رأسك، فأخذ من التراب ووضع على رأس أخيه، فقام الأخ البار خجلاً من أخيه، وأخذ يمسح التراب عن رأسه، وهو يردد كلمته العفو يا أخي، ثم طلب من زوجة أخيه أن تسرج جواده، وتحضر سلاحه، وذهب للإبل مسرعاً، وأخذ يطلق عقلها. . أما شالح فقد رجع إلى قهوته، وجلس من حولها، وعندما أطلق الفديع عقل الإبل رجع، وأخذ سلاحه ولبس كل عدته، ثم أتى إلى أخيه، يمشي بحذر، وبخفة متناهية، من حيث لا يشعر به، فقبل رأسه، وقبل ما بين عينيه، وقال في أمان الله يا أخي. وركب جواده، واتبع إبله، التي لا يطمئن شالح إلا بوجود أخيه معها، وعندما رجع الفديع بعد غروب الشمس أتى إلى أخيه شالح وسلم عليه، وقبل ما بين عينيه، وجلس في مكان أخيه عند القهوة، وأخذ يصب لأخيه شالح، ويقص عليه أخبار يومه الفائت، ويداعبه بالنكت المضحكة، ويحاول أن يثبت لأخيه شالح أنه لا يحمل في نفسه عليه أي عتب، وأنه لم ينتظ من حثو التراب على رأسه، وكل ما يهمه هو أن يكون أخوه راضياً عنه، وكان الفديع على عادته آتياً بعدد من الغزلان، اصطادها بالفلأ فأخذ يقدم لأخيه من طيب لحمها، وعندما أراد شالح أن يأوي إلى مضجعه، همست زوجته بأذن

الفديع، وقالت: إن الماء الذي عندنا نفذ، ولا بد أن أخاك عندما يتبه من نومه سيطلب ماء للقهوة، وسأخبره أنه لا يوجد عندنا ماء، فقال الفديع: الحذر أن يعلم أخي بذلك، طلب منها أن تذهب لأحد الجمال، وتتيحه بعيداً عن الإبل، وتضع رحله عليه، وأن تضع عليه مزادتين وركب الفديع جواده، واستاق الجمال أمامه، وراح يبحث عن منهل يستقي منه الماء، وعند طلوع الفجر الأول، وقبل أن يستيقظ أخوه عاد محملاً الجمال بالماء، وحط عنه الرحل وسكب من الماء في (دلال)^(١) أخيه لتكون جاهزة لإعداد القهوة، عندما يستيقظ، ونام هو قليلاً إلى قبل طلوع الشمس، وقام كعادته وصبح أخاه بالخير، وانطلق بإبله كعادته للفلا، وبعد ذلك أسرت امرأة شالح لزوجها بما فعله الفديع، وعندما عاد الفديع بعد غروب الشمس، وسلم على أخيه، وجلس عنده، لاحظ الفديع أن أخاه شالحاً كثير التفكير، ومشدود البال، فسأله قائلاً: ما بك هذه الليلة، عسى أن لا تشكو من ألم؟ أخبرني لأن ما رأيته من تفكيرك أساءني؟ فقال: يا أخي ليس بي شيء إلا أنني أفكر في حالتك لأنني أتعبتك في هذه الدنيا، وأنت وحدك متحمل مشاق هذه الحياة، وكل أيامك وأنت على صهوة جوادك، وأنا أعرف أن هذا شيء يرضني. وكم أود أن يكون أبنائي كباراً ليساعدوك، ويخدموك، ولكنك أنت متكفل بهذه العائلة الكبيرة. فقال الفديع: أنا سعيد بأن أقوم بخدمتك، وكل ما أوده بهذه الحياة أن أكون وفياً معك،

(١) دلال: جمع دلة، وهي أباريق تصنع من الصفر أو النحاس، ويخص بها ما يستعمل للقهوة.

وَأَنْ أَحْزِرَ رِضَاءَكَ، وَأَنْ أَخْدَمَكَ كَمَا يَجِبُ عَلَيَّ، وَأَنْ لَا يَحْصُلَ مِنِّي
أَيُّ شَيْءٍ يَكُونُ سَبَبًا فِي إِزْعَاجِكَ. وَأَنْشُدْ:

يَا بُو ذَهَابَ أَكْفَيْكَ لَوْنِي^(١) لِحَالِي
وَاضْبِرْ عَلَيَّ الدُّنْيَا وَبَاقِي تَعَبَهَا
وَأَنْ كَمْ أَخْشَوْهُ مُتَعَرِّضِينَ الْعَبَالِي
أَنَا لِلْخَوِيفَةِ سِنْدٌ هَيْبَةٍ حَبَبَهَا
وَأَنْ جَنِّ مِثْلِ مُعَرِّمَاتِ الْجَمَالِي
كَمْ سَابِقِي تَفْزِي وَأَنَا مِنْ سَبِيهَا
كَمْ خَفَرُوا قَدْ حَرَّكَتِ لِلدَّلَالِي
لَبَسْتُ سُودَ عَفْبٍ لَذَّةَ طَرَبِهَا
وَأَنْ جِئْتُ لِي قَفَرٍ مِنَ الشَّرِّ خَالِي
بَفَرَحٍ بِمَيِّ الْحَوَازِ يُومِ الْفِيلِ بَهَا
أَفْدِيكَ يَا شَالِحَ بِحَالِي وَمَالِي
يَا قَارِسَ الْفِرْسَانِ وَمَقْدِمَ عَرَبِهَا
يَا نَيْسُ ابْنَةَ بِرُؤُوسِ الْبِقَالِي
يَسَالُّنِي حَمِيَّتُ خِلْدُودَهَا يَا جَنَبِهَا

قال هذه الأبيات لأخيه فتأثر شالح بها، وأجابه بهذه القصيدة:

لَا وَاعْزِ لِي عَفْبُ نَزَقَاءَ بَاضِيعِ
يَكْشِي بِمَا يَبْجُرِي عَلَيَّ الْمُؤْمَرُ دَارِي

(١) لوني: أي لو أنني وحدي.



الملك بن هلال

أَحْزَى يَا مَنَ الْبَنَى الْمَفَارِجِ
وَمُطْلِقِ لِسَانِ إِلَى بَاهِلِهَا تَمَارِي
مَا قَطُّ يُؤْمَرُ شِدَّ بَيْنَ الْفَرَارِجِ
يَا كُؤُذَ مَا بَيْنَ الْكَيْمِي وَالْمِشَارِي
لَيْتَ عَصَانِي مَرَّةً قَالَ مَا طَبِيعِ
كُؤُذَ أَنِّي اضْبِرُّ يَوْمَ تَجْرِي الْجَوَارِي
أَنَا أَتَهَذُّ أَنَّهُ لِي سِرِّجُ الْمَنَافِجِ
حَبْدُ مِلْيُوكَ لِي وَلَا تَسِي بِشَارِي
تَهْذُ حَلِيَّةُ مَنَائِلَاتِ الْمَصَارِجِ
وَاصْدَاهُ مِنْ كِفَّةِ ثُلُوفِ الْعَزَارِي
يَمْنَاهُ تَنْشُرُ مِنْ دِمَاسِمِ قَرَابِطِجِ
وَعُوقُ الْعَدِيمِ اللَّيِّ يَمْنَاهُ يَشَارِي
جَمْدَاغُ صَفَرَيْنِ الْوَجِيهِ الْمَذَارِجِ
مَعْلَى سِرُّجِ الْعَبْلِ مِنْهُمْ حَوَارِي
الْقَلْبُ مَا يَنْسَى يُعِيدُ الْمَنَافِجِ
لَيْتَ حَلَى صَبْدِ الْمَتَاهِيزِ حَارِي

وكان شالحاً قد توقع بهذه القصيدة مستقبل أخيه الفديع، لأن الفديع كان مغامراً بقتاله، وكان أخوه شالح يخشى عليه دائماً من مغامراته؛ لأنه يراه هو كل شيء بالنسبة له، وكان يفضل على نفسه، ويفخر به عند القبائل، وذات يوم كان شالح واحلاً بطعنة، وكان أخوه الفديع أرمد العينين، وجواده يقاد مع الطعنة، وهو في هودج، معصوبة عيناه، فأغار على ظميتهم كوكبة من الخيل، وتبين لهم أن هذه الخيل المغيرة هي خيل الحمدة زعماء قبيلة عتية، الشجعان المشهورين بالفروسية، والذين يضرب المثل بشجاعتهم، فأخذ شالح وحده يدافع عن الطعنة بكل بسالة، وكان الحرب بينه وبين المغيرين سجالاً، فمرة يهزمهم، ويبعدهم عن الطعنة، ومرة يكثرون عليه، ويهزمونهم إلى أن يصل إلى ظميتهم، ثم تتصاعد صيحات النساء، وزغاريدهن حافزات له على القوم، فيلقى القوم بقلب أقوى من الحديد، إلى أن يبعدهم عن الطعنة، فطال القتال وهم على هذا المنوال، وقد لاحظت والدته شالح والفديع، أن شالحاً أحياء الطراد، فنزلت من هودجها وأسرجت جواد الفديع الأصفر، وأحضرت سلاحه، وقالت: انزل وهب لمساعدة أخيك، لأن القوم سيغلبونه. فقال: يا أماه أنا أذوب كمدأ، وأحترق حصرة من حين سمعت غارة الخيل، ولكن كيف أرى حتى أساعد أخي؟ فقالت: أنا سأجعلك تبصر، وكان مثلها لأن يرى بعينه، حتى يهب لمساعدة أخيه، وعندما أنزلته أمه من الهودج، أتت بماء وغسلت عينيه وأخذت تفتحهما بشدة، ويقال أنه عندما انفصل كل جفن عن الآخر نزل الدم والصيد معاً من عينيه، فوثب كأنه النمر، وركب جواده، وهو لا يبصر إلا قليلاً، وكانت خيل الأعداء آتية بأخيه،

فاستقبلهم الفديع المغامر غير مهبال، فجندل أول فارس، ورجعت الخيل هاربة فجندل الآخر، ثم جندل الثالث، وعندما انفمخ بين الخيل، رشقوه بعدد كثير من الرماح دفاعاً عن النفس، فأصاب الفديع رمح اخترق رأسه فخر قتيلاً، ولكن الأعداء استمروا بالإدبار، لأنه قد أعيام القتال، ونزل شالح عن جواده وقلب أخاه فإذا هو ميت، وكانت نكبة موجعة لشالح وكانت لحظات ألم أحس وكأن شنجراً مزقت أحشائه دون أن يستطيع إيقاف ألمها إلا بالدموع التي تسابقت متناثرة على وجنتيه، اللتين هلاهما غبار المعركة، وبعد أن قبل أخاه القبلة الأخيرة، نظر إلى ذلك الجبين المعفر بالتراب، الذي طالما لامس الأرض من خشية الله، ونظر إلى تلك العينين اللتين طالما سهرتا عليه الليالي الطوال، ونظر إلى ساعديه اللذين طالما انطلقت منهما الرماح، لتصافح صدور الأعداء، ذاكدة عنه، وعن محارمه، وأمواله.. وهكذا دارت الأفكار برأس الأمير المنكوب شالح، ثم مسح التراب عن أخيه بكف مرتعشة، وطبق جفنيه، وأمر من حوله أن يكفونه، وكانوا في واد بنجد يسمى (خفا) وكان على جانب الوادي هضبة تسمى هضبة (خفا) فدفن الفديع على مقربة من هذه الهضبة.. وهكذا طويت صفحة من التاريخ. سجلت مثلاً رائعاً للشجاعة، والوفاء وكيف كان ير الأخوين لبعضهما، والمعاملة بينهما التي هي من شيم العرب، وإحدى مفاخرهم.



فہم بن شالح بن عدلان

لقد رثا شالح أخاء بقطرات من دم قلبه في هذه المقطوعة :

أَتَسَرَ الضَّحَى حَذِيثَ رُؤُوسِ الطُّوِيلَاتِ
وَهَيَّئْتُ فِي رَأْسِ الْحَبَا مَا طَرَا لِي
وَتَسَابَقُنْ دُمُوحَ عَيْشِي غَزِيرَاتِ
وَصَفَّقْتُ بِالْكَفِّ الْيَمِينِ الشَّمَالِي
وَجَرَّيْتُ مِنْ خَافِي الْمَمَالِيقِ وَثَاتِ
وَالْقَلْبِ مِنْ بَيْنِ الصَّنَاوِيقِ جَالِي
وَإِخْوِي بِأَلِّي يَمَ قَارَةَ (خَفَا) ^(١) قَاتِ
مِنْ عَادَ مِنْ عَفْهَ يَسْتِزْ عَمَالِي؟
لِيهِ كِفَانِي سُوَ بَقَا وَلَا مَاتِ
وَأَنَا كِفَيْهِ سُوَ قَبْرِ مَبَالِي
وَلِيَّهِ مَعَ الْحَيِّينَ رَأْسِي الْجَمَالَاتِ
وَأَنَا بُدَأَ لَهُ مِنْ حُبُونِ الْبَسَالِي
وَإِخْوِي بِأَلِّي يَوْمَ الْإِخْوَانِ فَالَاتِ
مِنْ خَلْفِهِ مَا قَالَ: ذَا لِكَ وَذَا لِي
يَبْكِيهِ هَجْنِ نَالِي اللَّيْلِ حَبَلَاتِ
تَرْقُبَ وَهَذَا يَوْمَ هَابِ الْهَلَاكِي
وَيَبْكِي عَلَى سُوءِ بَنِي هِفْيَاتِ
مِنْ هَقَبَ لَفِيهِ حَرَمَنِ الدَّلَالِ

(١) خفا: جبل شمالي الثَّيْر يترك اللهاج للمهاجر يمينا .

حَقُّ الْمَدِينِمْ إِنَّ جَا نَهَارَ الْمَشَارَاتِ

وَالْحَيْلِ مِنْ حِسَّةٍ يَحْيِيْنَ جِفَالِ

وكان لشالح ثلاثة من الصبية أكبرهم ذعار، وأوسطهم ذيب، وأصغرهم عبدالله، فأخذ شالح يربيه، ويعلمهم الفروسية، وتبين له وهم في سن الطفولة، أن من بينهم صبيًا سيموضه أخاه الفديع، لمع بعينه معاني الفروسية، والرجولة، وكان أديبًا طامعًا لأبيه، فأصبح شالح لا يحب أن يغيب عن ناظره لحظة واحدة، إلى أن برز بميدان الفروسية، وكان مثلاً للشجاعة، وكان مضرب الأمثال بين قبائل نجد، ولم يكن أخوا ذيب ذعار وعبدالله إلا فارسين معدودين من أفرس الرجال بين قبيلة قحطان، وكانا يتقدمان الغزاة إلى بلاد الأعداء، ولهم أفعال مجيدة بين قومهم، ولكن شهرة ذيب وشجاعته النادرة غطت على أخويه، وعلى غيرهم، وقبل أن يأتي دور ذيب بقي شالح يترقب الفرص بالحمدة، رؤساء قبيلة عتيبة، لأخذ ثار أخيه الفديع، وقد أعد العدة لذلك، وبعد مرور الأيام سنحت الفرصة لشالح لأخذ الثار من الحمدة، بعد أن تقابلوا بالميدان، وكان أحد أقارب شالح المسمى مبارك بن غنيم بن هذلان، قد تمهد بأخذ ثار الفديع، فعمد إلى عبيد ابن الأمير تركي بن حميد، الفارس المشهور، عمد إليه في حومة الوغى فجنده، بثار الفديع، فكبر المصائب على الحمدة بفقدان عبيد بن تركي بن حميد، وكان خسارة مؤلمة لهم، وأخذ أخوه ضيف الله بن تركي يتمثل بهذه الأبيات راثيًا أخاه عبيدًا، ومتوعدًا قبيلة قحطان التي قتلت أخاه، ومحرضًا الأمير محمد بن هندي بن حميد على ذلك فقال:

يَا وَتُتِي وَتَّة كِسِيرَ الْجِبَارَةِ
إِلَى وَفَتْ مَا اخْصَالَ، وَلِيَأَقْمَدَ وَنَ
عَلَيْكَ يَا شَبَابَ ضَوِّ الْمَنَارَةِ
عَلَيْكَ تَرْقَاتِ الصَّبَايَا يُتُوجِّسُنْ
مِنْ مَاتِ عِقْبٍ غَيْبُ قِلْنَا وَدَارِهِ
لَا بَاكِي عِقْبَهُ وَلَا قَائِلٍ مِنْ
يَبْكِيكَ صَفَرِ الْبُسُومِهَا هَيَّارَةِ
وَيَبْكِيكَ وَضَحٍ^(١) رِبْعَتِ بِالزُّبَارَةِ
الْبَا قِرْنَ مِنْ غَابِجٍ مَا يَرْدَنُ
الْعُجُلِ عِقْبِ غَيْبُ مَا بَعْدَ نِزَارَةِ
وَمِنْ عَادَ لَوْ رَاحَتُ وَمِنْ عَادَ لَوْ جَنَ
يَا شَبِيخَ مَا تَسَامَرَ عَلَيْهِمْ بِقَارَةِ
كُوءَ الْجُرُوحِ اللَّيْلِ عَلَى الْقَلْبِ يَتَرَنَّ
يَقْطَعُ صَبِيٍّ مَا يَنَادِي بِشَارَةِ
إِلَى الْبُلْبُلِ ذُوْلِي وَذُوْلِيكَ قَفْنُ
يَا هَاسِلَ الرُّمَكِ كُلِّ يَتَسَفَّ مَهَارَةِ
وَالْمَنْعُ مَا نِظَرِيهِ لَاهُمْ وَلَا حِنَ
فَأَجَابَهُ شَالِحُ بْنُ هَدْلَانَ بِقَوْلِهِ:

(١) جمع وَضَحَاءَ: مِنَ الْإِبِلِ اللَّوْنُ الْمَعْرُوفِ.

ضَيْفَ اللَّهِ أَشْرَبَ مَا شَرِبْنَا مَرَارَةً
 لِأَصْبَرَ وَكَئِذَاكَ فَالْحِجْ يَوْمَ عَزَّنْ
 رَاحَ الْفَسْدِ يَنْعَ اللَّيْلِ عَلَيْنَا حَسَارَةً
 وَاعْزِدْ قَضَاءَ مُبِينَدٍ حَامِي تَغْلِيهِنْ
 يَمْنَى رَمَتْ بِمَا تَجِيهَا الْجَبَارَةُ
 اللَّيْلِ رَمَتْ بِمُغِينَدٍ فِي مَمْتَكِجِهِنَّ
 وَمَنْ نَسْلَ ابْنُ سَوِيٍّ وَصَارِي لِلشُّطَارَةِ
 بِصَيْبِ رُوحِهِ يَوْمَ الْإِزْمَاحِ يَحْطِنْ
 وَفِينَدٍ خِلَاسِي طَائِحٍ بِالنَّمَارَةِ
 هَلْبَةِ عَكْفَانِ الْمَحَالِبِ يَحْوَمَنْ
 وَهَادِئَنَا بِالْقَيْدِ نَاعِزُ خِيَارَةِ
 ثَلَاثَةُ الْجَذَعَانِ خُضِرَيْنِ بِلَا مَنْ
 يَا قَاطِعَ الْجَنْسِ تَرَى الْعِلْمَ شَارَةَ
 لَا يَدُ فُؤَادَاتِ اللَّيَالِي يَسْذُورُنْ
 عَمْرَيْنَا كَيْتُ رَقِيْدَةِ الْجَبَارَةِ
 خَطَرِ عَلَيْنَا أَيْهَا تُؤَلِّظُ مِنَ الْجِنِّ
 مَسَانِي بِقَضَائِدِ بِلَيْنَا نَمَارَةِ
 أَجْدَعُ نَطِينِي بِالسَّهْلِ، وَإِنْ تَلَاقَنْ
 مَنْ حَلَّ دَارَ النَّاسِ حَلُّوا دِيَارَهُ
 لَا يَدُ مَا يَنْجَبُنْ دِيَارَهُ وَيَتَلَبَّنْ
 وَمَنْ يَشُقُّ يَشُرَ النَّاسَ شَقُّوا سِتَارَهُ
 وَمَنْ هَضَمَكَ بِالْقَرَمَانِ يَضْحَكُ بِلَا سِنْ

وَأَنْ كَانَ ضَيْفَ اللَّهِ يَمْشِي بِهِ
فَمَهَارِنَا مِنْ عَصْرِ نُوحٍ يَطِيرُ
تِلْكَ لِصَبِيَّانِ سِوَا^(١) النَّكَارَةِ

شَهْرٌ لِمَا ضَيَّنَ الْفَقَائِلُ يَمْنَنُ
وهنا نوه شالح بن هذلان عن مقتل عبيد بن تركي بن حميد، وأنه
أخذ ثأر الفديع منه، وكذلك أشار إلى مقتل الثلاثة. الجذعان، أي
الثلاثة الشبان، وهم: سلطان بن محمد بن هندي، ونائف بن محمد بن
هندي، وابن عم لهم، وقد قتل الجميع قحطان بثار الفديع.

نرجع إلى الصبي ذيب بن شالح بن هذلان، فعندما بلغ سن الرابعة
عشرة، وكان بهذا السن قد تدرب على ركوب الخيل، وقد رباه أبوه
أحسن تربية، وذات يوم اجتمع مشائخ الحي من أقارب شالح، وهم
أبناء عمه السفارين، اجتمعوا لرأي، ولم يدعوا شالِحاً لحضوره، وفي
آخر اجتماعهم أرسلوا إليه رسولا يدعونه، وكان عنده علم باجتماعهم،
فقال لرسولهم: أخبرهم أنني لن أحضر اجتماعهم، لأنهم اجتمعوا قبل
أن يخبروني، وأنا سأرحل حالا إلى قبيلة الدواسر، وقد رحل فعلاً
وحاولوا أن يرضوه، وأن يعدل عن رأيه، ولكنه أصر على الرحيل
وأرسل لهم هذه القصيدة:

أَنَا لَيْسَا كَثُرْتُ لَنَاوِيْرَ مَا شِيْرُ
وَحَلَقْتُ مَا نِي^(٢) بَارِيْ مَا دَعَانِي

(١) سِوَا: أمثال.

(٢) مَا نِي: ما أجىء.

وَأَنَا صَدِيقُهُ فِي لِبَالِي الْمَتَائِيرِ
 وَالْأُ السَّرْعَا كِلْ يَسِدْ بِنَكَانِي
 وَشُورِي لِيَا هَبَّتْ ثَوَالِي الْبِطَاهِيرِ
 شَلَفَا عَلَيَّهَا رَايِبَ الدَّمِّ قَانِي
 شَلَفَا مَعَوْذَهَا لِحَدِّجِ الْمِشَاهِيرِ
 يَوْمَ الْعَبَايَا كُنْهَا الذِّئْدَحَانِي
 مَانِي بِخَبْلِي مَا يَمُزِفُ الْمَتَائِيرِ
 لِيَذْنِي عَلَى قَطْعِ الْفِرَجِ مِرْجَمَانِي
 إِنْ سَنَدُوا حَذَرْتُ يَمَّ الْجَوَائِيرِ
 وَأَنْ حَذَرُوا سَنَدْتُ لِمَسْرُفَانِي
 نَاخِذُ بِخَبِيرَانَ الْمِرْنِيخِ مَسَايِيرِ
 وَمَا دَبَّرَ الْمُؤَلَّى عَلَى الْعَبْدِ كَانِي

فرحل إلى قبيلة الدواسر، وعندما وصل إليهم أكرموه، وأعزوه،
 فصادف ذات يوم وهو عندهم أن أغار عليهم فرسان من قبيلة عتيبة آخر
 النهار، وكان ذيب بن شالح قد بلغ من العمر أربعة عشر عاماً، ولكن
 والده قد أعد له جواداً من الخيل، وقد دربه على فنون القتال، لأنه
 يعلق على ذيب آمالاً جساماً، وعندما علم الدواسر بغارة الفرسان على
 إبلهم، ركبوا خيولهم وكرؤوا على القوم المغيرين وكان جاره الصغير
 ذيب معهم، وعندما تجاوزوا على الخيل عند الإبل، منع الدواسر
 إبلهم، وراحوا يطاردون المغيرين من قبيلة عتيبة، وكانت الشمس قد
 غربت، فدفع ذيب جواده بسرعة البرق على فارس من قبيلة عتيبة كان

في مؤخرة الفرسان، يدافع عن جماعته، فلكزه برمحه الصغير، فرماه عن جواده، وأخذ الجواد غنيمة، وكانت صفراء اللون، أي بيضاء، وكانت غريبة الشكل، لا يعادلها من الخيل شيء، فرجع فرسان الدواسر منتصرين، بعد أن هزموا القوم، وأخذوا منهم عدداً من الخيل، ورجع ذيب مع جيранه منتصراً، وغانماً أجمل جواد في نجد، وكانت هذه أول وقعة يحضرها ذيب، فأسرع أحد فرسان الدواسر، ليبشر جارههم شالحاً أن ابنه بخير، وأنه غنم جواداً لا يعادله جواد في نجد، ولما وصل الفارس إلى شالح وجده واقفاً أمام بيته، يترقب أخبار ابنه الغالي، الذي يعلق عليه آمالاً كبيرة، فبشر الدومري جاره بما فعله ابنه ذيب، وأثنى على ذيب بما هو أهل له، فتهلل وجه شالح بشراً، ولما وصل ابنه ذيب ترجل عن الجواد الذي غنمه من القوم، وجاء يمشي نحو أبيه بخطوات ثابتة، كأنه النمر، فسلم عليه، وقبل جبينه، وسلم له عنان الجواد الغنيمة فشكره أبوه، وقال هذا ظني فيك يا ذيب، وعندما رأى شالح الجواد عرف أن له شأناً عظيماً. وفي الصباح أعاد النظر في الجواد، فإذا هي التي يضرب بها المثل عند قبيلة عتيبة، وقبائل نجد، وكانت تسمى «العزبة» وعندما علم بها الأمير محمد بن سعود بن فيصل، وعلم بها أمير حائل محمد بن رشيد، أرسل كل منهما رسله يطلبون الجواد من شالح، فاعتذر إلى الرسل، وقال لهم بصريح العبارة: إن هذه الفرس أخذها ذيب من الأعداء، وهي لا تصلح إلا له، وأنشد:

يَا سَابِقِي كَثُرَتْ حُلُومُ الْعَرَبِ فِينِكَ
حُلُومُ الْمُلُوكِ مِنْ أَوَّلِ ثُمَّ تَالِي

لَا يَنْبَغُ لَكَ بِأَيْغٍ وَلَا نِيٍّ بِمَهْدِيكَ
وَأَنَا الَّذِي اسْتَغَاهِلَ هَذُو كُلِّ عَالِيٍّ
وَأَنْتَ مِنَ الثَّلَاثِ الْمَحْرُومِ وَلَا أُعْطِيكَ
وَأَنْتَ بِهَا الذَّنْبُا سُورِنْدَةُ حَلَاكِ
يَا مَا عَلَيَّ خَطُوءِي الْقَلَاعَةِ ثُبَارِيكَ
أَنْفِرْ بِهَا قَلْبَ الصَّدِيقِ الْمُوَالِي
وَيَا مَا عَلَيَّ زَيْنَ النَّدَا فِي مُوَاطِنِكَ
فِي عَمَلِكَ نَوَى مِنَ الْوَسْمِ سَالِي
وَيَا خُلُو شَمْسُورٍ مِنَ الْبَدْوِ، يَتْلِيكَ
يَقْفَرُ بِهِ الْجَاذِي تَرْبِي التَّوَالِي
الْحَيْزُ كُلُّهُ نَابِغٍ فِي نَوَاصِيكَ^(١)
وَإِذْ لَنَا رَاحِلٌ زُوْلِكَ قَبَالِي
بِالضُّبُقِ لَوَجِيهِ الْمَدَارِيحِ نَشِيكَ
وَعَجَلْنَا وَرَيْفَةُ خِلَالِ التَّوَالِي
حَقُّكَ عَلَيَّ أَنِّي مِنَ الْبِرِّ أَبْدِيكَ
وَعَلَيَّ بِذَنُوكَ الْجُوعَ احْطُطْ جَلَالِي
أَيْبُهُ عَنْ بَرْدِ الْمَشَاتِي بِذَنُوكَ
وَبِالْقَيْظِ احْطُطْ فِي نَعِيمِ الظَّلَالِي
يَا نَافِدَا الَّذِي حَصَلِكَ مِنْ مَجَانِيكَ
جَابِكَ غَضَابَ الْحَيْلِ ذَيْبِ الْمَبَالِي

(١) من الحديث الشريف: «الخيال معقود في نواصيهما الخير».

جانبك صبي الجُود مِنْ كَفِّ رَأْيِكَ
 فِي سَاعَةِ تَلَمُّلِ حُقُولِ الرَّجَالِي
 يَا سَابِقِي نَبِي نَبْتِدِ وَمَسَاجِيكَ
 وَالْبُنْدُ سَلِمَ مُكَرَّمِينَ السَّبَالِي
 يَمُّ الْجُثُوبِ وَذِيْرَتِهِ يَنْتَحِي فَيْكَ
 لِرَبْعٍ مِنَ الْاَوْنَسِ قَفْرِ وَخَالِي

وبعد أن قال هذه القصيدة رحل إلى الربيع الخالي. كما ذكر في قصيدته، وابتمد عن الأمير ابن سعود، وعن محمد بن رشيد، لثلا يأخذ جواد ابنه قسراً، وعاد بعد أن اطمأن على جواد ابنه، وبهذه الفترة بدأ يلمع نجم ذيب الخيل، ابن شالح. فأخذت الأنظار تتجه إلى الفارس الشاب، وزادت أخبار شجاعته انتشاراً، وأخذ الناس يتحدثون عنه، وكان ذيب يسأل أباه ورجال الحي من قبيلة الخنافرة، يسألهم دائماً ويقول: أين مصدر الخطر، الذي تتوقعونه؟ ومن أي جهة يمكن للعدو أن يفاجئنا منها؟ فيقولون له: هو من ناحية قبيلة عتيبة، ثم يسيرون إلى الناحية الشمالية، حيث تكون قبيلة عتيبة شمالاً، عن الجهات التي تقطنها قبيلة قحطان، فيقول ذيب لراعي إبله: اذهب بإبلي إلى الشمال أي إلى ناحية الخطر الذي يمكن أن يكون من قبيلة عتيبة، ويتفوه بفخر واعتزاز، قائلاً: سأحمي إبلي وإبل قبيلة الخنافرة من أي غاز كائناً من كان، سواء من قبيلة عتيبة، أو من غيرها. فتذهب إبله وترجع سالمة، ولا يمكن لأحد أن يتجرأ عليها، مادام ذيب الفارس موجوداً عندها، ومما قيل عن شالح والد ذيب أنه إذا جلس في مجلسه

وحوله رجال القبيلة، ينادي ابنه ذيباً فيأتيه الابن البار المطيع مسرعاً، ثم يقبله الأب الطيب، كأنه طفل صغير، وعندما يقبله ينفجر باكياً، وقد لاه قومه مراراً قائلين له: كيف تقبل ذيباً بين الرجال كأنه طفل ثم تبكي؟ فيجيبهم: دعوني أقبل ذيباً، وأبكي عليه، وأودعه كل يوم، لأنني أتخيل أن الدنيا ستحرمني من ذيب، لأن من كان يخوض غمار الحروب الطاحنة، ويندفع مثل اندفاع ذيب للمعركة، لا يمكن أن يكون من أصحاب الأعمار الطويلة ولا بد أن تختطفه يد المنون، ثم قال قصيدته المشهورة:

مَا ذِكْرُ بَيْتِ حَمِيٍّ بِكَى حَمِيٍّ بِأُذَيْبٍ
وَالْيُسُومُ أَنَا بِأَبِيكَ لَوْ كُنْتُ حَيًّا
وَيَا ذَيْبَ يَتَكُونُكَ هَلِ الْفُطْرُ الشَّيْبُ
إِنْ لَا يَمْتَنُهُمْ وَثَلْ غَيْسِلَ الْمُنَى
وَبِكَيْكَ قَطْمَانِ هَلَيْهَا الْكُؤَالِيبُ
وَشَيْبَانِ حَمَلِ اللَّيْ يَكُونُ الْكَيْبَا
وَبِكَيْكَ وَضَحْ عَلَقُومَا دَبَا دَيْبُ
إِنْ رَدَدْتُ مِنْ يَمَّةِ الْخُوفِ حَيًّا
وَبِكَيْكَ مِنْ صَكَّتْ عَلَيْهِ الْمَقَالِيبُ
إِنْ صَاحَ بِأَعْلَى الصَّوْتِ يَاهِلِ الْجَنِيَا
تَنْزِلُ بَنِكَ الْحَزَمَ الْفُطْرُونَ لَبَا دَيْبُ
إِنْ رَدَدُوهُمْ نَاقِلِينَ الْبُصِيَا
أَنَا أَشْهَدُ إِنَّكَ بَيْنَنَا مَتَعَ الطَّيِّبُ
وَالطَّيِّبُ حَسْرَ مَطْلِبِي مَا تَهَيَّا

ويلاحظ القارىء بيتاً من قصيدة أبيه حيث يقول:

تَبْكِيكَ وَضَحَ عَلَّقُومَا دِبَادِيبَ

إِنْ رِدَّدْتَ عَنْ يَمِّ الْعُوفِ حَيًّا

فالواضح هي إبل ذيب بن هذلان، ولونها أبيض ويسمونها الوضح، أما الدباديب فهي شيء من الزينة يضعونه على سنام كل حائل من الإبل، لقد زادته قصيدة أبيه شهرة في نجد، وسارت بها وبأشعاره الأخرى الركبان، وبعد أن استفاض ذكر ذيب في نجد، أخذ الغزاة يتحاشون الغارة على قبيلة الخنافرة، خوفاً من ذيب حتى أن الأمير محمد بن هندي بن حميد قال لفرسان قبيلة عتيبة: أنا أوصيكم بأنكم إذا أغرتم على إبل العدو وسمعتهم عندها من يعتزي بقوله: خيال البلهاء وأنا ابن دراج، فلا تطعموا بالإبل، انجوا بأنفسكم، لأن هذه هي نخوة قبيلة الخنافرة من قحطان، التي هي قبيلة ذيب بن هذلان، وهذا دليل واضح بأن ذيباً حامٍ لقبيلته، مثل ما كان عترة العبسي حامياً لقبيلة بني عبس.

ويقال أن الملك عبدالعزيز - طيب الله ثراه - أغارت فرسانه على شالح بن هذلان، ولم يعرف أن هذه إبل شالح، وابنه ذيب، وكان فرسان الملك عبدالعزيز يعدون بالمشاة، أغارت هذه الفرسان على ظمينة شالح وابنه ولم يكن حاضراً من القبيلة سوى ذيب ووالده وأخوته، فأخذ ذيب يصد الخيل ببسالة متناهية، بل وشجاعة فذة، وقد أغارت عليه الخيل قبل بزوغ الشمس، وأخذ ذيب يدافع عن ظمن أبيه

وإبله .. إلى ما بعد صلاة العصر، وهزم الخيل، بعد أن قتل الأمير
فهد بن جلوي، ابن عم الملك عبدالعزيز، الشجاع المعروف، والأمير
فهد بن جلوي هو صاحب (الشلفا) التي حربتها لازالت في باب قصر
عجلان المسمى بالمصمك بمدينة الرياض، في اليوم الذي هاجم فيه
الملك عبدالعزيز قوة ابن رشيد التي بالقصر المذكور وأيضاً رمى ذيب
بالأمير تركي بن عبدالله آل سعود ابن عم الملك عبدالعزيز، رمى به
على الأرض، وجرحه بجنبه، وجندل معه تسعة من الفرسان، وكان
ذيب في أوج المعركة، بأمر رعيان إبله بأن لا يصفلوا بهيجهم لثلا
يتأثر أبوه، وكان أبوه طاعناً في السن.

تخلص ذيب من فرسان الملك عبدالعزيز بفروسية لا يشاهيها أية
فروسية، فمن الذي يستطيع أن يحمي نفسه من فرسان الملك عبدالعزيز
منفرداً حمى ظمينة أبيه بقوة ساعده، وبضربات الهائلة، ولا شك أن هذه
المعجزة تجلت بصحراء نجد، سجلها شاب من قبيلة قحطان، القبيلة
العريقة: لقد نشأ هذا الشاب وترعرع بصحراء نجد القاسية، وسجل هذه
المفخرة وعمره لا يتجاوز الثانية والعشرين سنة، على أول طرة شاربه: لا
شك أنه ينطبق على هذا الشاب بيت هترة العبسي حيث يقول:

خُلِقْتُ مِنَ الْحَدِيدِ أَشَدَّ قَلْبًا

وَقَدْ يَكِيَّ الْحَدِيدُ وَمَا يَكِيْتُ

وعندما رجعت خيول الملك عبدالعزيز التي أغارت بدون علمه،
وأخبره رجالها أنهم رجعوا تحت ضربات ذيب الهائلة، تأسف الملك
عبدالعزيز وقال: لو عرفت أن الظمينة هي ظمينة شالح بن هذلان،

لأمرتكم بالرجوع عنها؛ لأنه شخص طيب، ولا أحب أن أفاجئه هو وأبنائه عند محارمهم، وعند إبلهم، وأرسل إلى شالح كتاباً يقول فيه: إنني قد عفوت عنه، وله الأمان، وعليه أن يرجع بالسمع والطاعة، فرجع شالح بعد أن أئمنه الملك عبدالعزيز وحماه، وحذر أقاربه من آل سعود بأن لا يفكروا بأخذ الثأر من ذيب بن شالح، وسمح للذيب أن يأتي ويسلم عليه، وفعلوا حماء وأكرمه، ولم يمس بسوء، وقال الملك عبدالعزيز: إنني كنت أود أن أرى هذا الشاب العجيب، ولا شك أنه دافع عن والده، وعن محارمه وإبله، وكان مظلوماً: هذه بقرية الملك عبدالعزيز، لقد عفا عن ذيب قاتل أبناء عمه، وهازم فرسانه، نعم عفا عنه، وقال: إنه مظلوم، مظلوم، لأنه لم يبدر منه أي ذنب يستحق التأديب عليه: إن الملك عبدالعزيز كان منصفاً، فهو يقول الحق ولو كان على نفسه، ويعترف بالفضيلة ويسمى إليها؛ لاشك أن عبدالعزيز عظيم، ويعفو عن العظائم، لقد ضرب مثلاً رائعاً للعفو، ولاشك أن ما قاله أبو الطيب المتنبى ينطبق على الملك عبدالعزيز:

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ
وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْكِرَامِ الْمَكَارِمُ
وَتَنْظُمُ فِي حَيْنِ الصُّبْرِ صَبَاؤُهَا
وَتَصْغُرُ فِي حَيْنِ الْعَظِيمِ الْعَظَائِمُ

وقد أكد لي بعض الحاضرين أن الملك عندما أغارت خيله على شالح وأولاده، ما كان عنده علم بهم، بل يظن أنهم من الأعداء الآخرين.

وعندما انتهت المعركة بين ذيب وفرسان الملك عبدالعزيز، أناخ
 ذيب ظعينة أبيه، وقبله بين عينيه، وهناه بالنصر، وقال له الوالد
 الطيب: هذا بمشيئة الله ثم بساعدك يا ذيب، بارك الله فيك، وأسأل الله
 أن لا يفجعني بك، وأخذ شالح ينشد أبياتاً قائلاً: إنك يا عبدالعزيز
 أفرحت علينا أعداءنا، قاصداً قبيلة عتيبة، لأنه يشعر أنهم هم أعداؤه،
 وأعداء قبيلة قحطان؛ لأن الحروب كانت بينهم مستمرة آنذاك،
 والأبيات هي:

يَا شَيْخَ فَرَّخْتُوا عَلَيْنَا الْمِدَادَ
 الَّذِي بِلَدِّكُمْ حِكْمُكُمْ مَا يَدَارُونَ
 فَرَّخْتُوا عَلَيْنَا الْفَجْرَ قَبْلَ الصَّلَاةِ
 وَحِثًّا عَدَدْتَنَا تَحْتَمِيهِ أَوْ بَعْدَ دُونِ
 مِنْ صَلْبِ أَبُويْ وَبِاللَّوَاظِمِ شِفَاةُ
 مَا هُمْ بِمُرِيْقِي هَدْيِهِدِ يَوْمَ يَأْتُونَ
 يَا نَائِدَا اللَّيْلِ مَا يَضِجُ وَصَاتِي
 مَا يُنَادِ الْأَعْفَبُ طَاعِنٌ وَمَطْمُونٌ
 شَوْ عَلَى رَكَابَةِ الْمَكْرَمَاتِ
 وَيُظْهِرُهُنَّ يَرْوِي شِبَا كُلِّ مَشْنُونِ
 وَيَلِكِدُ مَلَائِكَةُ الْعَدِيمِ الرُّنَاءِ
 وَيَاوَيْلَكُمْ يَلْلَيْ سَوْجُوهُ يَتَقَبَّضُونَ ۱۱
 خِلْسِي هَتَا لِلْجَوْعِ الْحَايِمَاتِ
 مِنْ فَعْلِي ذَنْبِ اغْلَى الرَّمَكِ عَنْهُ يَقْفُونَ

وَمَا يُبَيِّحُ لَا تَسْمَعُ كَلَامَ الْمَدَاةِ
أَنْفَهُ كَلَامَ الْمَبِيعَةِ لَوْ يُقُولُونَ
أَطْلُبْ لِحُكْمِكَ بِالسَّمْعِ وَالْبَيِّنَاتِ
يَجَاءُ مَغْبُودٌ لِبَيْتِهِ يَجْهَلُونَ
لَعَلَّ مَا يَكُنُّكَ النَّايِحَاتِ
يَا لَلَّتِي عَلَى عَوْرَاتِ أَهْلِ نَجْدٍ مَأْمُونِ
ولم ينس ذيب الابن البار أباه، فعندما حط رحالهم بعد المعركة،
حمد إلى إبله، وعقر حائلًا منها، وأخذ يشوي من طيب لحمها لأبيه،
ولجأه الدوسري، ويقدمه لهما، وهما يحتسيان القهوة، وكان هذا
الدوسري صديقًا لشالح بن هذلان منذ عهد بعيد، وكان شالح لا يحب
أن يفارقه، والصداقة بينهما قوية الروابط، وفي أثناء المعركة، عندما
يكر فرسان الملك عبدالعزيز على ذيب، يصيح شالح بأعلى صوته،
وينادي باسم أخيه الفديع، الذي مضى على وفاته أكثر من عشرين سنة،
وينخاه، ولم يتكلم عن ذيب، وفروسته الفذة.. وعندما انتهت
المعركة، جعل الدوسري يلوم شالحًا، ويقول له كيف تنخى أخاك وهو
ميت منذ عشرين سنة، ولا تنخى ابنك الذي أبلى بلاء حسنًا، وهزم
خيل الملك عبدالعزيز؟ فيجيبه شالح قائلًا: إن ذيب حتى الآن لم
يلحق ما لحقه عمه، من الشجاعة.. لذلك فأنا سأبقى ذاكرًا أخي
الفديع في كل ملمة، إلى أن أقنع بشجاعة ابني ذيب، ويثبت لي أنه
أكفأ من عمه، هذا ما يقوله شالح، أما أنا فأقول للقارىء، إن الذي
دافع عن ظيعيته وإبله، وحماها من فرسان الملك عبدالعزيز، إنه لا
يعادله أي فارس من الفرسان في زمانه.

وهنا يطيب لي أن أذكر طرفاً من بر ذيب بوالده: إن بر ذيب بوالده شالح لم يسبقه أحد إليه، ولا بد أن القارىء قد عرف بأن ذيباً قد ذبح لأبيه حائلاً من الإبل، ليشوي من لحمها له، ولم يشته عن ذلك عنه المعركة، وما لحقه من الإجهاد.

والآن أحدث القارىء عن سيرته التي استقيتها من المعاصرين لذيب، كان ذيب لا ينام أبداً وأبوه لم ينم، وكان يجلب لأبيه الحليب من الإبل، وعندما يأتي به إليه ويجده نائماً يبقى واقفاً وواضعاً الإناء على يده وربما حام حول أبيه وذكر الله بصوت منخفض إلى أن يستيقظ أبوه، ثم يقبل جبينه، ويتناوله الحليب، ولا يرضى أن أحداً غيره يقدم أي شيء من الغذاء، بل هو المسؤول الوحيد عن تقديم طعام أبيه، وخدمته، ويقال أنه عندما يرحل الظمن يركب مطيته، ويذهب أمام ظمينة أبيه، وعندما يصل الجهة القابلة للمنزل، يصطاد من الغزلان أو من الأرانب، أو من الحباري ثم يعدة لأبيه قبل أن يصل وكذلك يعد له القهوة، وكان دائماً يحمل آنية طعام أبيه، وآنية القهوة على راحلته، وعندما يقبل الظمن يستقبل أباه ويهلي ويرحب به كأنه ضيف عزيز عليه، ويمسك بخطام راحلته وينيخها عند المحل الذي كان قد أعده لجلوسه، وعندما يترجل والده يقبل جبينه، ثم يجلسه تحت ظل شجرة قد اختارها، وإذا لم يجد شجرة يقال أنه يعمل مظلة من الأعشاب لتظل أباه من حرارة الشمس، إلى أن يعدوا بيوتهم، وعندما يجلس شالح يقدم له ابنة القهوة، وبعدها يقدم له لحم الصيد الذي اصطاده، ويقول لأبيه بهذه اللهجة تناول يا ابن هـ.لان، حياك الله، فيجيب شالح ابنه بارك الله فيك يا ذيب.

وذاث يوم لم يصطد من الصيد شيئاً، وقد أقبل أبوه يتقدم الظلينة، وبقي ذيب حائراً متحسراً بماذا يقابل أباه وأخيراً استقر رأيه على أن ينحر مطيته (الأصيل) التي يعادل ثمنها خمساً من الإبل، وفعلها أخفاها بين الشجر لئلا يراها والده ونحرها، وأخذ من طيب لحمها وطهاه بالإناء الذي عادة يقدم به لحم الصيد لوالده، وعندما وصل شالح واستقبله ابنة كعادته، قدم له الأكل، بعد أن صب له من القهوة، وعندما تصاعدت رائحة لحم البعير عرف شالح أن هذا ليس بلحم صيد، فقال لابنه ما هذا يا ذيب؟ قال ذيب «شيب يابه» وهذه لغة قحطان، أي أن هذا رزق من الله يا أبت، فكرر أبوه السؤال وكرر الابن الإجابة، بأن هذا شيب يا ابن هذلان ثم عرف الوالد النتيجة، وقال لابنه ذبحتها يا ذيب؟ فقال ذيب هي تفديك يا أعر والد وروضها سيكون من حلال القوم آتي به إليك، ثم قال لأبيه: أنا لا أستطيع أن أستقبلك ما لم أقدم لك شيئاً من الأكل، أستقبلك به، وأقسمت على نفسي أن أستمع على هذه الحالة، إلى أن يتوفاني الله، فتأوه والده ثلاث مرات، وقال: يا لهفي بعد فراقك يا ذيب.

لقد اشتهر ذيب بیره لوالديه، ووفاه مع أصدقائه، وعطفه على جيرانه، وكرمه المحتامي..

وذاث ليلة كان هو ووالده ساهرين، وكان والده يداعبه، ويلقي عليه بعض الأشعار فأنشده هذه الأبيات:

يَا ذَيْبَ أَنَا يَسْأُوكُ حَالِي تَرْكِي
وَأَنَا هَلَيْكَ مِنَ التَّوَجِيبِ يَا ذَيْبَ

تَكْبِبْ لِيَّ اللَّيْ لَا قِجْ عِقْبَ مَدَا
طَوِيلَةَ الشُّنُوسِ حَزَنًا عَرَا قَنِيب
يَجِزْ ذَيْلِي بِمِثْلِ حَبْلِ الْمَعْدَا
وَبَرَى لَحْيَرَانِي صَبَارٍ حَبَا حَنِيب
وَأَضْرِي لَكَ اللَّيْ رَكَضَهَا مَا يَتَقْدَا
مَأْخِذٌ^(١) لَقَى فِيهَا حُيُوبٌ وَعَذَارِيبُ
قَبَا عَلَى خَيْلِ الْمِمَادِي يَتَعَلَّى
مِثْلَ الْفَهْدِ ثَوْلِبٌ عَلَيْهِمْ تَوَارِيبُ
أَنَا أَشْهَدُ أَنَّكَ بِاللَّوَاظِمِ يَسِيدَا
وَعَزَّ اللَّهُ إِنَّكَ خَيْرَةُ السَّرْبِيعِ بِالطَّيِّبِ
يَا لَلَّيْ عَلَى ذُنُوبِ السَّرَايَا تَعْدَا
لَوْ كَانَ مِنْ دُونِهِ حِيَالٌ مَعَاطِيبُ
لَيْسَتْ عَلَى ذَرْبِ الْمَرَا جِلٍ يَفْقَدَى
مَا فِيكَ يَا ذُنُوبَ السَّبَايَا عَذَارِيبُ

وبعد أن قال والده هذه الأبيات، بطريقة المزاح، أسرها الابن ذيب
في نفسه. وعندما نام والده، واطمأن ذيب أنه قد أخذ في النوم، ذهب
خفية وركب قلووصه، وذهب لبعض أصحابه من الشبان، وأمر عليهم أن
يرافقوه، فشدوا مطاياهم وركبوا مع ذيب، وعددهم لا يتجاوز خمسة
عشر شاباً، وكلهم ياتَمرون بأمر ذيب، وبعد ذلك سألوا ذيباً إلى أين
نحن ذاهبون؟ فقال إلى ديار القوم، وأشار إلى قبيلة عتيبة، لنكسب

(١) ما أحد وجد فيها حُيُوباً.

منهم إيلاً لأهلنا، وقال: لابد أن آتي لوالدي من خيار إبل عتية، واستمروا بسيرهم، وبعد ثلاثة أيام قصدوا بئراً في ديار عتية ليستقوا منها الماء، ويسقوا رواحهم، وهذه البئر تسمى «ملية» وهي تقع غرباً عن جبل ذهلان، بأواسط نجد، وعندما انحدروا إليها من جبل يطل عليها، رأوا عليها ورداً لعتية يستقون، فأراد ذيب ورفاقه أن يرجعوا لتلا يروهم فيندروا القبيلة بهم، وكان من السقاة صياد أخذ بندقيته، وتوجه إلى الوادي الذي انحدر منه ذيب ورفاقه، باحثاً عن الصيد، وعندما رأى ذيباً وجماعته اختفى تحت شجرة وأطلق عليهم عياراً نارياً، فأراد الله أن يصيب ذيباً إصابة مميتة.

لقد حلت الكارثة الكبرى على الشيخ الطاعن بالسن شالح بن هدلان، إنه فقد كل أمل في الحياة: فقد كل ركن على وجه الأرض، فقد الشجاعة الفذة، فقد الكرم الحاتمي، فقد الابن البار، فقد الابن المطيع، لقد خسر ذيب صريعاً وودع الخيل وصهيلها، وودع الإبل وحنينها، وودع أباه الذي هو بحاجة إلى بره وعنايته، ترك ذيب شالماً حزيناً، وودع قبيلة قحطان المجيدة، وودع سنانه ورمحه وبندقيته، ونقع الخيل وهزج الأبطال، ودع ذيب نجداً العزيزة ورياضها ودع غزلان الرئم والأرانب وطير الحباري التي كان يصطاد منها لوالده، لقد انقشعت هالة الفضل التي كانت تحيط الشيخ شالماً بالحنان والبر والفضيلة التي ضربت أروع مثلاً بين الأبناء والآباء.

بعدما سقط ذيب على الأرض أناخ رفاقه مطاياهم وتسابقوا إليه وضمروه إلى صدورهم، فوجدوه جسماً بلا حياة، وانهالوا عليه بالقبل،

وودعوه بدموعهم الساخنة، ثم وضعوه بكهف بجانب الوادي، وقفلوا راجعين إلى أهلهم.

أما الصياد الذي الذي أطلق النار، فقد ظل مختبئاً تحت الشجرة، إلى أن رأى الراكب قد ولى، فأتى إلى مكانهم ووجد الدم يلطخه، ثم عمد إلى ذيب وهو بكهفه، وعندما رآه وجده شاباً وسيم الطلعة، وفي خنصره الأيمن خاتم فضي، وكانت رائحة الطيب تعج منه، وكان لباسه يدل على أنه شخصية بارزة فرجع إلى جماعته الذين يستقون من البشر، فسألوه عن الرمية التي سمعوا عنده، فقال أن ركبا من الأعداء انحدر من الوادي وبعد أن رأوكم نكسوا راجعين، فأطلقت عليهم عياراً نارياً قتل منهم شخصاً تبين لي أنه زعيمهم، وقد وضعوه في كهف بجانب الوادي، فقالوا وما ذلك على أنه زعيم؟ فبين لهم أوصافه، ولباسه الذي عليه، وأن في خنصره خاتماً فضياً، فقالوا هيا بنا لنراه، وكانوا من قبيلة برقاً أحد جذمى عتبية، وكان معهم فتاة قد جلا أهلها منذ سنة إلى قبائل قحطان، لأسباب حادثة وقعت بينهم وبين بعض قبائلهم من عتبية، وعندما رأوا ذيباً بالكهف، ورأت الفتاة صاحت بأعلى صوتها، وقالت: ويحك هذا ذيب بن شالح بن هذلان، الذي كنا بجواره بالعام الماضي، فشتموها وقالوا ربما أن بينك وبينه صداقة، ولهذا السبب صحت بأعلى صوتك، فقالت: لا والله لم يكن بيني وبينه أي شيء من هذا. ولكن أكرمنا وأعزنا، وأجارنا، وكان لا يأتي من الفلا إلا ومعه صيد، ويأتي بقسمنا نحن جيرانه حامله بيده، وعندما يقترب من بيوتنا يفض نظره إلى الأرض، ثم يضع ما جاء به من الصيد ويدبر، دون أن

يرفع طرفه بامرأة من جيرانه، وهذه طريقته بالحياة، وعليكم أن تسألوا عن خصاله، وينبئكم عن ذلك من عرفه، فهو بعيد كل البعد عن الرذيلة.

ما أكبر المصائب على شالح، لما وصل رفاق ذيب وأخبروه بما حدث، لا شك أن خطب شالح عظيم، وأن وقع نبأ مصرع ابنه على قلبه أشد وأنكى من طعن الحراب، ولا شك أنه سيخرج ويلات الحزن، ومرارته، ومآسي الفراق ولوعاته..

وَإِذَا الْمَنِيُّ أَتَشَبَّهَ أَظْفَارَهَا
الْفَيْتَ كُفْلَ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ

إنها كارثة كبرى، ليست على شالح فقط، بل على عائلة آل هذلان، وعلى قبيلة الخنافرة، وعلى قبيلة قحطان الكبرى: وقد قال شالح أشعاراً كثيرة بعد وفاة ابنه، وأول ما قال هذه القصيدة:

يَا رَبِّعَنَا يَا لَيْلِي هَلَّى الْفِطْرَ الشُّبَّ
عَزَّ اللَّهُ إِنَّهُ ضَاعَ مِنْكُمْ وَدَاعَهُ
رِخْتُوَا عَلَى الطُّوْهَاتِ مِثْلَ الْمَبَاسِيبِ
وَجِئْتُوَا وَخَلَّيْتُوَا لِقُلُوبِي بِضَاعَهُ
خَلَّيْتُوَا النَّادِرَ بِذَارِ الْإِبْرَائِيْبِ
وَصَافَتْ بِِي الْأَقَاقِ عِقْبَ ابْتِسَامِهِ
تَكْثُرُنْ لِي صَافِيَاتِ الْمَسَارِيْبِ
وَبِالْعَوْنِ شَفَّتِ الدَّلَّاءُ عِقْبَ الشُّجَاعَةِ

يَا ذِيْبَ أَنَا بِوَصِيكَ لَا تَأْكِلِ الذُّيْبَ
كَمْ لَيْلَةٍ عَشَاكَ حِرْشَ الْمَرَايِبِ
وَكَمْ شَيْخٍ قَوْمٍ كَرَّرْتَ لَكَ ذِرَاعَهُ
كَفَّهُ بِمُدَوَانِهِ شَيْخَ الْمَضَارِبِ
وَيُسْقِي عَذْوَهُ بِالْوَهْىِ مِنْ سَاعِهِ
وَيُضْحِكُ لَهَا صَكَّتْ عَلَيْهِ الْمَتَالِبِ
وَيَكِيدُ عَلَى جَمْعِ الْمَدُوِّ بِأَنْذَاعِهِ
وَيَبِيْهُ لِحَبْرَانِهِ يَشِيْذُ عَلَى الطَّنْبِ
وَاللَّضِيْفِ يَنْبِي لِي طَوِيلَ الرِّقَاعِهِ
بِحَرْحِيْ عَطِيْبٍ وَلَا بَقَى لِي مَقَاضِيْبِ
وَأَلْعَتِ حَبْلُ الْوَحْلِ عَقْبَ انْقِطَاعِهِ
كَتَنِيْ بَعْدَ فَقْدِهِ بِحَامِيِ السَّوَاهِبِ
وَكَتَنِيْ حَرِيْبَ الدَّارِ سَالِيِ جِمَاعِهِ
مِنْ عَقْبِ ذِيْبٍ، الْخَيْلِ عِرْجِ مَهَالِبِ
يَاْخُلُ السَّرْمَكُ مَا حَادَ فِيْهِمْ طِمَاعَهُ
قَالُوْا نَطِيْبٌ وَقُلْتُ: وَشْنُ لَوْ أَنَّ طِيْبَ
وَطَلَبْتُ مِنْ عِنْدِ الْكَرِيْمِ الشَّقَاعَهُ

وأردفها بهذه القصيدة، وعلى نفس البحر والقافية، وقد رويتها عن
الأمير عمر بن سلطان أبا العلا وأكد لي أنه رواها عن والده سلطان
الذي عاصر شالحاً وابنه ذيباً، وبهذه القصيدة الأخيرة لم يخف آلامه

ولواعجه، فجاوب الذئب بعويلها، ثم رجع إلى خالقه وطلب منه
 الفرج، ثم لام نفسه، واعترف بأنه هو السبب بتحريض ابنه ذيب على
 غزوته المشؤومة، وبعد ذلك عزى نفسه بركوبه الهجن، وأنه يتقدم بها
 على أعدائه حتى ينيخها على مقربة من البيوت الكبار، ويتخطى
 الأطناب، ويكسب الناقة الحائل التي تهاوي الجمل، وتجعل منه خليلاً
 لها، وأخيراً أخذ يوصي جماعته بأن يختاروا (المناسب) الطيبة لياتيهم
 أولاد طيبون نجباء وقال لهم: إن بنت الرديء تأتي بولد لا يهمه أكثر
 من نفسه، وأن يشيع بطنه، رديء الهممة ميت الأنفة، تافه الشخصية،
 وهذه هي القصيدة:

ذَيْبٌ صَوَى وَأَنَا عَلَى صُورِهِ اجْتَبِ
 وَمَنْ وَثَّقِي جَضَّتْ صَوَارِي سَبَاعِي
 حَزَّ اللَّهُ إِلَيَّ جَاهِلٌ مَا اغْلَمَ الْغَيْبُ
 وَالْغَيْبُ يَغْلَمُ بِهِ حَفِيفُ السُّودَاعِي
 يَا رَزَاقُ عَكِفَ الْمَحَالِيْبِ
 يَا مَخْصِي خَلْفِي بِتَغْرِهْ وَقَاعِي
 تَفْرَجْ لِمَنْ صَابَهْ جُرُوحَ مَخَاطِيْبِ
 وَقَلْبِي مِنَ اللُّوْحَاتِ حَادٍ وَلَا عِي
 إِنْ صَاقَ صَدْرِي لِذَتْ لَوْحِ الْبِصَالِيْبِ
 مَا تَيْبُ مَنْ يَشْمِتُ فَعَايِلَ ذِرَافِي
 صَارَ السَّبَبُ يَتِي عَلَى مَنَاقِعِ الطُّيْبِ
 وَتَجْمِي طَمَنٌ بِالْقَاعِ عَقَبَ ارْتِفَافِي

يَاطُونُ مَا هَجَّيْتَهُنَّ مَعَ لَوَاهِبِ
وَلَانِي بِنْدَارِي^(١) كَثَرَهَا مِنْ ضِلَاحِ
وَيَاطُونُ مَا نَوَّغْتَهَا تَصْرُخَ الثَّيْبِ
وَذُنَّ الْبُيُوتِ اللَّيْ كِبَارِ رِبَاعِ
وَأَضْوِي حَلِيْنُهُمْ كَيْتَهُمْ لِي مَمَازِينِ
إِلَيَا رَمَى زَيْنَ الْوَسَايِدِ فِتْنَاعِ
أَضْوِي حَلِيْنُهُمْ وَاتَّعَطَّى الْأَطَانِيبِ
وَأَخِذْ مَهَاوِيَةِ الْجَمَلِ بِأَنْدِفَاعِ^(٢)
أَبَانِلِزِ اللَّيْ مِنْ رَسُوعِي يَيَا الطَّيْبِ
لَا يَخِذْ إِلَّا مِنْ يُّسُوتِ الشَّجَاعِ
يَجِي وَلَدَهَا مَلَرَبْ كَنَّةَ الدَّيْبِ^(٣)
هَزْلِيُسُوذْ وَكُلُّ مَا قَالَ طَاعِ
وَبُنْتُ الرِّدَى بِأَيِّ وَلَدَهَا كَمَا الْهَيْبِ
حَبْسِي لِبُوءِ، وَقَاشِلَهْ بِالْجَمَاعِ
يَاكِيرُ رُؤْلِهِ عِنْدَ بُنْتُ الْمَمَازِينِ
مُنْتَحَرِّي مَتَى يَقْدَمُ مِتَاعِ
وَبَقِي شَالِحْ حَزِيناً كَفْلِيماً يَسْهَرُ أَيَّامَهُ وَلِيَالِيَهُ، وَلَا يَفَارِقُ نَارَ قَهْوَتِهِ،

(١) ولاني بنداري: ولا أنا أداري من المداواة.

(٢) مهأوية الجمال: الناقة، وهذه الأبيات يرى بعض الرواة أنها للشاعر شليوبح العطاوي.

(٣) ملرب: حاد شجاع. كنه: كانه. لبوء: لأبيه.

وذاث ليلة وهو ساهر مع أحزانه، كان شخص من قحطان يسمى الهويدي قد ضاع صقره، وأخذ يبحث عنه بالليل ويسأل رافعاً صوته كلما مر بنار قطين منادياً «من عين الطير» فعرفه شالح وسكت عنه أول مرة، ثم عاد إليه مرة ثانية ماراً ببيته، بعد أن مر بنيران الحبي، وسأل عن طيره، ثم استمر بسؤاله ماراً بكل نار يراها، وعاد على شالح للمرة الثالثة، فناداه شالح والهويدي لا يعرف أن النار هي نار شالح، وعندما دعاه لكز هجينه بعقب رجله، وجاء مسرعاً ظناً منه أن المنادي سيشره بصقره، وعندما أناخ هجينه، واقترب من المنادي، تبين له أنه الأمير شالح بن هدلان والد ذيب، الذي لازال يصارع أحزانه، فاعتذر الهويدي لشالح، وأقسم له بالله أنه لا يعرف أن هذه النار هي ناره، ثم قبل جبينه معتبراً، وطالباً السماح، فأذن له بالجلوس من حوله، وأخذ شالح يصب له القهوة، ثم قال هذه الأبيات:

إِنْ كَانَ تَنْشِئُ مَا لِهَوَيْدِي عَنْ الطَّيْرِ
 الطَّيْرُ وَاللهِ يَسْأَلُهُوَيْدِي كَذَا لِي
 طَيْرِي كَذَابٌ مَعَشَكَرَاتِ الْمَسَاوِيرِ
 إِنْ حَلَّ عِنْدَ قَطِيهِنَ^(١) الْحِفَالِي
 إِنْ جَا نَهَارٍ فِيهِ شَرٌّ بِسَلَا خَيْرِ
 وَكَذَا لِيَهْنَ عِنْدَ الطَّرِيحِ اجْتَوَالِي
 إِنْ دَبَّرْنَ خَيْلٌ وَخَيْلٌ مَنَاحِيْمُ
 وَهَذَنَ مِثْلَ مَحْرَمَاتِ الْحِمَالِي

(١) جمع قطاة: يقصد ظهور الخيل.

عَلَى الرَّمَكِ صَيْدُهُ جِيَالِي مَنَافِيرِ
 وَشَرَّهُ عَلَى نَشْرِ الْحَرِيبِ الْمُؤَالِي
 يَضْحَكُ لَنَا صَبْغَتْ قَلْبَهُ الطَّوَابِيرِ
 طَبَّرَ السُّمَدَ قَلْبُهُ مِنْ الْخُوفِ خَالِي
 خِيَالِنَا وَإِنْ صَرَجَدْنِ الْمَقَاهِيرِ
 وَنَزَّوْمُ هَبْرَاتِ طَوَامَا الْجِيَالِي
 هَيْثُ لَنَا وَإِنْ جَتِ لِيَتَالِي الْمَتَابِيرِ
 وَبِالشَّحِ رَيْسُ لِلضُّمُوفِ الْهَزَالِي
 يَنْقِي نَسْرَاهُ مِنَ الرُّؤَايِخِ مَزَابِيرِ
 تَمُطِرُ عَلَى قَبْرِ سَكَنُ فِيهِ خَالِي

لا شك أن طير شالح يصيد أفذاذ الرجال، كما قاله بأشعاره، أما
 طير الهويدي فهو لا يقنيد إلا الأرائب والكروان. . . رحم الله شالحمأ
 وابنه ذيباً، لأنهما سجلا مفاخر قيمة لكل من يقطن نجداً. . . إننا
 نودعهما بالرحمة ودعوات الغفران، ونشيمهما بما يشيع به الأبطال
 المغاوير، الذين أبقوا لهم ذكراً في الآخرين، شجاعة وكرماً وشمماً
 وطيب أحدىثة.

محدثى الهيداني

محدثى الهيداني - نسبه حياته - فروسيته - شخصيته القوية - طموحه -
شعره هجازه لقومه - ابتعاده عن قومه ولد سليمان - وشعره في ذلك -
اغارتهم على الشوايا - حربه مع ابن قعيش - لجوؤه لابن سمير -
شعره فيه - انتقاله إلى آل مهيد وآل غبين - صلته بالسيد حجور وتأليه
إياه - ثورة السيد حجور - الشعر في ذلك - رحيل محدى إلى الشيخ
عبدالكريم الجريا وإكرام الجريا له - قصته مع الشمري في مجلس
عبدالكريم - وفاء عبدالكريم معه وعدوله عن مهاجمة قوم محدى من
أجله - عودته لجدهان بن مهيد بدعوة منه ورجاء للعودة - إنابته
وحججه . إلخ .



علي الهباني

هو محدي بن فيصل الهبداني عاش إلى تاريخ ١٣٠٠ هجرية تقريباً، وهو من قبيلة آل فضيل التي يرأسها الشيخ ابن رشدان، وهي فخذ من أفخاذ قبيلة الجعافرة من ولد سليمان، (من ضنا عبيد) من بشر، وبشر هو ابن عناز بن وائل، وهو شقيق مسلم بن عناز الذي تنفرع منه قبيلة (ضنا مسلم).

نشأ هذا الشاعر وترعرع بين قبيلة ولد سليمان المشهورين بالشجاعة، وكثرة العدد، شيخها العواجي وعائلته، والعواجية لازالوا هم شيوخ هذه القبيلة، نشأ في وقت التطاحن بين قبيلته والقبائل المحيطة بها، وأمه (ذكر) بنت مشل العواجي الفارس المشهور، ووالده فيصل الهبداني ليس مرموقاً بين أفراد هذه القبيلة، ولكن ابنه (محدى) نشأ ثائراً وذكياً وطموحاً، يطمح بالزعامة، ولكنه لم يلق مجالاً لزعامته، مع وجود أخواله الأبطال العواجية، ويعد أن لاحظ أخواله طموحه، وتدخله بالقبيلة، وتحريضه لهم، وترفعه عن مسلك أبيه. . . ضغظوا عليه، لهذا لم يستطع أن يبرز بينهم، وضافت به الأرض بما رحبت، وأخذ يتألم، ويقول الشعر محرضاً أقاربه من آل فضيل، وهاجياً لهم أحياناً، وقال قصائد كثيرة بهذا المعنى، لم أعرف منها سوى القليل ومنها:

هَيِّجْكُمْ بِأَهْلِ الْقُلُوبِ الْمَرِيضَةِ
 يَسْأَلُ الْهَيْجَنَ الَّذِي عَلَى بَرْكَةِ اللَّهِ
 هَيِّجْكُمْ بِقُلُوبِكُمْ مِنْتَسْرِنَتِهِ
 وَيَسْأَلُ قَلْبِي كُلَّ مَا جَاءَ بِشَاءَ
 يَنْتَسِي هَوَاجِسَ الضَّمِيرِ الْغَشِيَةِ
 وَيَرْفِي عَلَى هَوَالِ خَلْقِهِ إِلَى أَرْخَاءِ
 عَطْوِ الْوَلَدِ بِرَضَى الْمُلُومِ الْقَبِيحَةِ
 وَيَقْفِي وَيَقِيلُ كَالْهَنُوفِ الْمَرَضَاءِ
 وَأَنَا دِلِيلِي مَا يَطْنَعُ النَّصِيحَةِ
 بِأَنَاسٍ عَيَّاسِي دِلِيلِي وَأَنَا أَنْتَهَاءُ

ثم قال حاجياً قومه :

يَا لَفُضِيلُ يَا قُلُوبَ الْقَتَمِ مَا تَعَاثُونَ
 يَا لِيَهَا وَاللهُ نَعَثَنَ لِحَاكُمُ
 يَا طَوْلَكُمْ يَا عِرْضَكُمْ يَوْمَ تَأْتُونَ
 يَا قِلَ حُمُرَاكُم عَلَى مِنْ بَعَاكُمُ
 إِلَيَا اجْتَمَعُوا لِلْمَرَاكِجِ لِيَلْبِثُونَ
 وَالنَّاسَ هَزَقُوا طِينَكُمْ مِنْ رَدَاكُمُ
 الْكُلَّ مِنْكُمْ دَائِمًا يَتَّبِعُ الْهُونُ
 يَالْمَنِ ابْنُكُمْ يَحِيفُ نُوغْدَ نِسَاكُمُ
 يَرْضَوْنَ بِالدَّلَّةِ صَاكُمُ تَهَبُونَ
 وَأَسُوفَ بِالرَّجُلَيْنِ حِمْلٌ وَطَاكُمُ

يَأْتِيهِمْ بِالْوَزْوِزِ بَنِيَّوُا يَبْأَعُونَ
 وَيَلْقَى الْمَذْلَةَ خَائِفَ وَإِنْ نَصَاكُمْ
 مِنْ حَقِّبِ فَعَلِ الطَّيِّبِ فَمُنْتُوا تَذَاتُونَ
 وَانْتُوا مِنْ أَوْلَى مَا يَقْرَبِ حِمَاكُمْ

ثم قال هذه القصيدة متبرئاً من قومه:

لِيُنِي مِنَ الصُّلْبَانِ وَالْإِصْلَ مَا بَيْنَهُ
 لَا سَابِلَ عَنِّي وَلَا نِي بِسَابِلِ
 أَفِيدَ عَلَى (مُفْرِ) ^(١) خَفِي مُوَارِيَهُ
 بِرَهْرَاهِ مَا مَاصِلُهُ كُودَ حَابِلِ
 مِنْ الْوَسْمِ رَوِيَانِ مَعَ الصَّيْفِ مَطْفِيهِ
 تَلْقَى الْحَصَابَ فَكُنُومَ لِلرَّمَايِلِ
 الْوُدَّ مِنْ دُخْشِي كَيْسَارِ حَلَايِيهِ
 يَهْشُوشُ كُنْهَ بَسَائِيهِ لِلْقَبَائِلِ
 مِتْبَارَكِينَ بِالْمُسُولِ بَنِي خِيهِ
 عَلَى النَّزُولِ يَكْتَرُونَ الضُّوَائِلِ
 أَنَا أَنْ بَعَيْتَ الصَّبْرَ قُلْتُ وَمَسَاجِيهِ
 وَنَفْسِي هَبُوفَ وَلَا رَهْنِيَتِ الْفَشَائِلِ
 نَوَيْتَ الْمَوْتَ وَكَأَيْلَ الْعَبْدِ وَالِيهِ
 وَالْبَغْدَ طَبِّ لِلْقُلُوبِ الْفَلَايِلِ

(١) الْمُفْرِ: هو المكان يسقط فيه الماء. من الجبل أو الأرض الصلبة.

فأجابته أمه (ذكر) اخت مثل العواجي بالقصيدة الآتية:

أشوف سلم ابليس (مخدّي) يسوّيه
يلتّب على ظُهر اللّوبن القسّايل
عزّي لنزلي قام (مخدّي) يشطّيه
لمب بكّم يا ذاهبين الحمّسايل
وطّاع لبليس وابليس مغوّيه
لا تئيمونه يا القلوب الهّسايل
هكذا جرّا خالي يمزّه ويعلّيه
لا وأحسايف قولّي: يا بن وإيل!

لقد قرر (مخدّي) أن يعتمد عن أخواله، ومن قبيلة (ولد سلمان) ورحل من نجد مع قسم من قبيلته آل لفضيل الذين التفوا حوله، واتجه إلى قبيلة الغدعان من حنزة، لأن الغدعان أقرب قبائل حنزة (لولد سليمان) ودخل الأراضي السورية، وقد أنشأ هذه القصيدة:

يا زكّير سرّ بالي تقطّع اليدي
حنّرا ولا نؤفّه يدنّف مَحَنّها
أولّ نهارة غلّ مشيه تقاديد
وأفّهق إلى الرّدين حَفْبِك حَنّها
وشلّ النّمامة يؤمّ تقضي مع الحنّيد
أو يّقلّ^(١) شينان دكا الليل منها

(١) تقل: تقول.

تَلْفِي لِمَنْ جِئْتَهُ سُوءَ الْمَعَاوِدِ
كَمْ حَزَنِي دَوَّقِي بِرُوءِيهِ لِبَنَاتِهَا
يَا خَالِ بَالِي مَا بَيْنَكَ مَتَاعِي
رَقَمْتُ نَاسِي مَا عَرَفْنَا لَحْنَهَا
لَا أَكْرَادَ لَا هُمْ يَرْكَ لَا سَلَمَ اجَاوِدِ
يُسُونُ يَفْرُونَ الْمَرْبَ عَنْ وَطَنَهَا
يَا خَالِ لَوْلَا نِصْفَتِ رَبِّي لَهَاوِدِ
إِنْ كَانَ جَاكَمْ صَادِقُ الْعِلْمِ مِنْهَا
الْخَسِرَتْ مِنْ دَارِ الْمَهْوَنَاتِ بِأَلِيْدِ
وَعَلَيْتُ دَارَ الْبُؤْسِ لِلَّي سَكَنَهَا
دَارِ بِدَارٍ وَلَا عَلَيَّتَا تَعَاوِدِ
وَأَزَارَقْنَا رَبَّ الْعَلَالَةِ ضَمَنَهَا
نَسْرُوحَ عَنْ دَارِ الْعَنَاءِ لَسَلَاوِدِ
لَا قَلَّ يُسُوبُ مِنْ تَجَلَّوِي زِينَتِهَا
عِيَالُ الْبَيْتِ الْمَشِيخِينَ الْمَوَارِدِ
عَلَى ظُهُورِ الْحَبْلِ يَذْكُرُ طَمَنَهَا
إِنْ جَسَانَهَا فِيهِ فَهَقِ وَتَوَارِدِ
يَسْنَى عَلَى كِلِّ الْمَوَارِدِ سِطَنَهَا
ولما دخل الأراضي السورية قاصداً آل غبين قال هذه القصيدة:
الله مِنْ قَلْبٍ بِدَا فِيْهِ عَمِّي
يَمْنَعُ لَوْ بَاسَهُ حَبْرُ قِرْطِيَانِي

يَمْنَعُ مَنَعَةً شَمْعٌ مِنْ حَرِّ شَمْسِي .
وَالَا الشَّحْمُ مِنْ قُوَّةِ جَمْرِ أَهْيَانِي
نَضِيجٌ مِكَاطِظِي وَيَالَهُمْ نِنْسِي
وَكِنَّ الطَّعَامَ مَلَوْتُ وَيَدِمَانِي
يَا رَاكِبٍ مِنْ هِنْدَنَا قُوَّةِ عِنْسِي
يَسْخَوَانُ قَطْعُ الْفِيَا فِي خَمَانِي
هِنْسٍ مَبْرَسٍ بِالسَّوَادِ الْوَحْطِي
قَطْعُ دَرٍ مُؤْذِلِي سُوسَخَانِي
هَزَبِي بِمُودِ اللَّوْزِ مِنْ خُبَرِ لَنَسِ
وَيَا مَا قَطَعَ مِنْ قَارِحِ الشَّهْمَانِي
قَطَمِي قَطَا وَمَذْكِرَةِ حَسَنِ وَنَسِي
مِنْ اللَّالِ وَدَّةِ قَهْسَرَةِ الرَّيْهَجَانِي
لُوقَةُ دِلَالٍ يَنْجُ مِنْ كَيْلِ جِنْسِي
الْقَرْمَزَانُ مَحَالِطُ بَارَزْقَانِي
يَمْدُ مِنْ حَفْرَةِ خِنْجِيرٍ وَيَنْسِي
لَاكَمَلُ يُسُوتِ شِبْدَتِ بِالْيَبَانِي
يَا مَا عَطَا مِنْ سَابِقِ قُوَّةِ خَمْسِي
(هَيْبَنَات) يَنْطُوتَهُ وَلَا بِهِ يَشَانِي
وَأَنْ صَارَ بِالْفِرْزَانِ طَمْسِي وَخَمْسِي
مَا يَثْلُهُمْ يَرْكَبُ بَنَاتِ الْحَصَانِي
وفي أثناء طريقه هو ومن معه من قبيلة آل فضيل، صادفوا قبائل من

(الشوايا) الذين يربون الأغنام، في حماية الشيخ ابن قعيش، يأخذ على هذه القبائل الأتاوة، ويتكفل بحمايتهم من نابات الزمن، وعندما رأهم (محدى) الهبداني وجماعته أرادوا نهب أموالهم لضعفهم، فأغاروا عليهم، وأخذوا أموالهم ومواشيهم، وعندما علم الشيخ ابن قعيش شيخ الخرصه من الفدعان، ثارت ثأرته، وأغار على (محدى) الهبداني وجماعته بقرسانه، ورجاله، وقصدهم تخلص الغنائم التي أخذوها من (الشويان) ولكن (محدى) وجماعته أبوا أن يسلموا ما غنموا فحصلت معركة بينهم وبين ابن قعيش هزم فيها ابن قعيش، هو وقومه، ثم انحرف (محدى) الهبداني وقبيلته عن قبيلة الغبين؛ لأن قبيلة الغبين أقارب قبيلة ابن قعيش، والجميع من قبيلة الفدعان من بشر الكبيرة، واتجه (محدى) وقومه إلى الشيخ محمد بن سمير الذي هو من قبيلة (ضنا مسلم) بن عناز، وقبل أن يصل إلى الشيخ ابن سمير أرسل إليه هذه القصيدة موضحاً فيها المعركة التي حصلت:

يَا رَاكِبِينَ يَقُولَمَاتِ الْخَفَافِي
مَا دَنَقُوا مِنَ الْخَفَا يَسْرُقُونَ
يَلْفَنُ أَخُو عَزْنَةَ زُبُونِ الْيَقَافِي
الَّتِي يَوَقَّتُ الْوَسْرَ تَنَدَى صَحُونَهُ
السَّرُومَ جَنَّتَا جَرْدَةَ يَا الْكُفَافِي
يُسُونُ مَسِيرَ يَسُوتَنَا يَنْهَبُونَ
صَاحَ الصَّيَاحَ وَقَالَ: مَا مِنْ هَوَافِي
وَحَتَّى جَوَابِ الْمُنْعَ مَا يَذْكُرُونَ

صَلُّوا عَلَيْنَا نَاهِضِينَ الثَّلَاحِي
فَرْحَةً وَكَيْلٌ يَجْرِبُ بِزَمُونَةٍ
وَصِغْنَا عَلَيْهِمْ صِيحَةً مَعَ كِشَافِي
وَلَغَبُونُ (صِيحَةٌ) جِيئَهُمْ بِسَهْجُونَةٍ
الشَّيْخُ (نَاصِرٌ) مِرْمَكٌ يَقْلُ حَافِي
بِمَا حَيْفٌ سَلَبَتْ جُوعِيتهُ مَعَ زِيُونَةٍ
(جَمَافِرَةٌ) مَا يَشْتَهُونَ الْقَوَانِي
وَالشَّرُّ لَوْ هُوَ حَافِيٌ يَخْضُرُونَةٍ
وَزَدُوا عَلَيْنَا مَازَ صِرْنَا حِيَابِي
مَآئًا هَمَّاجٌ وَرَبَعْنَا بِمَلِيحُونَةٍ
لَا حَادَ مَا نَأْخِذُ مِنَ الْحَقِّ وَالْبِي
الَّتِي تَحْلُوَى النَّاسُ مَا يَمْزَحْمُونَةٍ
وَاتَّبَعَ ذَلِكَ بِقَصِيدَةِ أُخْرَى طَالِبًا لَهَا مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَمِيرٍ لَجُوءٌ إِلَيْهِ
وَحِمَايَتُهُ وَهِيَ كَالآتِي:
دَلُّوا بِغَيْدَاتِ الْمَمَاشِي رِجَابِي
عَرْنَدَسَاتٍ يَنْقَطِعْنَ الْمَحَاوِيلَ
فِرَوَاتٍ لِيْنِ اشْهَيْلَ بِيْنٍ وَحَابِي
حَتَّى هَذَا نُوقِ الْإِبَاهِرَ زَهَامِيْلَ
يَرْعَنُ مِنَ الرُّبَلَةِ وَرِجْلِ الْغُرَابِي
بِأَطْرَافِهِنَّ تَلْقَى الْخِرَازِمِي يَقْلُ نَيْلٌ^(١)

(١) الريلة، ورجل الغراب، والخزامى: نباتات أثيرية عند العرب في الصحراء.

عَثُوا مَنَازِبَ جَبَّتْكُمْ بِالنَّعَابِي
 قَلَابِي مَا لَأَعَمَّنَ الْمَخَالِيلُ
 إِنْ رَوَّحَنَ مَعَ سَهْلَةٍ لَمْ سَرَابِي
 عَوَصِي يَفَادِنُ رُؤُوسَ وَبَسَدَ الْهَرَاقِيلُ
 لِمَحْمَدٍ بِنِ شَمِيرٍ رَيْفِ النَّعَابِي
 بَدْرِ السَّجَا، نَوَازِ حَنْبِ الْهَمَالِيلُ
 لِصَدِيقِهِ أَخْلَى مِنْ هَتُوفِ السَّحَابِي
 وَلِنَدَاةٍ مَقْشُولِ الْحَدِيدَةِ الرَّجَائِيلُ
 يَا شَيْخُ لَوْ شَاءَ الْجَحَلُ يَثْلُ مَا بِي
 أَزْدَا بِلَيْهِي الرَّحَائِيلُ عَسَنَ الشُّبُلُ
 وَيَا شَيْخُ مِنْ دَبَّتْ عَلَيْهِ الدَّوَابِي
 يَمَافَ لَكَاتِ الْوَتَنِ وَالنَّعَالِيلُ
 إِنْ حِطَّ بِالْغُلُوبُونَ يَثْلُ الْخَضَائِي
 وَصِبْغَةٍ يَلْقَبُ بِوَضَحِ الْفَنَائِيلُ
 عَدَهُ مِنْ الْأَوْنَسِ خَلَوِ الْجَنَائِي
 إِنْ لَاقَهُ الدَّاكُوكُ بِالْعَدَلِ وَالْمِيلُ
 وَيَا شَيْخُ يَا مَدْرِي لِرُؤُوسِ الْحِرَابِي
 جَبَّتَا لَكُمْ يَا كَسَائِبِينَ النَّفَائِيلُ
 نَبِي جَنَائِكَ يَا نَزْمَهُ الْجَنَائِي
 يَوْمَ الرِّقَاقَةِ صَارَ مِنْهُمْ حَرَابِيلُ
 فَأَجَارَهُ مُحَمَّدُ بْنُ سَمِيرٍ هُوَ وَقَبِيلَتُهُ آلُ فَضِيلٍ، وَحَمَاهُ مِنْ ابْنِ

قميشيش، ومكث فترة طويلة في جوار ابن سمير، إلى أن عفت عنه
 قبيلة الفدعان، بما فيهم آل قميشيش والتبين، بعد أن أرسل هذه
 القصيدة لجدعان بن مهيد شيخ قبيلة (الولد) من الفدعان:

يَا رَاكِبَ حُمْرًا كِتُومَ زُهَامَا
 مَنَسَى لِمَانَ إِثَامَ تَطْوِينِهِ وَمُتَوَارِ
 جِدْجِدٍ قَطَعَ الْفَيَاسِي بِنَامَا
 تَشْدِي لِشَاخُوذٍ مَعَ الشُّطِّ عَبَارِ
 يَا رَسْلَ بَالِئِي لَا يَمِدُّ فِي قَرَامَا
 خَلَّكَ مَعَ أَوْلَى قَبَجَةِ الصَّبْنِجِ نَقَارِ
 وَالتَّضَرُّ أَبُو بَرْكِي مَحَارِي مِتَامَا
 لِنَفْسِي الْيَخْبِلُ لِقَالِي السَّزَادَ دَمَارِ
 حِينِي قَرَزْتُ مِنْ نَوْمِهَا وَشِنْ بَلَامَا
 كِنْ الثُّوَيْفِجِ لَا يَفْقَهُ حِقَبِ دَرَارِ
 قَرَزْتُ وَقَرَامَا عَظَايِمَ بَلَامَا
 مُوْجٍ يَمْضِيهِنَ وَهِنْ كَارِهِنْ كَارِ
 وَيَكْنِدِي مِنَ الرَّهْوَندِ يَخْلَطُ عَامَا
 أَوْ يَنْقَلِبُ يَفْرَضُ مِنْ مَعَالِيَتِهَا قَارِ
 عَلَى نِجْوِ قَرَّقَ اللَّهُ شَطَامَا
 نَاخِذُ بِهَا حَقٌّ وَتَذِيرِي بِهَا جَارِ
 يَا مَدْبُورَ السَّلَاقَا عَلَيْكَ الْتِقَامَا
 تَفْرِجُ لِعَبْدٍ نَابِيهِ الْفِكْرِ مِغْتَارِ

يَوْمَ اخْرَجُوهُ وَقَرَّبْتَهُ قَدْ مَلَأَهَا
عِنْدَكَ لَهَا يَا وَالِي الْعَرْشِ تَذَبَّر
أَطْلَيْكَ نَفْسِي لَا تُعْجِبْ رَجَاءَا
يَا عَلِيٍّ يَا خَوَالَهَا وَأَنْتَ جَبَّار
وَالسُّورُجُ مِثْلِي مِيسَلَاتٍ جَدَّاهَا
حَذْوَةٌ وَجِلُّ مَا قَاضِيَهُ كُودٌ مَسْمَار
تَجِدُ يُعْزِّي عَنْ هَآهَا هَآهَا
لُؤْمِي مَقَرُ ابْنَيْسٍ فِي مَاضِي الْأَذْكَار
يَرْكُضُ وَمِنْ صَادِ الْجَرَادَةِ شَوَاهَا
وَلِلنَّازِ مِنْ عَقَبِ مِنَ الْمَالِ دِينَارٌ^(١)

بعد ذلك دعاه شيوخ القدعان آل مهيد وآل غيبين، فرحل من عند ابن
سمير شاكراً له ما لاقاه من حماية وإعزاز وإكرام، وتوجه لقبيلة
القدعان، لأنها أقرب الناس إليه، وبقي بين ابن غيبين وابن مهيد، معزراً
مكرماً إلى أن حصل بينه وبين ابن غيبين بعض الخلاف، ويعود ذلك
إلى نفسه العظموح، التي لا تقف عند حد، فقال القصيدة الآتية في آل
غيبين هاجباً لهم:

هَسَاكَ يَا دَارَ رِيكِ الْحَيْفِ تَلَوْنُ
عَسَى الْوَلِيَّ يَسْمَى لِسَائِكَ بِالْأَخْرَابِ
يُسْفِي بَنَائِكَ مِثْلَ دَارِ بَذَارِينُ
يَهْتَأُ رَمْلٌ مِنْ سِمَاتٍ وَتَرَابِ

(١) يروى هذا البيت والذي قبله لرشيد العلي من أهل الزلفي.

لَا عَادَ مَا نَأْخِذُ وَقَا حَقًّا زَيْنُ
الْأَسَلِ بِصَقْلِ الْهَنْدِ وَخَرَابِ
حَسَاكَ يَا دَارَ الْمَدْلَكَةِ بِخَيْبِ
وَعَسَى الْوَلِيَّ يَسْمَى لِتُرُكِكَ بِالْأَذْهَابِ
نَاسٍ تَشْبِلُ الْبُخْضَ مَا هُمْ خَفِيفُونَ
الْقَلْبَ فِيهِ الرُّنْبُ لَوْ يَضْحَكُ الثَّابِتُ
يَا خَلِيسٍ وَأَنْ مَا شِغْتِ أَنَا شَايِبِ شَيْنِ
أَشُوْتُ نَاسٍ قَوْمٌ يَهْدُومُ الْأَصْحَابِ
يَا حَلِيسَ صَابِ الْقَلْبَ مَا تَنْظُرُ الْعَيْنُ
أَشُوْتُ الْبُخْضِ بِتُوتِهَا تَقْلُ مِثْهَابِ
إِنْ كَانَ رَبُّوكَ مَا لِحَقِّكَ وَفِيَّ
يَسْمَارُكُمْ يَنْخَسُ بِلَا قَارٍ وَكِلَابِ
هَنْتُهُمْ تَنْخُوا يَا قُلُوبَ الْبَعَارِ
لِي دُبْرَةِ الْخَلَاقِ فَتَّاحِ الْإِسْوَابِ
عَنْ الْمَهُونَةِ نَبْجَلِ الثَّارِ نَارِ

يُبْعِدُ عَنْ الْأَصْحَابِ لِذِيَارِ الْاجْتَابِ
ثم انحاز عن ابن غبين كلياً إلى جدعان بن مهيد، وبقي صديقاً
حميماً لجدعان بن مهيد، وكان هناك شخص من شيوخ الفلاحين يدعى
السيد (حجو) بن غانم وله قرى كثيرة، وقبيلة كبيرة ورغم ذلك فهو
يدفع «إتاوة» لجدعان بن مهيد، وكان السيد حجو على جانب من القوة
بقيبلته كثيرة العدد، وحصل بينه وبين محدى الهمداني صداقة، وبعد أن
رآه محدى دفع الإتاوة لجدعان بن مهيد، وهو على هذا الجانب من

القوة أبت نفسه النائرة إلا أن يوغر صدر سيد حججو على ابن مهيد،
وقال له: لماذا ترضى هذا الخنوع وهذه الذلة، وأنت رجل عربي،
وعندك من العدد والعدة، ما يفوق ابن مهيد، وعندك القصور الشامخة،
التي تستطيع فيها أن تحمي نفسك، بالسلاح وتعز قومك من دفع
الأتاوة، وأتبع كلامه هذه القصيدة:

قُولُوا لِي (حَجُّو) رَيْفَ مَزَلِ الرِّكَابِ
جُنْدِي لَهُمْ حَنْ نِسَةِ الْخُثَمِ حَيْلُ
قَصْرِ بِسَادِي نَائِقَاتِ الْجَذَائِبِ
وَرِصَاصِ قَبَسِ مُوَلِّحٍ لَهُ فِتِيلُ
وَالْأُضْبُرُوا صَبْرٍ عَلَى فَيْزِ طَائِبِ
صَبْرِ الْجَمَالِ اللَّيْ ثَقَلَهَا تَشِيلُ
وَالْأُزْبُكُوا لِلرَّوْمِ شَقَرِ الثَّوَارِبِ
وَفُشُّوا حَنْ الْوَيْلَانَ طَرَقَا طَوِيلُ
مَا يَتْرَكَ الْهَيْئَاتِ لَوْ قَالَ نَائِبِ
مَا طُولُ مَسْجُونِ الدَّوَى مَا عَيْبِ لِي
أَنْتُمْ عَرَبٌ مِنْ رُومٍ قَوْمِ حَرَايِبِ
وَشَنْ لَوْ تَرْضَوْنَ الْخَنَاءَ وَالرُّذِيلُ
هَلْ بِي عَلَيَّكُمْ يَالسَّنَافِي عَلَايِبِ
وَشَنْ لَوْ تَرْضَوْنَ الرَّدَى وَالْفَقِيلُ
مِنْ مَالِكُمْ يُؤَخِّدُ خِرَافَ وَجَلَايِبِ
يَاخُونُكُمْ يَا كَاسِيْنَ النَّمِيلُ

لَوْ هُمْ بِنِي حَمِي وَلَوْ هُمْ قَرَابِ
مَنْشِي الْخَطَا يَشُوف بِي كُل حِيلَة

بعد ذلك ثار السيد (حجو) وأعد عدته، وأطلق النار على رسل جدعان بن مهيد، الذين جاؤوا ليأخذوا الأتاوة، ورفض أن يستجيب لمطلب ابن مهيد، وبعد أن عرف جدعان بن مهيد أن السبب لذلك هو محدى الهمداني عرض أمره على موظفي الدولة العثمانية، الذين يحكمون البلاد آنذاك، وقال أن هذا رجل شرير، جاء من نجد ليفسد البلاد، فآلقوا القبض عليه، وزجوه بالسجن، وبعد أن مكث مدة طويلة به، قال هذه الأبيات بالسيد حجو صديقه الحميم:

قُولُوا لِي (حَجُّو) قَبْلُ يَنْمَى بِنَا الْكُودُ
جِبَّةَ فِهْمِ، الطَّيِّبَةِ مَا يَفُوتُ
يَا خَلَاقُ يَا غَبْرُ مَعْبُودُ
يَا مِظْهَرِ ذَا الثُّونِ مِنْ بَطْنِ حُوتِ
يَسْرَحُمُ حَرِيبِ دُونَهُ الْبَابُ مَرْدُودُ
لَوَازَنَتْ عِنْدَهُ حَيَاتِهِ وَمُوتِ
أَطْلُبُكَ تُرَرِّقَتَا بِيَسْرِكَ عَنِ الْكُودِ
هَذَا زَمَانُ شَيْئِنْسِي وَثُورِ
أَشُوف أَنَا بِالنَّاسِ حَاسِدُ، وَمَخْشُودُ
وَلَقَيْتُ لِي نَاسٍ يَضْبَعُ سُمُوتِ
الْمَدْلُ صَّاعُ وَزَايِدُ الْحَيْفُ مَا جُودُ
وَمِنْ صَاحِ بِيي الْحَقُّ مَا يَمِغُ صُوتِ

فأخذ السيد (حجو) كمية من الذهب على خفلة، وراح للموظفين الأتراك ورشاهم، فأطلق محدى الهداني من السجن، ولكن محدى بعدما حصل له من الشيخ جدعان بن مهيد ما حصل، أبت نفسه أن يسكن بينهم فقال هذه الأبيات بالشيخ محمد بن سمير صديقه القديم، الذي أجاره من آل قعيش في أول الأمر وهي كما يلي:

يَا رَاكِبَ صُنْجِ الْمَذَرَعِ مِنَ الْقَوْدِ
أَشْمَلُ طَوِيلَ الْمَتْنِ ثَبَهَ شَنَاحِي
يَشْدِي لِهُنْقِي بَقْلُهُ حَسَنَ بَارُودِ
عَلَيْهِ زُحْرُ مَثْوَمَلِ الْمِلْحِ قَسَاحِي
وَشُدِيدُهُ مِنْ عَاجِ وَالنُّطْعِ مَا مُودِ
وَمُفَضَّلِي بِأَجْوَاذِ رِنَشِي الْمِذَاحِي
يَلْفِي (أَخُو هَذَرَا) مَنَ الرَّبْعِ مَقْصُودِ
زَيْنَ الْهَلِيبِ اللَّيِّ لَهُ الْمَنَحِ قَسَاحِي
قُلْ لِي تَرَى دُنْيَايَ مَا تَأْزَنُ الْمُودِ
مَرًّا يَبَاثُ وَمَرًّا كُوتُهُ صِبَاحِي
وَالطَّنَ تَرَى دُنْيَاكَ خَسَوَانَةَ جُهُودِ
صَفَاقَةَ عُرْقُوبَتِهَا بِسَارَتِمَاحِي
وَيَا شَيْخَ مَا دَامَتْ لِكُنْزِي وَدَاوِدِ
كَمْ دُودَ رَنَجٍ كَيْكُوهَا بِهِ وَرَاحِي
يَا مَا صَبَرْنَا يَا أَخُو هَذَرَا عَلَى الْكُودِ
نَضِيرُ وَلَا نَطْلُبُ أَيْدِيَنِي شَحَاحِي

هِزِّي لِمَنْ مِثْلِي مَنْ التَّيْنِ مَلْهُودِ
 وَعَمَّا يَرِيدُ النَّفْسَ يَقْصِرُ جَنَاحِي
 مِنْ يَوْمٍ بَاتَنَ الْمَعَانِيرُ بِالشُّودِ
 يَطْلُبُ جَهَنَّمَ يَوْمَ بَانَ الْوُضَاحِي
 وَيَا شَيْخَ يَا مَبْعُدَ عَنَّا كَيْلَ مَضْهُودِ
 يَا مَرْبِيَّةَ وَأَنْ ضَاقَ فِيهِ الْيَاحِي
 يَا لِحَيْتَابِكَ عَنِ الْحَيْفِ وَالرُّودِ
 يُسْومُ أَنَّهَا قُلْتُ عَلَيَّا الْيَاحِي
 وَلِلَّهِ مَا دَامَ عَلَى الْقَضَاعِ مَا جُودِ
 مَنَسَّكَ يَا طَيْرَ السَّمَدِ وَالْفَلَاحِي

ثم قال قصيدة أخرى بالشيخ عبد الكريم الجربا شيخ قبائل شمر بالعراق :

يَا لَلهِ يَا خَلَا فِي صَبْحٍ بَكَرٍ لِنِمْ
 بِأَذْنِكَ هَسَى تَسْمَعُ لِقَبْدِكَ سَوَالِ
 نَفَزَ لِمَضْهُودِ وَطَا رَأْسِهِ الشُّبُلُ
 مَا بَيْنَ كَفَاثٍ وَنُونٍ تَنْعَشُ حَوَالِ
 يَا دَارِنَا هِفْنَاكَ مِنْ زَايِدِ الْمِئِلِ
 هَيْمَةً حَدِيدٍ شَافَتْ نَقْصَ الْجَلَالِ
 يَا دَارَ يَا دَارِ الْخَطَا وَالْتِهَافِ
 حَقِّكَ لِنَفْلُوكِ الرِّقَاقَةِ نُوَالِ
 يَا دَارَ مَا يَنْكِحُ بَكَ إِلَّا قِيَّوِي حَيْلُ
 يَقْضِي لِحَاجَاتِهِ بِسَيِّئِهِ لِحَالِ

يَا رَبَّنَا هِيَ نُورُنَا الْمَعَاوِيلُ
 نَزُوخٌ مِنْ دَارِ الْعَيَا وَالضَّلَالَةِ
 سَمُوا وَطِئْتُونِي عَلَى الزَّمَلِ وَنَشِئِلُ
 لَعْنَةُ الْكَرِيمِ اللَّيِّ تَذَكَّرُ فَمَالِهِ
 لِلشَّيْخِ تَطَّاعَ الْوَجِيهَةِ الْقَائِلُ
 وَمِنْ صَكَّتِيهِ هَبْرَ اللَّيَالِي عَنَالَهُ
 الدَّارُ دَارٌ وَكُلُّ دَارٍ بِهَا كَيْلُ
 وَالرَّزْقُ حِنْدُ اللَّيِّ عِظْمُ جَسَدِهِ

ثم رحل إلى الشيخ عبدالكريم الجربا، والتجأ إليه فأكرمه الشيخ
 عبدالكريم إكراماً بالغاً، وذات يوم وهو جالس عند الشيخ عبدالكريم
 في مجلسه، وأهدي إلى الشيخ عبدالكريم جواد من الخيل أصيل
 وقبلها، وفي الحال قدمها إلى محدي الهيداني، وكانت جواداً من
 أحسن جواد العرب، فقام واحد من الجالسين من بشمر إلى محدي
 الهيداني وقال له: أسألك بالله يا محدي الهيداني أن تخبرني أي من
 عبدالكريم الجربا، وجدعان بن مهيد أحب إلى نفسك؟ فقال محدي
 الهيداني: ويحك، لا تسألني بالله، فكرر عليه الشمر ثلاث مرات،
 ومحدي يتهرب منه، وبعد أن أكمل السؤال الثالث قال محدي: أقسم
 لك بما سألتني به أن (غليون) جدعان بن مهيد عندما ينفث منه الدخان،
 ويعطيني آخذه وأمزّه يسوى عندي عبدالكريم الجربا وقبيلة شمر،
 وعندما سمع ذلك الشيخ عبدالكريم الجربا ثارت ثائره، وقال للشمر
 الذي سأل محدي: أنا أحرم عليك أن تسكن منازل شمر، وإن علمت

أنك ساكن في منازل شمر سوف أقطع رأسك، وطرده من مجلسه، والتفت إلى محدى الهيداني، وقال له: أشكرك على ما قلت، ولو قلت غير ذلك لاستهجتك. فأمر رجاله أن يحضروا خمسة عشر ناقة من الإبل الوضع، أي البيض، وقال هذه هدية مني لك، مع الجواد الأبيض، تقديراً لموقفك مع شيخك جدعان بن مهيد، الذي هو شيخ القدعان، وبقي عند الشيخ عبدالكريم معزراً مكرماً. وذات يوم كان الشيخ عبدالكريم الجربا غازياً قبيلة عنزة التي هي قبيلة الهيداني، وكان محدى برفقته، وأثناء سيرهم لحق بهم شخص من شمر، على قلوصة، مبشراً عبدالكريم الجربا أنه رزق بمولود، فقال له بعض أصحاب عبدالكريم، اذهب وبشر محدى الهيداني، صديق الشيخ عبدالكريم بشره بابتنه، وكان محدى متحمساً من طرف القوم، وعندما بشره الرسول، أجابه قائلاً: لا بـشرك الله بخير، وأسأل الله أن المولود الذي بشرتني به لا يبلغ سن الفطام، فقال البشير ويحك يا محدى لماذا تقول هذا بابن الشيخ عبدالكريم، فقال نعم أقول ذلك لأنني أخشى أن يترعرع وينمو وتكمل رجولته ثم يكون مثل أبيه فيقضي على البقية الباقية من قبيلة عنزة، فضحك القوم من قول محدى الهيداني، ففي الكلمة نكتة وإعجاب، وعندما سمع الشيخ عبدالكريم الجربا كلام محدى الهيداني مع الذي جاء يبشره بالمولود ضحك كثيراً، وقال ما يقوله محدى الهيداني مقبول عندي، وقد دار الحديث هذا وهم في مواطن عنزة، وكانت قبائل عنزة قبل سنة تقطن هذه الأماكن، وصدفة أمر عبدالكريم الجربا على القوم بأن يحطوا الرحال، ويناموا ليلتهم، لأنهم كانوا آخر النهار، وعندما نزلوا لاحظ الشيخ عبدالكريم أن محدى

لم يقر له قرار، وكان يسير على قدميه من حول القوم وكأنه يبحث عن ضالة، فدعاه الشيخ عبدالكريم قائلاً له تفضل يا محدى لأن القهوة والشاي قد حضرا فأتى محدى عابس الوجه، تبدو عليه علامات التفكير والذهول، لاحظ منه ذلك الشيخ عبدالكريم، فقال: ما بك يا محدى؟ فقال لا شيء يا سكران المجانين، وكان هذا الاسم يطلق على الشيخ عبدالكريم عند قبيلة شمر، وقبيلة عتزة، فكرر عليه الشيخ عبدالكريم السؤال، فقال: يا سيدي هل تعرف هذه الأماكن التي نحن الآن بها، فقال: نعم أعرفها، قال إنها منزل عتزة بالعام الماضي، وهذه حدودهم، وكنت بالعام الماضي أقطنها معهم، وقد عرفت منزل كل شيخ منهم حولنا، فقال الشيخ عبدالكريم الجربا: وهل قلت شيئاً يا محدى بذلك؟ فقال نعم لقد قلت، فقال ما قلت؟ فأشد هذه الآيات:

يَا دَاوُدَ وَإِنَّا أَنزَلْنَاهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ
 مَّا يُقِيلُ مَرْكَبَكَ جَعَلْنَا خِيَابَ نَجْمٍ
 خَالٍ جَنَابِكَ بِسْمِ يَلْمِي بِكَ الْبُؤْسَ
 مَا كُنْ وَلَيْتَ بِكَ مِنَ النَّاسِ دُؤْسِي
 شَفَتِ الرُّسُومَ وَصَارَ بِالْقَلْبِ مَثْلُومٌ
 وَمَلَّتْ مِنَ الْعَبْرَةِ حُرَايِبُ دُؤْسِي
 وَإِنَّا الْجَهَامُ اللَّيْلِي بِكَ الْغَامُ مَرْدُومٌ
 وَظَلَمُونَ مَعَ قِدْوَةٍ سَلَفَهَا يَرْزُومِي
 أَهْلَ الرِّمَاحِ مَرْيَتُهُ كَيْلٌ مَضْمُونٌ
 وَأَهْلَ الرِّمَاحِ مَظَاهِرُومِنَ الدُّؤْمِي

رَاخُوا لَنَا عِدْوَانًا وَجِئْنَا لَهُمْ قُومًا
 وَلَا ظُلْمِي عَقَبَ التَّيْمَرُ رَجُومِي
 وَأَنْ صَاخَ صَبَاحٍ مِنَ الضُّبِّ مَزْحُومٍ
 يَجْعَلُكَ ذَلَالَتِ السَّبَايَا فَرْوَمِي
 صَفَرٍ يَكَاظِمُنَ الْأَيْمَةَ بِهِمْ رُومٍ
 يَخْلُغُنَ سَكْرَانَ الْبَجَائِنِ يَوْمِي
 يَرْكَبُ عَلَيْهِنَ بِاللَّقَى كِلْ شِعْمُومٍ
 فَرَسٍ، وَاللهُ مَا تَهَابَ الْجُمُومِي
 خَيَالُهُمْ يَنْتَلِعُ مِنَ الْعَبِيلِ حُلُومٍ
 يَوْمَ الْأَيْمَةِ بِالنَّشَامَى فَرْوَمِي
 وَيَا شَيْخَ آتَا مِنْكَ مَعْرُزٌ وَمَعْمُومٍ
 وَيَنْهَضِي عَلَيَّ النَّامُ كَيْفَ شُبُومِي
 لَا شَكَّ قَلْبِي بِالْوَقَا صَارَ مَاشُومٍ
 لِرَبِّي وَتَا يَا شَيْخَ مِنْهُمْ جِرْوَمِي
 وَغَبْنِي لِشَوْفِ الْحَيْفِ مَا يَقْبَلُ الشُّومِ
 وَالْقَلْبُ يَخْرُجُ بَيْنَ هَذَفِ الضُّلُومِي
 وَيَا شَيْخَ أَبَا وَصَفِكَ يَا يَفْنَى الْكُومِ
 بِالصَّاطِي الْقَطَاغِ حَسَنَ الطُّبُومِي
 حَلْيَاكَ حِرٌّ يَفْنَى الصُّبْدُ مَلُحُومٍ
 يَتَفَهَّقُ الْجَنْحَانُ حِرَّ قِطُومِي
 حِرٌّ عَلَّمَ بِالصُّبْدِ مِنْ غَيْرِ تَعْلُومٍ
 يَزُودُ بَدَاذِ الرِّيشِ شَكَّ مِرْوَمِي

وعندما أكمل الهدائي قصيدته، قال الشيخ عبدالكريم اطمئن يا صديقي، إننا في الصباح راجعون إلى ديارنا لأنني لا أحب أن أجد قبيلة عترة ويحصل بيني وبينهم اصطدام وأنت معي، لأنك منهم، ولأنك جار عزيز عندنا وإنني أقدر هذه الحمية فيك، ولا ألومك بما قلت بقومك، وعندما بلغ الشيخ جدعان بن مهيد ما حصل من سؤال الشمري في مجلس الشيخ عبدالكريم الجربا، وعن هذه القصيدة الأخيرة، التي قالها عند عبدالكريم الجربا، أرسل إلى محدي وفداً يدعونه ليرجع إليهم، وأن له كل ما يطلبه، وأنه سيبقى عندهم معزراً مكرماً، ولن يمضوا له أمراً، ولا توجه إليه إهانة، فاعتذر محدي من الشيخ عبدالكريم الجربا، واستأذنه للرحيل، فسمح له بعد أن أنعم عليه وأكرمه، ورجع إلى الشيخ جدعان بن مهيد شاكراً لعبدالكريم الجربا فضائله وكرمه وأخلاقه، وبقي عند جدعان طويلاً مكرماً معزراً إلى أن تذكر بلاده نجد وحن إليها، واشتاق أن يحج لبيت الله العتيق، ويزور مسجد نبيه الكريم، فاستأذن من الشيخ جدعان بن مهيد ورحل من بلادهم إلى بلاد نجد، مع قبيلته آل فضيل، ورجع إلى موطنه ومسقط رأسه نجد العزيزة وحج بيت الله وزار مسجد نبيه بعد أن قال هذه الأبيات:

يَا لَه يَا لَلَّي مَا دِيْنِيكَ يَفْصَايِي
يَا لَلَّي عَفِيْتُ، وَخَل لِفُطُكْ عَلَى أَيُّوب
أَطْلُبُكَ يَا مَحْيِي هَيْبَتِي الْعِظَامِي
وَالِي وَلَا حَيْرَتِكَ وَلِي وَتَطْلُوبُ

يَا الله تَجَمَّعَ شَمْلُنَا بِالتَّسَامِي
يَا عَاقِلُ يُوسِفُ عَلَى ابْنِهِ يَتَقُوبُ
يَجَاءُ (مِنْ صَلَى) لِوَجْهِكَ وَصَامِي
تَفْتَحْ لَنَا مِنْ بَابِ لَطْفِكَ لَنَا بُوبُ^(١)
وَيَجَاءُ (مَنْ) لَبَى وَلَبَسَ الْجَرَامِي
وَرَقَى عَلَى رَاسِ الْجَبَلِ قَاضِي الثُّوبِ
يَا حَالِمٍ بِاللَّيْلِ غَفَى مِنْ كَلَامِي
تَبَهَّجَ لَوَادِ اللَّيْلِ عَلَى الْبَيْتِ مَتَّوْبِ
يَا مَسْقِي كِبُودِ عُلُومِي
مِنْ مِي (زَمَزَم) نَائِلِ كُلِّ مَشْرُوبِ
هَيَّا وَدُلُّوْا لِي وَكَابِ هَمَامِي
نِيْ نِيْ يَزُودِ اللَّيْلِ عَلَى الْقَلْبِ مَخْبُوبِ
نِيْكََا نِفْغِي حَالِيهِ السَّلَامِي
وَحِنَّا حَالِيَا الْحَجِّ قَرْضِي وَمَكْتُوبِ^(٢)

هذه ترجمة محمدي بن فيصل الهمداني أستاذتها من الطاعنين بالسن
من رجال قبيلة عنزة وغيرهم وكم بها من جوانب عامرة وفضائل
معجبة.

(١) الدعاء بجاه مخلوق: بدعة، ولكون هذا معروفاً عند أكثر القراء الآن، وكون الشاعر
يجعل ذلك ومحافظة على نص القصيدة، تركنا اللفظ بدون تغيير، والله ينفذ للمشاعر
لقد عاش في البادية في ناحية لم يتشر إليها المعلم في عهده.

(٢) يقصد زيارة المسجد النبوي الشريف لأن شد الرجل للقبر المطهر ليس مشروعاً.

خَلْف الأُذُن

خلف الأذن - نسبة - فروسيته - شعره - الوضيحي مع خلف وشعر في ذلك - الشاعر ابن قويل - خلف الأذن مع مشايخ قومه آل شعلان - حروب قبيلته مع ابن مهيد - قتل تركي بن مهيد - ابن مهيد من أبرز الشخصيات وأكرمها - الشعر في مقتل ابن مهيد - أسر محدي - شعر في ذلك - قتل مشايخ بني صخر - فهد بن هزاع وعداوته لخلف الأذن - قصة جواد خلف - خلافه مع النوري - شعره في ذلك - وفادته على سعود بن رشيد - قصته مع زامل وشعره فيه - قتله من قبل غزاة من شعر - لجوء ابن عدلان من شعر إلى خلف وإكرانه له وهو مقطوع الأيدي - إغارة آل زيد من آل شعلان قبيلة خلف على التومان من شعر وقتلهم فيصل بن سند الربع زعيم التومان.. إلخ.



خلف الأذن

هو الفارس الصنديد، والشاعر المجيد، خلف الزيد الأذن الشعلان،
 من عائلة آل شعلان الكبيرة، رؤساء قبيلة الرولة المشهورة من عنزة،
 هذه العائلة تنقسم إلى أربعة أفخاذ، آل نائف والرتاسة متسلسلة فيهم
 إلى الآن، وآل مشهور، وآل مجول، وآل زيد الذين منهم خلف الأذن،
 وعائلة الشعلان مشهورة بين القبائل، وقد برز منهم عدد من الأبطال،
 كانوا مضرباً للأمثال بالشجاعة، وقد قال شاعر شمر بصري الوضيحي
 متحدياً معرضاً، هذه الأبيات وذكر فيها مجولاً والدريمي، مجول جد
 آل مدول، والدريمي جد آل مشهور، والأبيات كما يلي:

أَبَا أَمَتْنِي كَانَ فِي بِالتُّمَانِي
 صَفَرَا صَهَاةَ الْيُونِ قَبَا طَلِيْمِي
 وَيَسْزَوَانِ ثَوَمَانٍ وَمِثْلَ الشُّطَانِي
 وَمِثْلُ الثُّغْبِ لَهُ لِيْمِي
 أَبِي لَيْسَا لَخَقَّ الطَّلَبُ لَهُ حَوَانِي
 وَالْخَيْلُ مِنْهَا (مَجُولُ) وَالدَّرِيْمِي
 أَرَدَهَا وَإِنْ كَانَ رَيْسِي هَدَانِي
 مِنْ الْمُعْرِفَةِ يَأْتِي عَلَى الْخَدِّ رِيْمِي

أَرْكَمًا لِعَبُورِ صَافِي الثَّمَانِي
يَضُرُّ التَّخَوُّرَ مِهْلَكَاتِ الرِّضِيِّعِي^(١)
كَدَامَ شَمْرٍ مِثْلَ رَمْلِ الصَّخَانِي
الَّذِي يَخْلُصُونَ الْمُخَالِفَ يَطِيْعِي

وقد قدر للوضيحي أن يهزوا مع (بنية) الجربا، شيخ شمر، يهزوا قبيلة الرولة من عنزة، قبيلة آل شعلان التي منها مجول والدرمي، فقد أغار (بنية) هو وفرسانه على إبل الرولة، وأخذوها، ولحقهم الدرمي ومجول، كما تمنى الشاعر بصري الوضيحي، ومعه فرسان من قبيلة الرولة، ليخلصوا الإبل من شمر، ففكوا الإبل، وراحوا يطاردون الجربا، وفرسان شمر، وقد حمى الوطيس بينهم، ويقال أن الدرمي بن شعلان ضرب فارساً من فرسان شمر بالسيف، وطار رأسه من على منكبيه، وعندما رآه الشاعر بصري الوضيحي، دهش من هول الضربة، فولى هارباً، وترك قومه، وقد دافع أبطال شمر دفاعاً بطولياً، وتخلصوا من فرسان الشعلان، وعندما وصل (بنية) الجربا مضارب عشيرته، كان غاضباً على بصري الوضيحي، لما رآه من جبنه، وفراره. . فدعاه ليحقق معه وليؤنبه على فراره، وعندما سأله أجاب الوضيحي بهذين البيتين على بحر وقافية الأبيات التي قبلها:

أَنَا بَلَايَةَ لَا يَسِينَنَّ الْقَطَانِي
الَّذِي يَخْلُصُونَ الْمُخَالِفَ يَطِيْعِي

(١) كناية عن صغر ثديهن.

مَنْ قُوْفُ قَبِّ مَكْرِمَاتِ سَمَائِي
يَشْدُنْ شِيَاهِيْن تَخْطُفُ فَرْيَمِي

وبعد أن سمع كلامه، حكم عليه أن يغسل جواده بالصابون ثلاث مرات، بين فرسان شمر، ليظهر جسمها، لأنه لا يستحق ركوبها، وكانت هذه الفرس من الخيل الخاصة (لبنية) الجربا، ثم قال فيهم أحد شعراء شمر المسمى ابن قويل:

يَا مُزْنَةَ غُرًّا تَقْصَا فِ رَعْدِهَا
تَقْطُرُ عَلَى دَارِ الدَّرِيْمِي وَنَائِفِ
خَلَّهْ عَلَى الْوِذْيَانِ تَذْهَبُ وَلِدْهَا
بِذِيَارِ مَكْدِيْنِ الْمُهَارِّ الْعَسَائِفِ
تَمْلَأُ الْخَبَارِي لِلدَّرِيْمِي بِرِدْهَا
بِقَطْمَانِ حَبَلَاتِ عَلَى الْمَاءِ زَهَائِفِ
يَا ذِيْبُ يَا شَاكُ مِنْ الْجُوعِ حِدْهَا
كَانَ أَنْتَ لِرِمَاحِ الشَّمَالِيْنِ ضَائِفِ
تَلْقَى النَّشَا صَفْرًا صَحِيْفِ جَسْدِهَا
مِنْ كَفِّ سِنَّرِ شَعَطَرَاتِ الْعَطَائِفِ
وَكَمْ سَابِقِ بِالْكَفِّ هَاقُوا جَهْدِهَا
مَضْرَابَهَا بِالْجُؤْفِ مَا هُوَ مُسَائِفِ
مِنْ كَفِّ شَعْمُومِ وَرْدٍ مِنْ هَذَا
أَوْ سَائِبِ شَيْءٍ مِنَ الْخَيْلِ هَائِفِ

كَمْ قَالِيَةً قَفَّوْا بِهَا مَا بَدَّهَا
 رَاحَ يَتَوَلَّاهَا التَّرِيْمِي وَيَافِئَتْ
 حَالُوا وَرَاهَا وَدُونَهَا هَمَّ لَدَّهَا
 وَقَدْ حَوَّضُوا طَلَابُهَا بِالنَّحَافِئِ
 تَنَشَّبَتْ مَحْدٌ^(١) يَحُلُّ قَلْدَهَا
 وَمِنْ دُونَهَا يَزُوْنُ يَنْصُرُ الرَّهَافِئِ

ثم قال فيهم ابن قزيفل أيضاً هذه القصيدة وذكرهم جميعاً:

اللَّيْ يَكْفُونُ الشَّوَارِبَ بِالْإِيمَانِ
 هَيْثُ يَاحْظُ تَنْعِيَتْ عَنْهُمْ
 أَتَقْنِيَتْ عَنْ رَبِّكَ خِيَالِ ابْنِ شَيْلَانِ
 اللَّيْ كَمَا قُلَّ الرُّؤَايَا طَعْنُهُمْ
 مَا يَنْتَعُونَ إِلَّا بِمَلَا وَعَلِيَانِ
 وَأَنْ حَلَّ شَرْبِ مَعْلَصٍ جِيزٍ مِنْهُمْ
 لَبَّاسُهُ عِنْدَ الْمِظَامِبِ شَيْلَانِ
 صَدِيقُ حَيْثُكَ مَا يَطْبَعُ بِحُضْنُهُمْ
 نَزَلَ الْعَلَا مَا هُمْ قَرَايِنُ مَكَّانِ
 مَا سَفَقُوا^(٢) لِلْمَنْزَرِ تَتَّبِعُ ظَفْنُهُمْ

(١) محدد: ما أحد.

(٢) السقفة كلمة تُدعى بها المعزى: سق. سق. ونكرز.

قَطَمَانُهُمْ وَإِنْ شَرَّكَتْ تَقُلْ عَزْلَانُ
وَأَنْ غَرَبَتْ مِثْلَ الْبَرْدِ هَاكَ عَنْهُمْ^(١)
الْقَلْبَ مَا يَتَسَى طَوِيلَيْنِ الْإِيمَانُ
اللَّيْ يَقْرُونَ الْعَدُوَّ عَنْ وَطْنَهُمْ
وقد قيل في آل شعلان أشعار كثيرة، ولهم تاريخ حافل بالبطولات
والكرم الفياض.

ونرجع إلى الشيخ خلف الأذن، فالمذكور حاصر ثلاثة من أبناء عمه
آل نائف، الذين فيهم الرئاسة، وهم سظام الحمد، وفهد الهزاع،
والنوري الهزاع، وقبل هؤلاء المشايخ، وفي مطلع شبابه كان قد أدرك
آخر حياة الشيخ فيصل بن نائف الشعلان شيخ قبيلة الرولة، وغزا معه
مرة واحدة، قتل فيها الشيخ العواجي، وكان هؤلاء المشايخ لم ينسجم
معهم خلف الأذن، ودائماً والخلافات قائمة بينهم، والسبب لذلك هو
شخصية خلف الغدة، وطموحه وشجاعته، فأبناء عمه الرؤساء يأمرون
أحياناً بأوامر لا يستسيغها، ويرفضها، ولذلك فهم يحقدون عليه،
وليس باستطاعتهم أن ينفذوا أوامرهم عليه بالقوة، لأنه لا يمكن أن
يتجرأ عليه أحد، ثابت الجنان، وشجاع فذ، وصارم فتاك، ويلتف
حوله أبناء عمه آل زيد، وكلهم أبطال، ومن ناحية أخرى فهم يحترمونه
لهذه الخصال التي ذكرناها، ويذخرونه للملمات؛ لأنه برز بشجاعة،
وتفوق بفروسيته، وجندل من أعدائه عدداً كبيراً، وكان لا يقتل إلا

(١) هاك عنهم: ينطق الكاف قرية من مخرج السين. والمراد هناك هكذا عنهم.

الفارس الذي له شهرة، وقد قتل عدداً من شيوخ القبائل، وسوف نأتي بذكرهم، وبعد أن قتل هؤلاء المشائخ سمي بأبي الشيوخ، أي قاتل الشيوخ، ولازال معروفاً بنجد بهذا الاسم، فإذا قيل الشيخ خلف الأذن، أضافوا إليه أبا الشيوخ.

وفي عهد مشيخة سظام بن شعلان، أغار الشيخ تركي بن مهيد، شيخ قبيلة القدحان، على إبل عائلة الزيد. الشعلان، وهم غائبون عنها، وأخذ إبلًا كثيرة منهم، ومن ضمنها إبل ابن عم خلف الأذن، المسمى (عرسان أبو جذلة) آل زيد، وهذه الإبل مشهورة بنجد، وتسمى (الغلي) والوانها وضح أي بيض، وقد تأثر عموم الشعلان لهذا الأمر، إلا أن الشيخ سظام بن شعلان رئيسهم يعارضهم بذلك؛ لأنه مصاهر للشيخ تركي بن مهيد، وزوجته تركية أخت الشيخ تركي بن مهيد، ولا يحب أن يقع بينه وبين أصهاره خلاف، ويود أن يفاوض تركي بن مهيد، ويحل القضية حلاً سلمياً، ولكن تركي بن مهيد رفض كل عرض عرضه سظام بن شعلان، وتأزمت القضية، وأصر خلف الأذن، وابن عمه عرسان أبو جذلة وبقية آل زيد على أن يأخذوا ثأرهم من ابن مهيد بالقوة.. وأخيراً انضم إليهم عموم آل شعلان، وانضم إليهم عموم مشائخ الرولة، وقد تحير في الأمر الشيخ سظام، لأنه يكره أن يهاجم صهره، الشيخ تركي بن مهيد، بصفته هو رئيسهم، وإن لم يعمل بذلك فليطلبوا من النوري بن شعلان أن يقودهم لمهاجمة تركي بن مهيد، وأخذ الثأر منه، واسترجاع الإبل المذكورة، ولا بد من تنفيذ أحد الأمرين.. وعندما أتوا الشيخ سظاماً وعرضوا عليه ما قرروه، وعرف

أن الأمر جد، وكان الشيخ سظام من أدهى الرجال وأذكاهم، ومن أحذرهم وأحذقهم وكان مخفياً لأسراره.. وقد قال به ابن عمه محمد بن مهلهل بن شعلان قصيدة هذا بيت منها:

يُمشي مع الضَّاحي وَيُخفي سُوطِيه
وَيَكُمي السَّحابة وَأَنْتَ تُؤحِي رَعْدَهَا^(١)

بعد أن لاحظ تصميم عموم آل شعلان أبناء عمه، قرر أن يكون معهم، وأن يكون زحفهم بالصباح، وكان ابن مهيد على مقربة منهم، وأرسل شخصاً بصفة سرية لينذر ابن مهيد، ولكن ابن مهيد عندما وصل إليه الرسول وأخبره بكلام صهره سظام قال له ارجع إلى سظام، وأخبره بأنني لست ممن يقعقع له بالشنان.. فلن أبرح مكاني هذا حتى أردهم خاسرين، وكان شجاعاً ومقداماً، وقد سبق السيف العذل، وحصل الهجوم الكبير، من قبائل الرولة، وظهرت كراديس الخيل، وفي مقدمتهم فرسان آل شعلان، وأولهم النوري الهزاع، وخلف الأذن أبا الشيوخ، وحصلت المعركة، وحمي الوطيس، وكان تركي بن مهيد لابساً درعاً وخوذة، وقد وقف بالميدان موقف الأبطال، وعجز الفرسان أن يتغلبوا عليه، وقد اختار خلف الأذن تلأ عالياً ووقف عليه، على سهوة جواده، المسماة «خلفة» ولم يشترك بالمعركة، إلا بعد أن لاحظ عجز الفرسان عن التغلب على تركي بن مهيد، عندها انقضض عليه، واختطفه من فوق ظهر الجواد، وترجل به على الأرض، وضربه بسيفه

(١) مبالغة في حفظ الأسرار وإلا فأي أثر لا يبين في الرمل وهل تخفي السحابة عندما يندمد فيها الرعد؟ وتحمل الأشجار الشعية من مثل هذا البيت أفانين شئ.

(شامان) على أنفه، إلى أن طار أنفه، وتركه وراح يطارد بقية الفرسان، بعد أن قال لمن حوله من فرسان قبيلة الرولة: إن هذا تركي بن مهيد، وقصده من ذلك أن يقتله من كان حاقداً عليه، وقد تداعى عليه فرسان الرولة، وقتلوه وكان خسارة كبرى على قبيلة الغدعان، وهو من أشجع الرجال، وكان يضرب به المثل بالكرم الحاتمي، ويسمونه «مصوت بالعشاء» أي إنه بعد المغرب يأمر أحد رجاله فيعلو مرتفعاً من حوله، ثم يرفع صوته منادياً، من كان يريد العشاء فليتفضل، هذه من خصال المرحوم الشيخ تركي بن مهيد، وبعد انتصار الشعلان، وقتلهم ابن مهيد، وأخذهم جميع أمواله، وأموال قبيلة الغدعان، واسترجاع الإبل (العلى)، إبل (عرسان أبو جذلة) ابن عم خلف الأذن قال خلف هذه القصيدة، مفاخرأ بها، ولمحأ بها عن الموقف:

حنا عصيّا شيخنّا من جهلنا
 الفُئخ شُيَال الحُمُول الثقيلة
 وازتخص هلاهم واشترى به زعلنا
 الله يمهّل بسه سنين طويّلة
 وانا اخيمد الله طار حنا فبلنا
 جمل مصبه فوق راس الغليّلة
 ان قدم المركب وعنده حقلنا
 كم راس شيخ عن كتوفه نبيّلة
 هلي قمول جدودنا هسم واخلنا
 بالسيف نقدي تايهين الدليّلة

مَا تَنْعِشِقُ لِلْبَيْضِ لَوْ مَا فَعَلْنَا
وَلَا تَلْجِئُكَ بِمَقْزُونِنَا كُلِّ اصْبِلَةٍ

وعندما علم محمدي الهمداني الشاعر المشهور، بمقتل الشيخ تركي بن مهيد، وكان محمدي الهمداني من أصدقاء والد تركي، الشيخ جدعان، قال هذه القصيدة يتوعد خلفاً الأذن بأخذ الثأر:

يَا خَلْفَ الْأَذَانُ بِإِلَاحِكَ تَغَبَّأْ
يَذْكُرُ لَنَا عِنْدَكَ قَمُودَ جِلَابَةٍ
بِالْعَرَبِ عِنْدِي لَكَ خُمُولٌ تُغَبَّأْ
وَيَيْتِي وَيَيْتِكَ بِالسُّوَيْلِي طَلَابَةٍ
إِنْ مَا خَلَفْنَا الثَّأْرَ وَالْأَنْهَبَا
وَيَيْتِي عَلَيْنَا مِقْبَ بِرُكِّي جَنَابَةٍ
نَضْبِرُ وَلَا يَدُ الْهَبَائِبِ يَهَبَا
وَنَجِيكَ لَوْ أَنَّ الْقَمْعُ مِنْ الدِّيَابَةِ
نَرِيدُ ثَارَ اللَّيْلِ يَطْنِيكَ مُسَبَّأ
شَبْنَعُ الشُّيُوعِ اللَّيْلِ صَرِيحُ جَنَابَةِ
فَأَجَابَهُ خَلْفَ الْأَذْنِ بِهذه القصيدة:

كَأَنَّ أَتَتْ يَا مَعْدَى لِعِلْمِي قَتَبَا
جَنِبَ هَلَى اللَّيْلِ مَا يَثْمَنُ جَوَابَةِ
أَتَيْتُكَ وَتَلَقَّانِي هَلَى سَرَجِ قَبَا
مَعَ سِرْبَةِ الْأَذَانِ وَالْأَشْيَابَةِ

قَبْ لِمَصْمِينِ الثَّوَارِبِ فَرَبِّي
 بِأَمَّا غَدًا يَظْهَرُ مِنْ طَلَابَةِ
 كَمْ شَيْخٍ قُومٍ مِنْ طَعْمًا يَكْبَا
 وَهَلْؤُنَا سِمِ الْأَفَاعِي شَرَابَةِ
 أَشِيخِ غِيَالِكَ جِفْلُ قَبْلِكَ يَهْبَا
 شَاعِرُ نَوْرٍ تَلَعَبَ عَلَى أَبُو عَتَابَةِ
 لَوْ أَنَّكَ مِنْ حَضَنِ الرَّمَكِ مَا ثَبَّأَ
 مِنْ عِذْرَةِ السَّاجُوزِ وَاللَّي رِبَابَةِ

ومن الصدف الغربية أن محدي الهيداني، غزا قبيلة الرولة مع غزية
 من قبيلة الفدعان، وهاجموهم، وأخذوا منهم عدداً من الإبل، وهبت
 قبيلة الرولة لتخليص إبلهم، وفعلوا هزموها فرسان قبيلة الفدعان
 المغيرين، وخلصوا إبلهم، وأسروا عدداً من فرسان الفدعان، ومن بين
 المأسورين (محدى) الهيداني، أسره أحد فرسان الرولة، وأخذ جواده
 منه، وكان محدي الهيداني صديقاً للشيخ محمد بن سُمير شيخ قبيلة
 (ولد علي) من عتزة، وبعد أن علم بذلك خلف الأذن، أرسل إلى
 محمد بن سُمير هذه القصيدة:

يَا رَاكِبِينَ أَكْوَاذَ جِبِلِّ هَرَامِينِ
 يَنْقَطَعُنْ مِنْهُ مُسَاهِمَاتُ الْحِزْوَمِي
 جِبِلِّ تَلَبُّبِ أَكْوَارِهَا بِالنَّسَانِينِ
 يَا حِلْوِي مِرْوَاخِ النَّفْسَا عَقَبُ نَوْمِي

إِنَّ رَوْحَنَ مِثْلَ الْحَمَامِ الْمَارِنِ
 وَكَأَيُّهَا مَا يَسْتَضِيءُ الْهَدُومِ
 صَبَحَ أَرْبَعٌ فِي غِيَةِ الْجَنِّ وَالْبَيْنِ
 يَلْفَنُ لِيَّوْتُ الرِّقَابَةِ لِرُومِي
 يَلْفَنُ مُحَمَّدٌ زَيْنُ غَيْلِ الْمَرَاوِسِ
 السَّوَابِلِي زَيْنُ الْحَصَانِ الْمُرُومِي
 قُلْ لِي تَرَى حَتَّى خَدَيْنَا النُّوَابِي
 يَشْمُودُ مَوْلَانَا قُوِّي الْمُرُومِي
 وَلِجَارِكَ يَا شَيْخَ ضَاعَتْ مِنَ الْكَيْسِ
 تَفَرَّقَتْ لِمَقْطَعِ الْعُرُومِي
 وَرَأْسُنْ غَلَبَاتِ الْهَيْبَةِ بِسَائِي
 تَحْلُوهُ بِقِيَامِ الشَّجَرِ يَقْلُ بُومِي
 كَيْفَ الْوَعْدُ بِرُومِي حُرُوءَةُ الْقَرَانِي
 مَا بِهَ صُورَابٍ وَهَاجِرٍ لَا يُقُومِي
 هَاجِرُوه رُبْعٌ يَبْنِي الْمَنَاطِي
 أَهْلُ الْمَهَارِ نَزَّجَيْنِ الْخُصُومِي
 وَإِنْ جَاءَ نَهَارٌ فِيهِ جَذَعُ الْمَلَايِي
 يَا بَيْتُ هَنْ مِثْلَهُ هَاكِ الْيُومِ

وحيث أن الخلاف بين خلف الأذن والشيخ سطم بن شعلان لا زال قائماً، وبالرغم مما بينهم من جفوة، فعندما حصل بين الشيخ سطم بن شعلان، وبين مشايخ بني صخر خصام أدى إلى أن زحف عليهم

سطام، بقبائل الرولة من الأراضي السورية، وكان مشائخ بني صخر مع قبائلهم بأراضي البلقاء، والسبب لذلك أن آل فايز رؤساء بني صخر، أخذوا إيل النيص عبد ابن شعلان، بطريق الغدر، ومشائخ بني صخر كانوا أعداء ألداء للشيخ خلف الأذن، فقد أعجبه تصميم ابن عمه سطم على زحفه على بني صخر، وكان به شيء من تحقيق رغبته وقد حصلت المعركة بين آل شعلان وبني صخر وهزم بنو صخر وشردوا عن بلادهم، وبعضهم هرب إلى جهات الغور، وفي هذه المعركة قتل خلف الأذن عدداً من مشائخ بني صخر، ومن المعروفين منهم الشيخ طه، والشيخ مناور، والشيخ سطمعان، وقد قال خلف الأذن بهذه المعركة قصيدتين، الأولى أثنى فيها على الشيخ سطماع بن شعلان، رغم ما بينهما من الجفوة، ولكنه كان راضياً عنه، لأنه شفى غليله من أعدائه آل فايز، وآل زين رؤساء بني صخر، وهذه القصيدة الأولى:

هَيْأَ الْفَهْدِ، مَا كُلُّ الْأَشْوَارِ طَاعَةَ
 قَصَّازٍ مِنْ شَارِبٍ خَصِيْبَةٍ لِيَا زَادَ
 مَنْ صَافِي الْبَالُوْدَ فِيْهِ الْقِطَاعَةُ
 مِفْرَاحٍ بِوَلَادِ الدَّوْلِ هُمْ وَالْأَكْرَادُ
 هَلَسَانِ زَاعٍ، وَسَتَحَ اللَّهُ ذِرَاعَهُ
 قَوَاطِرُ يَهْرُ الرِّيشِ مِنْ غِبْرِ قَوَادِ
 بَيْنَ (الْفِدَيْنِ) وَبَيْنَ (بُغْرى) مِرَاحَةُ
 غَضَبٍ عَلَى شَبْلِي، وَعَسَمَ عَلَى طَرَادِ

نَبِيٍّ نُدُورِ أَغْوِيْسٍ رَاعِ الْيَمَامَةَ
 إِنَّ جَوْ مِنْ الْكَرْوَةِ عَلَى الْمَلْخِ مَذَاذِ
 يَا غَوِيْسُ لَكَ عِنْدِي بِالْأَيَّامِ سَاعَةٌ
 يَوْمَ يَمِيفُ سَابِقُكَ كَيْلُ الْإِفْوَاذِ
 اللَّيِّ نَحْمَزُ (خَوْرَانِ) حَطَّ السَّرْتَامَةُ
 وَاللِّي يَنْقَلِعُ مِنْ وَرَا (الْهَيْشَن) مِنْ خَاذِ
 أَبَا الظُّهُورِ اللَّيِّ يَحْفَظُ الْوِدَاعَةَ
 مِثْلُ صِبَاحِ أَرْمَنِخْ وَالطَّرِشْ مَا قَاذِ
 مِرْنَا عَلَى نَزْلِ تَلَاغِخِ رِبَاعَةِ
 لِلطَّرِشِ قَهَارِ وَلِللَّسْمِ جَلَاذِ
 بِأَوْلَادِهِمْ كُلِّ ابْنِهِمْ جَمَاعَةَ
 حَادَاتُهُمْ بِأَلْكُونِ ضُكَّاتِ الْأَهْدَاذِ
 كَمْ سَابِقِ جُنَّا بِالْأَيْدِي قِلَاعَةَ
 وَكَمْ رَاسِ شَيْخِ طَلَحِ بِسُيُوفِ الْأَوْلَادِ
 وَقَطَمَانُهُمْ صَارَتْ لِرَبِوَيْ طِمَاعَةَ
 وَقِمْنَا نَمْرُؤَ بَيْنَنَا شَفَحِ الْأَذْوَادِ

أما القصيدة الأخرى، فقد ذكر فيها مقتل الشيوخ من بني صخر،
 وقال: إنكم يا بني صخر شجعان، وكرماء ولكنكم تمتازون (بالبوق)
 والفدر والخيانة، وهذه صفات غير محمودة بين العرب، ثم قال: إن
 جديكم فرج، وأسعد، عثر حفظهم وما أفادوكم رغم أنكم تتباركون
 بهم، وهامم شيوخكم قتلى على الأرض، ولم ينجدكم أجدادكم، وهو

يقصد من ذلك أن بني صخر كانوا يعفرون العقائر على قبور أجدادهم
ومنهم فرج وأسد، ويتباركون بهما، ويدعونهما بالملكات أن يفرجوا
كربهم، ويستنصرون بهم على أعدائهم، وهذا شرك ولا شك فالمعين
هو الله سبحانه وتعالى، وهذه هي القصيدة:

يَا زَمِيحَ لَوْلَا البُسُوقُ مَا انْتَمَ رِزْيِينُ
يَلْبُحُ الْمَدِينُ وَصِبْكُمْ لَلْأَدَامِي
يَا زَمِيحَ وَضَحَ النِّجْمُ مَا حَقَّبَن شَيْنُ
هِنَفَ الْخَشُونِ وَنَايِبَاتِ النَّارِي
بَنِيثُ يَثُوتِ الْحَرْبِ حَدِّ (اللَّيَاسِيْنُ)
وَشَفَّحَ تَنَازَى بِالْمِشَاتِي مِظَامِي
وَنَارَ الدَّخْنِ مَا بَيْنَ كُلِّ الْقِيَلِيْنِ
يَنْزُدُ بَطْ يَخْسِرُ يَزِينُ الْعِظَامِي
وَجِبَا جَلَسِي السُّرَيْشِ زَيْنُ هَلَى زَيْنُ
وَبَنَتِ الشُّيُوخُ تَصْبِغُهُ بِالنَّخْرَامِي
وَطَهَ وَمَنَازِرَ وَالشُّيُوخَ الْمَسِينُ
ذَبَّاحُهُمْ مَا هُوَ بِحَالِ الْإِلَامِي
يَا ذَيْبَ صَوْتِ الشُّسُورِ الْمُجِيمِيْنِ
أَزَعِ الشُّيُوخَ مَجْدُهُ بِالنَّكَزَامِي
وَفَرَجَ مَعَ انْعَمَدَ لَا يُمَوِّقُهُمْ شَيْطَانِيْنِ
وَيَا زَمِيحَ حَقِّ أَجْدَادِكُمْ بِالنَّخْدَامِي

جوكم هل (العلينا) عيال الثعالبين
 لُوق النّهار مشورات العسايري
 يامّا فجوا غيرات بدو عزيزن
 ويامّا وقع ينحورهم من حلالي
 على طراد الضد يا زميخ قاسين
 ومكّلين انيوتهم يالهوامي
 وجنا يوشط اذياركم يا مساكين
 ومنا تقلدكم قلوب النّمايسي^(١)
 تقلّموا للثور يّمّ العداوين
 وعيونكم من متنا ما تناسي

وبعد هذا لم يترك شيوخ بني صخر خلف الأذن، بل أخذوا يتربصون
 به، لعلهم يأخذون ثأرهم منه؛ لأنه ذبح عدداً من شيوخهم، وكان من
 عادة الشعلان إذا رحلوا من نجد إلى الأراضي السورية، لا يمشون
 مجتمعين بل كل عائلة منهم يكون معهم قسم من قبيلة الرولة، وكان
 من عاداتهم أن أول من يتقدم بالمسيرة هم عائلة آل مجول، ومعهم
 قسم من الرولة، ثم عائلة المشهور ومعهم قسم منهم، ثم عائلة آل
 نائف الرؤساء ومعهم قسم منهم، ثم عائلة آل زيد، ومعهم قسم منهم،
 وهذه العائلة هي عائلة خلف الأذن، وكان شيوخ بني صخر بقيادة

(١) كناية عن اللد، ومنه البيت المشهور:
 أسد علي وفي الحروب نمامة
 قنصاه تنفر من صفيح الصافر

الشيخ طراد بن زين، قد فهموا عنهم هذه الطريقة في المسير فكمنوا في
 موقع قرب آبار ميقوق، المنهل المعروف في وادي السرحان لأخذ الثأر
 من خلف الأذن، وقد استنجد طراد بن زين بفرسان قبيلة السردية،
 بقيادة الشيخ الجتق، ومعه الشيخ شلاش بن فايز، وشلاش المذكور
 شجاع مقدم، ويسمى الضمان أي أنه يضمن إبل قبيلة بني صخر من
 الأعداء، إذا كان حاضراً عندها، وعندما قرب خلف الأذن من الماء
 المذكور، في طريقهم إلى سورية، سبقتهم الإبل لتشرب وكان الشيخ
 خلف على إثرها بالظمينة، ومعه أبناء عمه آل زيد، ومن معهم من قبيلة
 الرولة، وكان كل واحد منهم على هجيته مستجنباً جواده، آمين وهم
 يتقدمون الظمائن، وقد مروا بنسر قشعم، نازل على الأرض، وعندما
 قربوا منه راح يمشي على رجله عاجزاً عن الطيران، من الجوع فالتفت
 إليه خلف الأذن، وقال كم أتمنى لو يكون معركة، قرب هذا النسر
 عاجز عن الطيران، من شدة الجوع، ليعتاش من القتلى، ليطير،
 فضحك رفاقه، وبعد مضي دقائق من كلام خلف، أشرفوا على آبار
 ميقوق، وإذا بالخيل قد أخذت إبلهم، وحالت بينهم وبين الإبل، فنزلوا
 عن هجنهم، وراحوا يلبسون دروعهم وركبوا خيولهم، وأغاروا على
 الفرسان الذين أخذوا إبلهم وتبين لهم أنهم من بني صخر، وآل سردية
 غرماثهم المشهورين، وقد حمى الوطيس، ودارت رحى المعركة
 بضراوة، وكان يوماً عبوساً، وبعد عشاء طويل، خلص الشعلان إبلهم
 من العدو، وراحوا يطاردونهم، إلى أن قتل خلف الأذن الشيخ شلاش،
 ثم قتل الشيخ الجتق، أما الشيخ طراد فقد نجا، لأن جواده كان سريعاً
 جداً، فلاذ بالفرار، وصجز الشعلان عن اللحاق به، وقد غنموا خيولاً

كثيرة، وقد انتصروا انتصاراً رائعاً على بني صخر، وأعاونهم ثم قال
خلف الأذن هذه القصيدة بعد انتصارهم:

الله ياكُون جرى حِنْدٌ مِيَكُونُ
كُونٍ يَنْكُرُ بِهِ حَيَارَاتٍ وَأَقْمَاشِ
يُسُومُ التَّهْيِئَةَ نَلِيسَ الْجُحُوشِ وَذُرُوعِ
وَأَعْرَضَ لَنَا الطَّابُورُ مِنْ دُونِ الْإِدْبَاشِ
الْمَنْعِ بِأَرْكَابَةِ الْخَيْلِ مَرْقُوشِ
مِنْ يَنْشُرُ بِأَطْرَافِ الْمِزَارِينِجِ مَا حَاشِ
كَمْ رَأَسِ شَيْخٍ مِنْ تَرَاكِيهِ مَشْلُوشِ
وَأَوَّلَ سَمْدَنَا وَطَبِيعَةِ الْعُمُرِ لِشَلَاشِ
وَالْجَنْقِ أَخَذَ مِنْ رَأْسِ الدِّمِ قِرْطُوشِ
مِنْ حَقَبِ يَسْرِيهَ لِلْقَهَاوِي عَلَى قَرَاشِ
خِلَائِي حَاشَا لِمَهْرُفِلِ الذُّبَابِ مَجْدُوشِ
وَالشَّائِبِ اللَّيِّ قَفُونَا يَشْكِي الْجُحُوشِ
لَوْ هُوَ حَضَرْنَا نَفَضَ الرِّيشَ وَأَعْتَاشِ
زَيْرُومُهُمْ حَقَبَ الصَّعَالَةِ حَمْدًا طُوشِ
حَقَبَ الْهَيْدِيرِ اسْتَنْفَرَ الذُّبُلَ وَأَنْحَاشِ
وَأَنَا عَلَى اللَّيِّ تَكْسِرُ الذُّبُلَ مَرْقُوشِ
يَتَشَوَّشُ وَإِنْ سَمِعَتْ مَعَ الْخَيْلِ شَوَاشِ
لَقَدْ تَحَقَّقَتْ أَمْنِيَةُ الشَّيْخِ خَلْفَ الْأَذْنِ، حِينَمَا تَمْنَى أَنْ تَقَعَ مَعْرَكَةٌ،

حتى يأكل منها النسر القشعم، وفعلًا قد سقطت الضحايا على الأرض،
وما أكثرها، ومن بينها بعض الشيوخ.

أما الشيخ طراد بن زين فهو لم يأس من أخذ الثار، وقد تابع حدوانه على
قبيلة الرولة، ويقال أنه غزا وهاجم الرولة في أراضي الحماد، بالقرب من
حرة عمود الحماد، التي تقع شرقاً من وادي السرحان، وصادف أن غارته
في صباح أحد الأعياد، وقد هزمه الرولة، وأثناء رجوعه صادفه النوري بن
شعلان، وخلف الأذن، ومعهم عدد من الفرسان، فطارده، وقتلوا
وأسروا قسماً كبيراً من الفرسان، أما طراد فقد نجا في المعركة الأولى، وقد
قال بهذه المناسبة خلف الأذن هذه القصيدة:

يَا اللَّهَ يَا مُطَلَّبُ يَا هَادِلَ الصَاغِ
إِنْ كَانَ جَنَدِكَ لِلْأَجَاوِدِ نَابَةً
إِنْسُكَ تَمْشِينَا عَلَى دَرَبِ الْإِسْخَاغِ
بِالَّذِي لَدَاعَ الْخَيْزِ مَا صَكَّ بِابَةِ
الضُّرْمَنِ بِمَبَالَةٍ عَنِ النَّهْرِ بِقِلَاعِ
حَتَّى تَنَامَ الْعَيْنُ مَا هِيَ طَلَابَةُ
بِاطْرَادِ حَلُّوا بِكَ مَوَارِيثَ هَزَاعِ
عَامِدَتِ نَوْمٍ وَهَابِثُوكَ الثَّيَابِ
صَوْنَرُهُمْ نَوْمٌ عَلَى الذِّبْدِ رَضَاعِ
سَنَةِ شَيْطَانٍ بِخَيْرِ الْمُظْمِ نَابِ
بِاطْرَادِ رَاجِحِ بِكَ طَوِيلَاتِ الْإِبْوَاعِ
وَالشَّيْبِ حَلَّ بِسَرِيَّتِكَ وَانْتَهَى بِهِ

ووردوا هل المليا كما وزد الاقطاع
 على غدير ما كفائهم شرابة
 ذنب المنحصر مخصب عقب ما جاع
 ويكثف يلعب على ابو عتابه
 يسون جل ابكازنا شقح الاقطاع
 وشرهوا على هاك الپيوت المهابه
 وصحننا عليهم صيحه نيري الازجاج
 وصارت قلايمهم بالايدي نهابه
 وطراذ عقب سؤفنا صار مطواع
 ضاغت عزومه عقب هاك الصمايه
 ياما حملنا الطيب لا شك به ضاع
 ماش على دزب السردا والنميايه
 وأردف خلف الأذن قائلا هذه القصيدة:
 حمر شلع من راسي عال الطويلات
 للصبيدة اللبي حط غنسه وراها
 غر المصالب بالثناي السبيات
 وتل القلوب وبالضمائز قراها
 يلعن أبوهالك الوجبة الرديسات
 أبرذ من الزرقا على صفع ماها
 وفنخور أبو جبهه كينر الميطيرات
 رجل قطع من شفته واكتساهما

بِأَيْحَ مَنِيْمَةٍ بِالْثَمَنِ لِلْمُؤَنِّطَاتِ
 مَنِ الْعَيْنِ وَأَيُّ لِحْيَتِهِ مَا حَمَاهَا
 وَأَبْنُ جَرِيْدٍ مَنِ هَلِ الْمُقْعِدِيَّاتِ
 مَا حَاشَتْ الصَّفْحَةَ لِعَيْنِ ثَوَاهَا
 بِأَطْرَافٍ مَا هَيَّتْ دُودَ النَّصِيْرَاتِ
 حَيْثُ شَوَاعِدُ لِحْيَتِكَ مِنْ رَدَاهَا
 أَجْنِكَ بِاللَّيِّ بِذُرُكُونِ الْجَمَالَاتِ
 رُبْعُ مَعَادِيْهِمْ طَوَالِ خَطَاهَا
 إِلَى تَسَادُؤِ بَيْنِهِمْ بِالنِّشَارَاتِ
 كَمْ قَالَتْ وَثَقُوا عَلَى مِشْهَاهَا
 شَعْلَانُ فَاجْعُوكُمْ عَلَى الْخَيْلِ حَبْلَاتِ
 فَسَوْقُ الْيَهَارِ اللَّيِّ يُسَاعِلُ حِذَاهَا
 وبعد هذه المعركة، لم تقم لطراد وجماعته قائمة، خاصة مع قبائل
 الرولة.

وبهذه الفترة تولى الشيخ فهد بن هزاع شقيق النوري، بعد أن توفي
 الشيخ سظام بن شعلان، وورث كراهية خلف الأذن عن سظام، وقد
 حصل بين خلف الأذن وجماعة من الرولة خلاف، استفحل إلى أن قتل
 خلف منهم اثنين، ولم يستطع غرماؤه أن يتجرأوا عليه، ويأخذوا ثأرهم
 منه، عجزوا عن ذلك، وأخيراً توسط الشيخ فهد الهزاع على أن يدفع
 خلفه دية لأقارب المقتولين، واشترط فهد أن يدفع علاوة على الدية
 جواده «خلفه» وقبل خلف أن يدفع ديتين، ولكنه رفض أن يدفع فرسه

«خلفه» ولاحظ خلف من ابن عمه فهد ميلاً مع غرمائه، وأنه لم يشترط دفع الفرس «خلفه» إلا ليأخذها هو لنفسه، عندما حصل ذلك وهم بالأراضي السورية، أمر خلف جماعته آل زيد، بأن يرحلوا لنجد، وبعد أن تحرك ظعنهم من سورية إلى نجد، ركب جواده «خلفه» بعد أن لبس لباس الحرب، وجاء إلى بيت الشيخ فهد الهزاع، وكان فهد جالساً في مجلسه، فوقف على جواده أمام البيت، وارتجل هذه الأبيات، موجهها إلى الحارس المقرب للشيخ فهد، وهو (أبو دامان) وقال:

أَبْدُوْهُ عِنَّا شَرَّفُوا بِأَبُو دَامَانَ
وَكُلَّ مِنَ النُّفَرَةِ يَقْضَى حَوَالَةَ
إِنْ جِئْتَ مُلْمَعُونَ الْكَذِيْدَ ابْنَ جَذْلَانَ
إِنْ مَا رَضِي وَالله فَلَائِي بِحَالَةِ
أَدْخَلَ عَلَى الله يَوْمَ مَكْنُونَهَا بِأَنْ
وَرَزَقْنِي عَلَى اللَّيِّ سَامَكَاتِ جِبَالَةِ
مَاتَيْبِ أَنَا وَلَدَ الْحَلْدِ وَأَبْنُ ضَبَّانَ
اللَّيِّ يَتَأَلَوْنَهُ عَلَى شَانَ مَالَةِ
رَيْمِي هَلِ الْعُلَيَّا طَوِيلَيْنِ الْإِيْمَانَ
أَهْلُ النَّكَا وَالطَّيِّبِ إِنْ جَا وَجِبَالَةِ
مَنْهُمْ بَنِي عَمِّي جِيَانُ ابْنُ شُعْلَانَ
يَمَانَا كُلُّوْا مِنْ حَيْنَ قَالَةَ وَقَالَ
فَهُؤَدُ الرُّرَاجِ لَنَا غَشِي الْجَوْ دُحَانَ
إِنْ ضَيِّعْتَ وَضَحَ الْعَشَائِرِ عِيَالَةَ

(خلفه) وَمَعْدِيهَا مَعَ أَوْلَادِ جَنَمَانِ
 اللَّيْ يَمْرُؤُونَ النَّسَا وَالْجَمَالَ
 بَاغَ عَلَيْهَا يَوْمَ رُوحَاتِ الْأَذْهَانِ
 وَكُلُّ هَذَا بِهِ فِعْلٌ جَدُّهُ وَغَالِيَهُ
 الْبُكَدَ عَلَيْهَا وَاجْعَلِ الْوَمِرَ مَا كَانَ
 وَالشَّيْخَ وَأَنْ شَافَنْ يَمِيئَةً جِفَالَهُ
 أَنَا حَلَى (خَلْفَهُ) وَبِالْكَفِّ (شَامَانِ)

وكم راسن شيخ عن تراقينه شالـ
 قال هذه القصيدة ليس مبالياً، ثم لحق بظعميته، وقد سكت الشيخ
 فهد كأن شيئاً لم يكن.

هذه من نوادر خلف الأذن وما أكثرها، وعندما عرف غرماء خلف
 أنه تجرأ على الشيخ بهذه القصيدة، وعرفوا أن الحق ليس بالسهل
 تحصيله من خلف، أرسلوا له صاغرين، وطلبوا منه أن يدفع دية
 رجالهم، بالطريقة المتبعة بين قبائلهم، وتنازلوا عن طلبهم للجواد
 «خلفه» فدونها خرط القتاد.

وفي بعض الأيام مرضت جواده (خلفه) وأخذ مدة لم يستطع
 ركوبها، فأنشد بها هذه الأبيات:

أَنَا بِرَجْوِي اللَّهَ وَزَجْوِي الْعَبِيَّةَ
 أَنَا حَلَى رِكَبِهِ حُشِينِي رَمَا كَيْسِنِ
 وَبِالْكَفِّ مِنْ صَنْعِ الْهَنَادِي قَضِيَّةَ
 حَلِيَّةَ مِنْ دَمِ الْمِخْسَالِفِ تَقْلُ وَيَسْ

اجبي مع أول سريرة ومرضية
 وأصبر بتغور الشكاسي لهم حين
 قدام ربك كل ابؤفهم ونية
 الكبد ملائكة لفراس بني عبن
 الله حلى يوم ضحاء اغشوة
 حج السبايا في نهارة تقبل قسن
 قلبي عليهم وإردات دليمة
 والكبد من ضيم الرفاقة بها ينس
 ولاهد للقاء أن يلاحظ آخر بيت في القصيدة حيث يقول:

قلبي عليهم وإردات دليمة
 والكبد من ضيم الرفاقة بها ينس
 فهو بذلك يشير إلى الشيخ فهد، لأنه يشعر بحيفه عليه، ولذلك فهو
 يحس بالضميم منه، لقد طالت الكراهية والجفوة بين فهد الشعلان، وابن
 عمه خلف الأذن، إلى أن أخذ خلف يعتمد عن الشيخ فهد، حتى تولى
 الشيخ النوري الشعلان رئاسة قبائل الرولة، واستمر الخلاف والكراهية
 بينه وبين خلف الأذن، وعندما رأى خلف أن الشيخ النوري بن شعلان
 يتعد عنه ولا يأخذ الرأي منه قال هذه القصيدة:

يا شيخ يا شيخ الشيخ ابن شعلان
 عندك صليب الرائي ما تشييرة
 خمسين سيف ما يسكن شامان
 خلف لعتجات السبايا ذخيره

إنشيد هل المعادات فزَيْنُ الايمان
 ويحبزك عني من يعرف السريرة
 إن نار عَج الخيل في كل ميدان
 تلقى ولوسي يابن عمي كينره
 أظِل على الفارسِ برؤوسات الاذنان
 واخوض غبّات البحور الخطيرة
 أشبل رأسه من مزايير الاثنان
 ولا عاذ يذكر كل شره ويخيره
 السيف يشهد لي ويشهد لي الزان
 ويشهد يغلي من سكن بالجريرة
 ما يخيفني فغل يقفاه برمان
 والتين ما شاك بلينا نظيره
 رنمي هل العليّا أيا نار دغان
 مثل الرّمول اللّي تقاصف هديره
 إن ردّوا بالكون عليا وعلّيان
 حريتهم تزجج علومه ضويرة
 ربح على جزء الرّمك شأنهم شأن
 ويرمّون بخدود النمش كل ديرة
 وقد تطور الخلاف حتى أن أحد أبناء خلف الأذن المسمى ذياباً
 أطلق النار على النوري ابن شعلان والأسباب هي كما يلي:
 ادعى الشيخ النوري أن خلف الأذن تعدى على شيء كان بوجهه،

وأخذ يطالب خلف الأذن بإرجاعه، وخلف أصر على العصيان، ثم جاء النوري ومعه جماعة على خيولهم جاء إلى خلف وهو في بيته، ولم يكن عنده أحد من أبنائه، أو أبناء عمه، وقد وصل إليه النوري بدون أن يشعر به، وغير متأهب له، فوقف النوري على جواده، بالقرب من خلف، وأخذ يوبخ خلفاً ويتهدده، وكان ابنه متتحياً بعيداً عن البيت، ولكنه عندما رأى الخيل واقفة بالقرب من بيت أبيه، ولاحظ أن الرجال الذين على ظهورها لم يترجلوا وأنهم مسلحون فقد ارتاب منهم وجعل البيت بينه وبين أهل الخيل، متقياً به، وأسرع إلى أن دخل البيت من خلفه، وتناول بندقيته، وسمع توبيخ النوري الشعلان لوالده، وكان والده بغاية من الحرج فظهر عليهم من البيت وعندما أبصره والده ناداه ناخياً له، وقال اذهب الرجال يا ذياب، فأطلق النار على النوري مصوباً البندقية إلى جبينه، ولكن الطلقة أصابت عقال النوري من فوق رأسه، فولى النوري على جواده مسرعاً، واتبعه رفاقه، ومر بخيل خلف الأذن وأولاده، وهن يرعين بعيداً عن البيت، فأخذهن وذهب بهن، وعندما أراد ذياب أن يلحق بالنوري مسلحاً، قال له أبوه لا تلحق بالنوري، لأننا لا نحب مداماة أبناء عمنا، ويمكن أن نسترجع الخيل بطريقة أسهل من هذه، وعندما وصل النوري إلى بيوته، أرسل بعض خدامه بالخيل التي أخذها من خلف إلى خيوله، لترقع معهن، وكان ذياب بن خلف قد لاحظ ذلك عن بعد، وعندما رأى خدام الشيخ النوري ذهبوا بالخيل، تقدم قبلهم وأخذ لهم الطريق الذي يمكن أن يسلكوه، هذا وهم لم يشعروا به، وعندما قربوا منه رفع رأسه إليهم، وقال: هل تعرفونني؟ قالوا: نعم أنت عمنا ذياب، وكان مشهوراً بالشجاعة،

وبإصابة الهدف، فقال لهم أقسم عليكم بالله، أن تنزلوا مع مؤخرة
 الخيل مرغمين، وإذا حاول أحد منكم أن ينزل مع جنب الجواد،
 فسيلقى منيته، فاعتمدوا أوامره، ونزلوا مع مؤخرة الخيل وذهب بها
 لوالده خلف، وبعد هذه المشكلة، ابتعد خلف عن النوري، وبقي أكثر
 من ثلاث سنين لم ير النوري ولم يجتمعا بمنزل وقال هذه القصيدة:

الْبَارِحَةَ وَالْعَيْنَ حَيْثُ تَغْفِي
 قَيْثُ تَذُوقِ النَّوْمِ لَا وَاعِلِيَّةُ
 النَّسَارُ شَبِتَ مَا لَقْتُ مِنْ يَطْفِي
 أَوْجَحَنْ عَلَى كَبْدِي سِوَاةَ الْمَلِيَّةِ
 تَبَيَّنْتَ مَا عَادَ فِيهَا تَخْفِي
 وَمِنْ رِبْعِنَا شَفْنَا بِالْإِيمَانِ حِيلَةَ
 خَسْرَانٍ مَنْ يَبْجَعُ رَفِيقُ مُقْفِي
 وَالْقَلْبُ بِجَفَلٍ كُلِّ مَا شَافَ مِيلَةَ
 مَا يَنْشَعُ الْخَائِبُ كَثِيرَ التَّخْفِي
 وَاللِّي قَسَمَ لِلتَّبَدُّدِ لَازِمٌ يَجِي لِي
 كَمْ مَسْرِيَةٍ خَلِيَّتَهَا تَسْتَحْفِي
 وَارَوَيْتَ حُطَّانَ السُّيُوفِ الْمُقْبِلَةَ
 وَاقْلَطَ عَلَى اللَّيْلِ بَيْنَ رَيْعِهِ تَخْفِي
 وَالْخَيْلُ مِنْ قُلُوبِي تَزِيدُ جَفِيلَةَ
 يَا اللَّهَ لَا تَقْطَعْ فِرَادِي بِشَقِي
 صَفَرَا صِهَاءَ اللُّوْنِ تَنْهَضُ شَلِيلَةَ

وَنَحْفَرِ صَنَعِ الْمَجْمَعِ مَا يَهْفِي
 الرَّاسُ مِنْ فَوْقِ الْمَنَاكِبِ بِشَيْلَةٍ
 وَمَزْرَجٍ يَأْتِقِرْمُ يَصْلُحُ لِكُفْيِ
 مَنُتَبِّةٍ مِنْ سَبْعِ الْكُمُوبِ الطُّوَيْلَةِ
 مَعَ زَيْمَةٍ بِالْيَيْتِ دَائِمِ تَهْفِي
 بِجُؤْزٍ لِلرَّيْحِ الشَّامِىِ مَقِيلَةٍ
 وَذِلَالٍ مَا عَنِهِنَّ سَنَا النَّازِ كُفْيِ
 حَمِيلَيْنِ بِالْيَيْتِ مِثْلِ الثَّيْلَةِ
 وَدَوْدٍ مَفَاتِيْرِ عَلَى الْخَوْضِ صَفْيِ
 بَيْنَ الْإِبَاهِرِ خَطَطُومَيْنِ بَيْنِلَةٍ
 مَعَ يَنْتِ عَمَّ أَصْلَهَا مَا يَهْفِي
 إِنْ دُرْهَمِ الْمَظْهُورِ فَنَا دِخِيلَةٍ

وفي آخر أيام خلف الأذن ذهب إلى الأمير سعود بن عبدالعزيز بن
 رشيد أمير حائل ليزوره، ويتعرف به، وكان سعود بن رشيد حديث
 السن، وكل الأمور بحايل يديرها الأمير زامل بن سبهان المعروف، وقد
 أكرم آل رشيد خلف الأذن الشعلان، إكراماً جيداً، وصدقة جاء شاعر
 من إحدى القبائل زائراً لابن رشيد، وعندما كان ابن رشيد في مجلسه،
 وعنده زامل السبهان، وكان خلف الأذن بين الجالسين، وكان الشاعر
 الذي جاء لابن رشيد أيضاً جالساً معهم، وكان زامل السبهان هو كل
 شيء لابن رشيد، وهو الذي يتكلم بالمجلس، التفت زامل السبهان إلى
 خلف الأذن، وقال نحب أن تساجل هذا الشاعر، لنعرف مقدرتك يابن

شعلان بالشعر، فغضب خلف الأذن، واعتبر هذه إهانة له من زامل، لأنه يرى نفسه أكبر وأرفع من أن يساجل شاعراً في مجلس ابن رشيد، خاصة وأن هذا الشاعر ليس بمستواه، فقام من المجلس، وأرسل هذه القصيدة لزامل يهجو فيها، ويطلب إحضار هجته ليسافر إلى بلاده وقومه بالشمال، وقد حاول ابن رشيد كثيراً أن يسترضي خلف، ولكنه رفض وأصر، والقصيدة كما يلي:

وَأَرْسَلُ يَنْشُدُنِي وَأَنَا وَئِنُّ وَئِنِّي
هَمِيَّتْ بِمَا هَبَزَ بَلَمًا بِسَاقَةِ
الشُّيْنِ شَيْنٍ وَمَا كَرَّ الشُّيْنُ قَبِيئِي
عَذْرُ جَدِّ، وَلَا يَقْلُبُكَ صِدَاقَةُ
اللهِ يَمْحُونَكَ كَمَا كَانَ مَا يَشْتَهِيئِي
لَوْ تَحَكَّرَكِي لِي بِالمُكُومِ الدَّقَاقَةُ
خَدِيئَتْ مِثْلَ فَمَائِدِ الْقَرِيئِيئِي
لَا جِئْتُ بِخَيْرٍ وَلَا بَمِتِ الرِّقَاقَةُ
أَنَا بِلَاكَةِ مِنْ جَسَدِي بِطَيِّئِي
بَقَمًا نَصَلَقْنِي هَلَّى هَبَزَ نَاقَهُ
فَتَجَالُ طِينُ وَلَا نَتَّ فِتْجَالُ صِبْيِي
تَبَرُّكَ مَبَارِنُكَ الْجَمَلُ وَأَنْتَ نَاقَةُ
إِذْ عَمِنَ لَنَا وَارْسَلْ لِسَمْعَةٍ يَجِينِي
اِفْتِاقُ هَبْدٍ يَشْتَهِيئُنْ فَرَاةُ

وبعد مدة غير طويلة كان خلف الأذن نازلاً في أطراف الحرة التي

بين الحماد ووادي السرحان، وعندما كان نائماً في بيته هاجمهم غزاة من قبيلة شمر في منتصف الليل، وقبل أن يعلموا أطلقوا عدداً من العيارات النارية على خلف في فراشه داخل بيته، فقتل هو وزوجته وهما نائمان، وكان مريضاً وقد طعن بالسن. . وهكذا انطلوت صفحة (أبا الشيوخ)، الفارس المنوار خلف الأذن، وكان هذا في النصف الأول من القرن الرابع عشر، وكان خلف الأذن رحمه الله مشهوراً بالكرم، وحسن الضيافة، وإكرام الجارة، وقد أثنى عليه الشيخ هجلان بن رمال الشمري بهذه القصيدة وبين فيها أن جار خلف دائماً عزيز مكرم وهي كما يلي:

يَا رَاكِبَ حُمْرَا عَلَيْهَا الْهُتَيْمِي
حِطَّ الْقَطْنِيصِي فُسُوقَ سَائِقَةِ وِدَارِهِ
حُمْرَا تَغْنِيْمِ الدُّوْ مَا تَسْتَفِيْزِيْنِي
تَلْقَى الْمَتَارِي حَبَاشِيَاتِ هِسْدَارِهِ
مَنْتَاهُ مِنْ (هَذَا) إِلَى (أُمِّ الصَّرِيْمِي)
وَمِنْ بَاعَهَا (اللَّبَّةُ) يَفْطُفُ قَرَارَهُ
تَغْنِي مِنْ (الْمَرْكُوزِ) وَتُتِ الْجُهَيْمِي
وَالظَّهْرَ حِطَّ زُهُونِ (كَبْدِ) يَسَارَهُ
حُمْرَا وَكُنْ ظِلَالَهَا لَهُ جِرْمِي^(١)
تَخْطُفُ (الثَّابِتُ) يَسَالِي نَهَارَهُ

(١) كَانَ ظِلَالَهَا حِدْرَ لَهَا.

مَلَقَاكَ صِبَاةَ الشَّيْخِ الْمَدِينِيِّ
 إِنْ صَبَّحْتَ شَفَعَ الْمَسَايِرِ خَوَارِةَ
 الَّتِي قَصِيرَةٌ كُلُّ يَوْمٍ حَبِيبِي
 مَا يَفْهَرُ الرَّخْلِي إِلَى جَا مَذَارَةِ
 وَالضُّبَيْفِ عِنْدَهُ فَيُحْشِنُ النَّوْمِي
 يَلْقَى الْكَرَامَةَ قَبْلَ يَشْدِي خَبَارَةِ
 وَإِنْ صَارَ بِالْمَفْتَى لَيْالٍ الصَّرِيحِي
 دَبَّاحَ نَائِبَةِ الْقَرَا مِنْ بَكَارَةِ
 وَمُوقٍ الْمَدِينِ وَلَا يَهَابُ الْغَرِيحِي
 كَمْ قَارِسٍ انْقَضَا مَا وَخِذَ نَارَةِ
 عِيَالِ الشَّيْخِ مُنَوِّغِينَ الْخَصِيبِي
 يَزْنِ طَبِيعُهُ حَقْبَ هَالِكِ الصُّطَارَةِ
 وَرَبُّ إِلَى جَا الصَّبِيحِ جِبَالَهُ وَهَيْبِي
 عَلَيْهِنَ اللَّسَى يَذْحِكُونُ السَّمَارَةِ

وعائلة الزيد مشهورة بالكرم وإعزازهم لجارهم، وقد التجأ عندهم
 شخص من شمر يقال أن اسمه ابن عدلان وهو مبتور اليدين، ويقال أن
 الذي بترهما هو أحد حكام آل الرشيد، وبقي جاراً لهم فترة طويلة،
 وكان مستجيراً بالشيخ خلف الأذن، وأخويه ضامن وشاهر، وقد
 أعزوه، وأقسموا على أنفسهم أن يقوموا بإطعام جارهم بأيديهم،
 وعندما يحضر الطعام لجارهم يأتون بملقعة ويناولونه طعامه،
 ويشاركونه بأكله، وقد أشار إليهم الشيخ (عجلان بن رمال) في قصيدته

المذكورة أعلاه: ومما يبدو لي أن نهاية حياة خلف الأذن تشابه نهاية حياة الشاعر الكبير أبي الطيب المتنبي، والمكان الذي قتل به خلف الأذن قريب من الموقع الذي قتل به المتنبي، وفي مقتلها نوع من التشابه، إلا أن خلفاً الأذن يمتاز بالشجاعة، وحسيما فهمته من الرواة أن عدد المشائخ الذين قتلهم الشيخ خلف الأذن بحرمة الوضى كما يلي:

- الشيخ (تركي بن مهيد) من الفدهان.
- الشيخ (شلاش) بن بخيت بن فايز من بني صخر.
- الشيخ (الجنق) شيخ قبيلة السردية.
- الشيخ (مناور) من شيوخ بني صخر.
- الشيخ (طه) من شيوخ بني صخر.
- الشيخ (سطمان) بن زين من شيوخ بني صخر.
- الشيخ (دريبي) من الزين.
- وشيوخ من آل هذال.
- والشيخ العواجي.

حيث قال أحد شعراء الرولة المسمى (منجب الدريبي) هذه القصيدة
 بالمعركة التي حصلت بين الشعلان، والعواجي (بنقرة الحيران) وكان
 قائد الشعلان فيصل بن شعلان وبهذه المعركة قتل الشيخ خلف الأذن
 العواجي والقصيدة:

جرُّ شلحٍ يُؤمُّ البَواشِقَ مخايِبرُ
 صدَّقَ المناكبُ مِنفِهْلُ العِجَاجِ

شهز من الوديان واشتد مع (الشير)
 وفي (نقرة الجيران) صَادَ المَواجِي
 أَيْمَن مِكَاسِيهِ وَمَا (الجوف) و(صُويز)
 وَايَسَز مِكَاسِيهِ وَطَنَ (النَّجَاجِي)
 بِشَرْقِي جِبَال (هَيْتَم) جَبَّتَا الْمَنَافِي
 وَضَح تَلَامِج كَتَبَا عَظَم حَاجِي
 رَاجُو بِرُوس الشَّلَف مِثْلَ الْمَصَافِي
 وَعَلَى صَنَتِهِمْ مِخْمَلُ الْحَيْلِ رَاجِي
 وَاذَلَّى خَلَفَ فِيهِمْ كَمَا يَدْلِي الطَّيْرُ
 وَصَادَ الْمَوَاجِي فِي مِثَارِ الْمَجَاجِي
 رَاجَتْ عَلَيْهِ مَمْنُكَرَاتُ الْمَسَايِيْرُ
 قَسَبٌ نَعْلَسُوهُنَ فَهُودُ الرُّرَاجِي
 وَمَنْ أَجَلَ ذَلِكَ سَمِي بِأَبِي الشَّيْخِ.

ولم يترك آل زيد الشعلان أقارب خلف الأذن ثأرهم، فعندما علموا
 أن التومان من شمر قتلوا خلفاً، ذهبوا إلى الأمير نواف بن النوري الذي
 كان مضطرباً بشؤون قبائل الرولة، ويخلف والده النوريه بقيادة القبيلة،
 ذهبوا إليه وطلبوا منه أن يقودهم إلى مهاجمة شمر، لأخذ ثأر الشيخ
 خلف الأذن، وفعلاً أجاب نداءهم، والتف حوله قبائل الرولة، وغزا
 من أراضي الحماة قاصداً مهاجمة قبائل شمر، الذين يقطنون بالقرب
 من منهل (الدويد) المعروف، وفعلاً أغار على قبائل شمر هناك، وكان
 يرأسهم فيصل بن سند الربع، من مشايخ قبيلة التومان شمر، وقد أخذ

الشمعان إبلهم، وقتل قريطان بن شاهر الزيد، الذي هو ابن أخي الأذن،
قتل فيصلاً بن سند الريع زعيم التومان، وغنم جواده، وأخذ إبله،
وكانت هي إبل والده من قبله سند الريع المعروف، وبهذه المعركة
شفى آل زيد غليلهم وثأروا للشيخ خلف الأذن.

هكذا حدثنا الرواة من الرولة ومن عترة وشمر عن حياة هذا البطل
المغوار والشاهر المبدع.. وهكذا طويت صفحة مشرقة حية من نماذج
فرسان العرب المعلمين.

الفهارس

- ١ - الموضوعات العامة
- ٢ - إضاح بعض الكلمات العامة
- ٣ - تصحيحات
- ٤ - الأعلام (الرجال والنساء)
- ٥ - العشائر
- ٦ - الأماكن

١ - فهرس الموضوعات العامة

٥	• الأهداء
٩	• مقدمة من الكتاب وعن مؤلفه بقلم عبدالله بن خميس
٢٣	• مقدمة المؤلف
٣٥	١ - سعدون العواجي
٣٥	• طرف من حياته وشهرته
٣٩	• رئاسة ابنه عقاب وحجاب
٤١	• منازعة شامخ العواجي سعدون على رئاسة القبيلة
٤١	• انتزاع الرئاسة منه، وأشعاره في ذلك
٤٤	• استجاده بابنه حجاب وعقاب شعراً
٥٢	• مسارعة ابنه لتجديته
٥٣	• وصولهما ليلاً وإيراد إبل أبيهما الماء قبل إبل خصمه
٥٤	• الخصم يلقي نفسه في البئر عندما شاهد عقاب ابن سعدون
٥٥	• عودة الرئاسة لسعدون
٥٥	• سعدون يرغم التمياعا. الشمري على الرحيل عن (بيضانثيل)
٥٥	• تصيدته في ذلك

- ٥٧ • غرام عقاب المواجي
- ٥٧ • قصيدته الدالية في محبوبته (نوت)
- ٥٨ • قصيدته اللامية فيها
- ٥٩ • قصيدته النونية
- ٦٠ • قصيدته البائية
- ٦١ • قصة نومان الحسيني وضياح صقره
- ٦٢ • زواج عقاب بمحبوبته
- ٦٤ • جلاء شعر عن ديارهم بعد انتصار المواجي عليهم
- ٦٤ • قصيدة سعدون في انتصاره على التميّاط
- ٦٦ • وقعة (ظفرة) لشعر على المواجي وقبائله
- ٦٦ • قصيدة لشاعر شعر رشيد بن طوعان في وقعة (ظفرة)
- ٦٨ • مجاورة بين أبا الوقي الشمري وعقاب المواجي
- ٦٩ • افتتاح شعراء شعر مبيريك التيناوي بأخذ سيف عقاب
- ٧٠ • اتفاق سعدون المواجي ومجول بن شعلان على الإغارة على قبيلة حرب ...
- ٧١ • قصيدة شيخ حرب ابن فرهود يجلد ابن شعلان وسعدوناً ويتوعدهما
- ٧١ • سعدون يجيب على القصيدة
- ٧٣ • قصيدة بالية لسعدون في حرب
- ٧٥ • غائبة تفقد خليلها في إحدى معارك سعدون مع شعر فيجيبها سعدون شعراً ..
- ٧٦ • قتل حجاب وعقاب ابني سعدون على يد فرسان من شعر
- ٧٨ • قصيدتان لمبيريك التيناوي شاعر شعر عن قتل ابني سعدون
- ٧٩ • قصيدة رشيد بن طوعان من شعراء شعر في قتلها
- ٨١ • سعدون المواجي يرثي ولديه بقصيدة حائية
- ٨٢ • قصيدة فائية لسعدون في رثائهما
- ٨٤ • قصيدة ميمية يشكو فيها سعدون لصديقه فقله ابنه
- ٨٦ • سعدون يتولى تربية حفيديه ابني عقاب وحجاب لأخذ ثأرهم

- ٨٦ * الجعد يختبر حقيقته ينظم قصيدة عن الثأر
- ٨٦ * ابن عقاب يقوِّز بجائزة الجعد وقصيدته
- ٨٧ * شاعر شمر يرد على القصيدة
- ٨٨ * سعدون المواجهي ينجذ السويلمات على شمر
- ٨٩ * ابن عقاب المواجهي يثأر لأبيه وعمه ويقتل هابس القعيط
- ٨٩ * سعدون يمدح حقيقه لأخذه يثأره
- ٩٠ * وفود غنيم الرضا على ابن رشيد
- ٩٠ * تحريش ابن طوهان الشاعر ابن رشيد لأخذ الثأر من الرضا ثم قتله
- ٩١ * آل بُريك جماعة هابس القعيط من الدواسر

٢ - ساجر الرقدي:

- ٩٧ * نسبه وطرف عن حياته
- ٩٨ * أخواله يقتلون أخاه
- ٩٨ * ساجر يجلو عن أخواله
- ٩٨ * ساجر يأخذ بثأر أخيه
- ٩٨ * ابن رشيد يحرض عبدالله الفيصل على الرقدي وابن مجلاد بقصيدة
- ٩٩ * قصيدة ساجر عن جلالة عن نجد
- ١٠٠ * قصيدة ساجر يصف فيها فزواته
- ١٠٢ * شاعر يمدح ساجراً
- ١٠٤ * خلاف بين أسرة آل شعلان فيلتجئ أحدهم بساجر
- ١٠٤ * ساجر يهب لنجدة سطاتم آل نايف الشعلان
- * ساجر يستنجد بابن هذال شيخ العمارات لنصرة آل نايف الشعلان
- ١٠٥ * حل آل مشهور الشعلان
- ١٠٥ * مجاولات مع آل مشهور يتصر فيها ساجر
- ١٠٦ * إغارة ساجر على زبل ابن رشيد وأخذها
- ١٠٨ * ساجر يصف غارته على ابن مشهور بقصيدة فائية
- ١٠٨ * الشاعر سليمان اليمني يمدح ساجراً ويذكر بعض وقائمه

- الخلاف بين ساجر وشيخ الخرصه من الفدهان ١١١
 - قصيدة لساجر يتوعد فيها شيخ الخرصه ١١٢
 - تألب شيوخ السبعة ضد ساجر ١١٣
 - شاعر من أعداء ساجر يثني على بطولته ١١٤
 - ساجر يتوعد غنا حبيد (السبعة والفدهان) ١١٥
 - انتصار ساجر على غنا حبيد ١١٦
 - سليمان اليماني شاعر ساجر يصف وقته مع (غنا حبيد) ١١٦
 - قصيدة ساجر الميمية في (غنا حبيد) ١١٩
 - ساجر يحذر ابن هذال شيخ العمارات ١٢٠
 - قصيدة لساجر بعدما كبر يصف الدنيا ١٢١
 - حماية ساجر لجاره ١٢٣
 - سبب إطلاق لقب «أصحاب الشهويها» على قوم ساجر ١٢٤
 - ساجر يصف نفسه بقصيدة ١٢٥
 - من وفاء ساجر لقصته مع الشاوي ١٢٦
- ٣ - شالح بن هذلان:

- طرف من ترجمة حياته ١٣١
- أخوه القديع ١٣١
- تفاني القديع في خدمة شالح ١٣٢
- القديع يصف أخاه شعراً ١٣٢
- شالح يهيب ١٣٤
- المعملة يغيرون فيقتلون القديع ١٣٨
- توبة ابنه ذيب لأخذ الثأر من قاتلي عمه ١٤٤
- قتل حبيد بن تركي بن حميد ثأراً له ١٤٥
- غيظ الله بن تركي يرثي أخاه ويتوعد قحطان ١٤٥
- شالح بن هذلان يهيب غيظ الله ١٤٦
- شالح يخاصم قبيلته ويرحل إلى الدواسر ١٤٧

- ١٤٧ قصيدة لشالح يوضح فيها سبب رحيله
- ١٤٨ ذيب بن شالح يغير مع الدواسر على عتية
- ١٤٩ شجاعة ذيب وأخذ فرساً أصيلاً معروفة تدعى (العزبة)
- ١٥٠ شالح يصف تلك الفرس
- ١٥١ ذيب يتحدى عتية ويوعى في مراحبها
- ١٥٢ شالح يرثي ذيباً وهو حي
- ١٥٣ محمد بن هندي يحلر من الإهارة على إبل ذيب
- ١٥٤ بين ذيب وفرسان الملك عبدالعزيز
- ١٥٤ ذيب يقتل فهد بن جلوي
- ١٥٥ الملك عبدالعزيز يحفر من ذيب لشجاعته ووفائه
- ١٥٦ شالح يخاطب الملك عبدالعزيز بقصيدة
- ١٥٨ طرف من ير ذيب بوالده
- ١٥٩ شالح يداهب ذيباً بقصيدة
- ١٦٠ ذيب يخزو عتية
- ١٦٢ قتل ذيب فيلة من قبل جماعة من قبيلة عتية
- ١٦٣ شالح يرثي ذيباً
- ١٦٤ مراثاة أخرى في ذيب
- ١٦٦ حزن شالح على ابنه
- ١٦٧ قصيدة عندما سمع منادياً يبحث عن صقره
- ١٦٩ ٤ = معلى الهيداني:
- ١٧٣ جانب من ترجمة حياته
- ١٧٤ تحريضه لقبيلته لطلب الرفعة
- ١٧٤ هجوم قبيلته لرضاهم بالضعف
- ١٧٥ قصيدته حينما تبرأ من قومه
- ١٧٦ رحيله مع قسم من قبيلته من نجد ومجاورته للفدحان في سورية
- ١٧٦ قصيدته في رحيله

- ١٧٧ قصيدته في مدح آل عُيين
- ١٧٨ إغارة محمدي على الشوايا
- ١٧٩ خلاقه مع الغدعان والتجاؤه إلى ابن سمير شيخ ضنا مسلم
- ١٧٩ قصيدته في مدح ابن سمير
- ١٨١ إجارة ابن سمير له
- ١٨٢ عفو الغدعان عنه ومدحه لشيخهم جدعان بن مهيد
- ١٨٣ إقامته عند ابن عيين وابن مهيد
- ١٨٣ مدحه آل عيين
- ١٨٤ انتحازه إلى جدعان بن مهيد
- ١٨٥ قصيدته بعرض حجو على جدم الطاعة لابن مهيد
- ١٨٦ عصيان حجو وعدم دفعه الأتاوة لابن مهيد
- ١٨٦ حبس محمدي من قبل الدولة بسعي ابن مهيد
- ١٨٧ قصيدته في صديقه حجو
- ١٨٧ حجو يسعى لتخليصه من السجن
- ١٨٨ قصيدة يمدح بها عبدالكريم الجربا
- ١٨٩ التجاؤه إلى الجربا شيخ شمر
- ١٩٠ نزول شمر في بلاد حنزة قبيلة محمدي وتأثره من ذلك
- ١٩١ قصيدة محمدي في وصف منازل قومه
- ١٩٣ قومه يرسلون إليه فيعود إليهم
- ١٩٣ نزوله على جدعان بن مهيد
- ١٩٤ حجه وزيارته وشعره في ذلك
- ١٩٥ خلف الأذن:
- ١٩٩ طرف من تاريخ حياته
- ١٩٩ شاعر شمري بعرض بشيوخ قبيلة خلف
- ٢٠٠ الرولة تغزو قبيلة الشاعر الشمري وتهزمهم
- ٢٠١ خلف يهيب ذلك الشاعر

- قصيدة ابن قوفل في مدح مشايخ الرولة ٢٠١
- آل شعلان وتاريخهم الحافل بالبطولات ٢٠٣
- شيوخ آل شعلان الذين حاصرهم خلف الأذن ٢٠٣
- سقذ آل شعلان على خلف ٢٠٣
- آل مهيد - آل شعلان ٢٠٤
- خلاف بين خلف وبين تركي بن مهيد ٢٠٤
- الشيخ سظام بن شعلان ٢٠٤
- محاولة آل زيد لأخذ الثار من ابن مهيد ٢٠٤
- محمد بن مهلهل الشعلان يحرض على آل مهيد ٢٠٥
- قبائل الرولة بزعماء النوري تهاجم آل مهيد ٢٠٦
- قتل الكريم تركي بن مهيد ٢٠٦
- قصيدة خلف الأذن في قتله ٢٠٦
- غزو محمدي قبيلة الرولة وأسره ٢٠٨
- محمدي يرسل بقصيدة إلى محمد بن سمير شيخ ولد علي ٢٠٨
- الخلاف بين الأذن والشيخ سظام بن شعلان ٢٠٩
- عداء بني صخر لخلف ٢٠٩
- خلف يقتل عدداً من مشايخ بني صخر ويفتخر بذلك شعراً ٢٠٩
- قصيدة لخلف في بني صخر ٢١٢
- شيوخ بني صخر يتربصون لخلف ٢١٤
- معركة بين بني صخر وبين آل شعلان ٢١٥
- خلف يقتل بعض شيوخ بني صخر ٢١٥
- خلف يصف الواقعة شعراً ٢١٥
- طراد بن زين يغزو الرولة ٢١٦
- شجاعة خلف وقتله بعض شجعان بني صخر ٢١٦
- قصيدته في وصف تلك الواقعة ٢١٦
- قصيدة أخرى ٢١٧

- ٢١٨ خلف بين خلف وبين فهد الهزاع الشعلان
- ٢١٨ خلف يقتل اثنين من الرولة
- ٢١٩ ابن شعلان يطلب من خلف جواده في دبة القتلين فيأبى
- ٢١٩ وحيل جماعة خلف من سووية إلى نجد
- ٢١٩ خلف يعاتب فهد الشعلان شعراً ويلحق بقومه
- ٢٢٠ خلف يصف فرسه لما مرضت
- ٢٢٢ تولي النوري رئاسة الرولة
- ٢٢٢ الخلاف بين النوري وبين خلف
- ٢٢٢ خلف يعاتب النوري بقصيدة
- ٢٢٢ الخلاف يصل إلى تصادم يصاب فيه النوري ويستولي على غيل خلف
- ٢٢٤ ذهاب بن خلف يرجع الغيل قسراً
- ٢٢٤ مجافاة خلف للنوري ثلاث سنوات
- ٢٢٤ خلف يصف ما بينهما
- ٢٢٥ وفود خلف على سعود بن عبدالعزيز الرشيد
- ٢٢٥ شاعر في مجلس ابن رشيد يستثير خلفاً
- ٢٢٦ هجو خلف لزامل السبهان وسببه
- ٢٢٧ قتل خلف
- ٢٢٧ الشيخ حجلان بن رمال الشمري يمدح خلفاً
- ٢٢٨ عائلة خلف مشهورة بالكرم والوفاء
- ٢٢٩ بعض المشايخ الذين قتلهم خلف
- ٢٣٠ الشاعر منب الرويلي يصف قتل العواجي على يد خلف
- ٢٣١ آل زيد قبيلة خلف تأخذ بثأره

٥ - إيضاح معاني بعض الكلمات

(كثير من القراء من غير أهل نجد قد يصعب عليهم فهم كثير من الكلمات الواردة في هذا الكتاب وهذا بيان قد يوضح أغلبها، وسيلاحظ القارئ بأن كتابة كثير من كلمات الكتاب لم تُراع فيها الطريقة الإملائية، بل جرت حسب النطق، وما يتطلبه الشعر من اللحن، فيرجى ملاحظة هذا).

(١)

الأجراد جمع جرد وهي الفلاة الواسعة

أحشم بحشمتهم: أكرم بإكرامهم.

اضرب على الكائد: افتحم الصواب.

أفشت: فقدت.

ألمي ملامي الوُزقي: أتوح نوح الحمام.

إلى: بمعنى: إذا - تتكرر كثيراً.

اللي: الذي - تتكرر كثيراً.

اليا: إذا، ويقال فيها: إلى - ليا.

انحر: اقصد، وهي فصيحة.

انكس: ارجع.

(ب)

بالأس: واشي وجاسوس.
بالأمون: استعمال يحمل معنى القسم - أي والله.
نماد معاديك: بعيلة عدواتك على الأعداء.
بلاية: بلائي، مصيبي وما أعشاه.
البلهاء: من أسماء الإبل المعروفة.

(ت)

تايه: تائه.
تحسن لحاكم: تعلق لحاكم، وكان خلق اللحي عقوبة يجازى بها المجرمون.
تُكورف: تستعد.
تروع: تسير.
تشادي: تشابه.
تقويت: شربت القهوة.
تكاليت: تداغت.
تودر: ابتعد وفيها معنى الزجر.

(ج)

الجازي: صفة من صفات الأطباء.
جرودهم: مجموعهم.
جَبَّيْها: حرسها.

(ح)

حَبَس الظمن: حصن الظمن.
حرس المراتيب: الإبل.
حقلنا: رقصنا للحرب.

حمراكم: غيرتكم وإنفتكم.
 حميلهن باليت: الحميل رواسب القهوة وهو ما ينفى السيل ومنه الحديث: «كما
 تنبت الحبة في حميل السيل».
 حمو: شدة الحرارة.
 حنا: نحن.

(غ)

غانة الدنيا: فالتتها.
 غايغ: الغايغ النبات الملتف.
 غيل: ناقص العقل.
 غرايمه: جمع غريمه وهي مجرى السيل الملتف بالشجر.
 غُلُج: جمع غلوج وهي الناقة تفقد ولدها.
 غُلُفة: فرس خلف الأذن.

(هـ)

الدحش: الخب اللثيم.
 دَلَه: سلاه ومنه ادله: اسلو وأسر.
 دَلَى: جعل.
 دُوحي: أحد.
 الديدحان: نبت زهره أصفر.

(ذ)

ذونوح: حشرة سامة يستخرج منها مادة سامة تسمى باسمها:

(ر)

ريد الهرايل: النعام.
 ريعنا: رفاقنا.

الرمك : جمع رمكة : الخيل .
رواي : هو من يأتي بالماء .

(ز)

الزلم : الناس .
الزول : الشخص .

(س)

ساموح : قلق وألم .
سهايك : خيلك .
السبيب : ذيل القرس .
السناحيس : نخوة شمر .
سُمو القبائل : عموم القبائل .

(ش)

شاف : رأى .
شائف شين : راء شيء وتلك لهجة سكان شمال الجزيرة العربية .
شباب ضر المنارة : النار يوقدها في المرتفع لضيوئه .
شبيب يابه : أي الصيد شبيب يا أبي ، ولعله مأخوذ من الشبيب : الثور الوحشي الذي انتهى شبابه وبلغ قوته وتماحه .
شبوحة : جمع شبح .
شدة بالي : إشغال فكري .
شلفا : رمع قصير .
شمشول : قليل .
شملا : اسم إبل لقبيلة حرب .
شوفته : رؤيته .
شين : شيء .

(ص)

الصابور: الطابور وزناً ومعنى.
السطارة: الحق والشراسة.
صديق بطيني: صديق داخلي يظهر الصداقة ويخفي سواها.
الصمانين: الحجارة الناعمة.

(ط)

الطرش: النعم.
طلعه بميد: اطلعه ومدى نظره.

(ع)

عاضبت: تلكأت.
المتاري: جمع حترى، مؤخر الرأس.
العديم: المعدم المثل.
هرجدن المظاهير: التمت الطعائن.
هرود القرانيس: الصقر المسن.
العزبة: فرس ذيب بن هدلان.
هئاس: رائد.
عشير: حبيب.
يكنف المخاليب: كناية عن الصقور.
هَلْيَا: اسم ناقة مشهورة تجمع على العُلَى وعُلَيَات وهي لآل شعلان.
اليعاسيب: اليعاسيب جمع يعسوب ذكر النحل.
هيرات النضا: الإبل القوية الصلبة.

(غ)

الغلامين: الغلمان.

(ف)

الفرايع: الذين يحولون بين المتضارين.
الفطر الشيب: جمع فاطر، الإبل المذلة المروضة زمناً طويلاً على السير.
فلأت: تنابلة لا يقومون بواجب إخوانهم.
فلحاً: اسم بنت لرس عقاب.

(ق)

قذني: أمني.
قذيلته: تصغير قذلة لمة شعره.
القوايس: جمع قرنامة من الصقور ما نسل ورشه وخرج له ورش جديد.
قُرُح الخيل: جمع قارح وهو المتكاملة سنه.
قُرطن: القين.
قُرّت حيني: سهرت.
قصيره: جاره.
القلاعة: الفرس يقتل فارسها وتوغل.
قوطر: انهزم.

(ك)

كراديس السبايا: دفعات الخيل.
كُرّته: طرحته.
كُتّه: كانه.

(ل)

لاية: جماعة.
لا شك: تستعمل بمعنى لكن.
لانيب: لا أنا بفاعل كذا، وبعضهم يقول لاناب.

لأكي: لعله من الآل وهو السراب وهو يكثر في شدة الحر.
لندما: خوفها.

لمسة الخشم: كناية عن الدلة
لوح: جبل.

ليا: إذا. مثل: ليا.

لئن تسمع: إلى أن تسمع.

لية شالت: لماذا درجت.

(م)

مار: لكن.

المحاوم: الأمكنة التي يحومون حولها.

المناريح: لابسو الدروع.

مساري: جمع مسرى وهو السير في الليل.

مُسَيَّر: زائر.

مصطور: نزع لا يتم على فهم.

مصلوح: غائلة.

معسكرات المسامير: يعني الخيل.

المظاهير: جمع مظهر الإبل تحمل الطعام والأمتعة.

المفاتيح: اسم يطلق على الإبل البيضاء الأكلان ويقابلها: المجاهيم: السود.

ملفأك: مقصدك.

ملهوفة الحشا: ضامرة البطن.

ممرود: ابني.

مناقلات المصاريع: الخيل تجاذب الأعتة.

المناهير: الرجال الكامل.

المنع: الأمر بعد الاستسلام وانفاذ المأسور من القتل.

(ن)

النادر: نادر المثل.
نبي: نبي مثله: نيا.
الثيلة: تراب البئر أو نحوها.
النسناس: الخفيف السريع من الإبل.
النشامى: الكرماء الشجعان واحدهم نشمي.
نشوف: نرى.
التوفيج: داء يصيب العين.

(و)

وُجيه: وجوه يقال: لوجيه الخفريات أي فعلت هذا من أجلهن، ولوجيه المناربع
أي لأجل وجوه لاهي النوع من الفرسان.
وقارة: يُقَدَأ له.
الوسم: من فصول السنة، وفيه تجود الأرض بالنبات إذا أمطرت.
وش لون يامن: كيف يامن.
الولاعة: الشيء الهامد يسرع فيه الاشتغال.
وگات قلبي: أناث قلبي.

(هـ)

هجة الريح: كناية عن الغنائم.
الهيدى: سحذى الهيداني تصغير تحقير.
هنتك: انطلاقتك.
الهذاريم: الهذيان.
الهراقيل: النعام.
هَل: أهل يسقطون الهمزة تسهلاً للنطق.
الهَلَلالي: المناعبة للشعر، أو نوع من اللعب.

الهيئ: ذكر النعام.

(ي)

ياثا فدا النبي: أنا فداء الذي.

يُخلّون: يتركون.

يدحمون السمارة: لا يهابون ما أمامهم.

يرضى على ضوأل حلقه إلى ارعاء: يرضيه من عدوه أن يسلم من شره.

يزاهمني: يتوه بحملي.

يسند: يرجع.

يشدي: يشابه.

يطرم: يترك الكلام من الكبر والفطسة.

يلكد: ينطلق وينير على الأعداء.

يهملج: ينام.